قبسات من
التأديب التربوي
عند المسلمين

إعداد
عطا الله بن قسيم الحايك

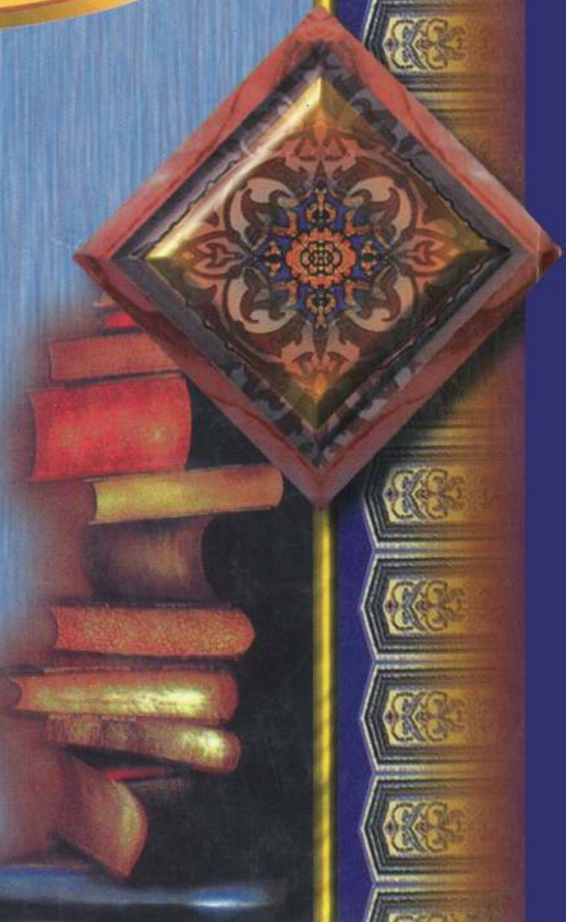

دار هجر للنشر والتوزيع

قبسات من

التأديب التربوي

عند المسلمين

ح دار هجر للنشر والتوزيع ١٤٢١هـ

فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحايك، عطا الله قسيم

قبسات من التأديب التربوي عند المسلمين ـ أبها .

٣٤٠ ص ؛ ٢٤ سم

ردمك ٣ ـ ٩ ـ ٩٢٦٦٨ ـ ٩٩٦٠

١ ـ التربية الإسلامية أ ـ العنوان

ديوي ٣٧٧,١ ٢١/٤٣٢٦

رقم الإيداع : ٢١/٤٣٢٦

ردمك : ٣ ـ ٩ ـ ٩٢٦٨ ـ ٩٩٦٠

الصف والإخراج لأبي مصعب

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م

كافة حقوق الطبع محفوظة للناشر

دار هجر

للنشر والتوزيع

أبها ـ مقابل لجامعة الملك خالد ـ كلية الشريعة ـ طريق الطائف

هاتف وبراق رقم : ٢٢٦١٧٩٦ ـ ص . ب : ٢٥١٤

قبسات من

التأديب التربوي

عند المسلمين

إعداد

عطا الله بن قسيم الحايك

دار هجر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول اللَّه .

وبعد ، فقد اطلعت على ما كتبه الأخ عطا اللَّه الحايك في كتابه الموسوم « **قبسات من التأديب التربوي عند المسلمين** » ، فوجدته قد عني عناية كبيرة بجمع النصوص من كتاب اللَّه تعالى ، وسنة رسوله ﷺ الواردة في هذا المجال ، وأتبع ذلكَ بالشواهد ، والمواقف التربوية لسلفنا الصالح من علماء ، ومفكرين ، وأئمة ، ومربين ، كل ذلكَ بعبارة سهلة ، وأسلوب جذاب ، مع سلامة اللغة ، وجمال التركيب .

وإني لأرجو أن يكون هذا المؤلَّف إضافة إلى المكتبة التربوية الإسلامية ، ولبنة في هذا الصرح ، ومساهمة جادة في ذلكَ الميدان .

فشكر اللَّه له جهده ، وأجزل ثوابه ، والدعوة ملحة للموجّهين ، والمربين من أبناء هذه الأمة المباركة ، أن يثروا هذا الموضوع وغيره من الجوانب التربوية ، بالكتابة ، والمناقشة ؛ حتّى يتم استخراج كنوزنا التي خلفها سلفنا رحمهم اللَّه تعالى ، وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه وسلم .

د / جبريل بن محمد البصيلي

عضو هيئة التدريس في جامعة الملك خالد

هذا الكتاب

التأديب من المبادئ التربوية التي تناولها رجال التربية في مختلف العصور والأمصار بشيء من الدراسة والتحليل ، تباينت الأراء حول أثره في التربية والتعليم ، ومن يطلع على أدبيات التربية يلاحظ هذا . والفكر التربوي عند علماء التربية المسلمين ثري في مختلف جوانب التربية والتعليم بشكل عام ، وفي جانب التأديب على وجه الخصوص بما يناسب حال المتعلم ، ورسالة التعليم . كيف لا ؟ وهم يستمدّون المبادئ التربوية من شرع اللّه . وغالبيتهم من الفقهاء الأجلاء ، والمحدّثين البارعين .

والكتاب يتميز بواقعية في الطّرح ، وموضوعية في أفكاره ، سيقت بعبارة سهلة ، وقد توّج المؤلف كتابه بخبرته التربوية طوال ما يقرب من أربعة عقود عملها في التدريس ، فلا غرابة أن تتمخّض التجربة الطويلة برؤية واضحة لجانب من جوانب التربية والتعليم ، والكتاب يعتبر إضافة حيّة للمكتبة التربوية ، وهو مرشد مفيد للعاملين في الحقل التربوي ، والآباء في تربية أبنائهم .

أسأل اللّه أن يجزل المثوبة والأجر والتوفيق للأخ الاستاذ / عطاء اللّه بن قسيم الحايك . واللّه الموفق .

✍ كتبه : سعيد بن محمد بن سلطان

تعليم عسير

في : ١٤٢٠/١١/١٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى اللّه وسلم على سيد ولد آدم يوم القيامة أجمعين .

أما بعد ، فقد تيسّر لي ـ بفضل اللّه ـ الاطلاع على هذا البحث القيم ، الذي أعدَّه أخونا المربي الفاضل الأستاذ عطاء اللّه بن قسيم بن محمد الحايك ، ضمَّنه خلاصة تجربة مديدة ، وعصارة قراءة متأنية فريدة ، في فكر عدد غير قليل من أعلام التربية الإسلامية ، فجاء البحث شافيًا في بابه ، وافيًا بموضوعه ، محدِّدًا لمعالم المنهج التربوي الإسلامي في جانب « التأديب التربوي » .

والحقيقة التي لا بد من الصدع بها ، أن هذه الأمة تمتلك تراثًا تربويًا ضخمًا ، يمكن أن يثري الحضارة الإنسانية ، ويغنيها عن كثير من الفلسفات التي لا تقوم على دليل من منطق ، أو أثارة من علم ؛ وذلك أن التربية الإسلامية تربية ربانية ، تنتظم القلب والعقل ، العاطفة والفكر ، الروح والجسد ، في نسق متآلف ، ووحدة واحدة ، لا تغلِّب جانبًا على آخر ، كما فعلت التربية المادية المعاصرة التي أولت الجسد الفاني كل اهتمامها ، مما أولج الروح في بحر متلاطم من الظلمات ، أو كما فعلت التربية الرهبانية القديمة ، التي تزعم تزكية الروح والارتقاء بها في معارج السمو والقداسة ، وأهملت الجسد ؛ حتَّى جعلته مرتعًا للأوجاع والحشرات والأقذار ، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم ، ومن هنا ، فإن هذه دعوة ملحَّة ، ورجاء حار ، إلى كل صاحب قلم ، وفكر تربوي ، أن يسهم بسهمه ، ويدلي بدلوه ، ويغترف من

معين التربية الإسلامية الذي لا ينضب ، ما يمكن أن يكون إضاءة على طريق نهضة تربوية شاملة ، أساسها الإيمان العميق ، وحاديها السلوك الرفيع ، ونبراسها الهدي الرباني القويم ، وهدفها نفع النّاس أجمعين ، وغايتها رضوان اللّه رب العالمين .

وبعد ، فقد كانت فائدتي من قراءة هذا البحث كبيرة ، لا سيما ومؤلفه زميل كريم ، عرفته عن قرب ، فعرفت فيه المربي القدير ، والناصح الأمين ، والمعلم الرفيق الشفيق ، وإني أدعو اللّه له بحسن الثواب ، وجميل الجزاء عن كل ما قدّمه من فكر سديد ، وتوجيه رشيد ، وأن يتقبّل منا ومنه صالح أعمالنا ، وألاّ يؤاخذنا بتقصيرنا ، إنه سميع مجيب ، وصلى اللّه على نبينا محمد ، وآله وصحبه الأكرمين .

✍ علي بن عبد الرحمن بن علي بن محيا

مشرف تربوي سابق

أبها : ١٤٢٠/١١/٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده اللَّه ، فلا مضلَّ له ، ومن يضلل ، فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلاَّ اللَّه ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ، ورسوله ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَمَنُوا اتَّقُوا اللَّـهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسلِمُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾ [النساء : ١] .

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُم وَمَنْ يُطِعِ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٧١ ، ٧٢] .

أما بعد ، فإن أسلوب الثواب ، والتأديب التربوي من الأساليب التربوية التي تستند إليها التربية في كل زمان ومكان ؛ لأنه يتمشَّى مع طبيعة الإنسان حيثما كانَ ، ويعزِّز السلوك المرغوب فيه ؛ فالإنسان يتحكم في سلوكه ، ويعدِّل فيه بمقدار معرفته بالنتائج الضارّة ، أو النافعة ، والسَّارة ، أو المؤلمة ، التي تترتب على عمله وسلوكه ، فيثاب المحسن على ما قدَّم ، ويؤدَّب المسيء

على ما اقترفَ ، وتلك نتيجة محتومة للعدل ، وخطة مناسبة لطبيعة الإنسان ، وهكذا يصبح الجزاء من جنس العمل ، وهو مبدأ ربَّاني لا يُجادَل فيه ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ (١) ، فلكل عمل ، أو حركة ، أو خطوة جزاء .

يقول أحد علماء النفس التربوي : « إنه لكي يتم الثبوت والتحسن في الاستجابات التي يقوم بها الفرد ، لا بد من توفُّر عامل أطلقوا عليه عامل الجزاء .

فالاستجابات إذا لم تؤدِّ إلى نوع من الترضية ،أو الجزاء ، أو الإشباع ، فإن الفرد لا يحاول تكرارها ...

أما إذا أدّت الاستجابات إلى شيء من الجزاء الحسن والترضية ، فحينئذ يحدث الترابط الدائم بينَ تلك المنبِّهات ، واستجاباتها ... » (٢) .

ولقد سعدتُ بالحياة في صحبة بعض علماء الفكر التربوي الإسلامي ـ رضوان اللّٰه عليهم أجمعين ـ حين اطلعت على كثير من كتبهم ، وقرأت بعض أفكارهم التربوية المضيئة النافعة .

وقد أخذت بعض هذه القبسات المعبِّرة عن موقف تربوي ، وتجربة رائدة من التجارب التي تميَّز بها علماء التربية في الإسلام ، وكان لهم دور السَّبقِ في ذلكَ ، من تأصيل لهذا الفكر ؛ وتعيين الحدود والشروط والقواعد

---

(١) سورة الزلزلة الآية : ٧ ، ٨ .

(٢) « فن التدريس للتربية الدينية وارتباطها النفسية » لمحمد صالح سمك ص ٢٠٩ .

التي تكفل إنسانية الإنسان ، وترفع من مستواه العلمي ، والعقلي ، والاجتماعي .

ثُمَّ جمعت بعض آرائهم التربوية من خلال فكرهم التربوي ، ونظمت بعض أفكارهم المتعلقة بالثواب ، والتأديب التربوي ، وعلّقت عليها تعليقًا يناسب الفكرة التربوية ، ويوضحها ، ورتبتها ضمن عنوان مناسب لها .

وإني أتجه بهذه الأفكار التربوية ، والقبسات المضيئة إلى إخوتي المربين من ـ آباء ، ومعلّمين ـ ؛ ليتأمّلوا هذه الملامح التّربوية في تراث علماء الفكر التربوي الإسلامي ، وهم يقومون بتربية الأجيال المؤمنة ضمن محاضن تربوية أمينة . وليروا مواقفهم وتجاربهم التربوية العملية ، فقد توصَّل هؤلاء العلماء من خلال تجربتهم التربوية إلى أن الطّفل يستجيب بصورة أفضل إذا وجد الإثابة والتشجيع ، وأن أداءه مع هذه الإثابة يتحسن .

وقد نبَّه آنفًا علماء الفكر التربوي الإسلامي على أهمية تشجيع الطفل في تعديل سلوكه ، ولا بأس عندهم أن يُظهر المربِّي إكرام الطفل ، ومدحه ، والثناء عليه ؛ يقول ابن الحاج العبدري : « مهما ظهر من الصَّبي من خلق جميل ، وفعل محمود ، فينبغي أن يُكرَّم عليه ، ويجازي عليه بما يفرح به ، ويُمدحِ بينَ أظهر النَّاس ... » (١) .

وإلى مثل هذا ذهب الإمام الغزالي ، وشمس الدين الأنبابي ، والفقيه القابسي ، والخطيب البغدادي ... ، وغيرهم كثير .. ، وجميعهم كانَ هدفهم

---

(١) « مدخل الشرع الشريف على المذاهب » لابن الحاج العبدري ٤/٢٩٦ .

من تلك الإثابة ، وذلك التشجيع أن يعرف الطفل وجه الحسن من القبيح ، فيدرج على اختبار الحسن .

وقد أيَّدت التجارب صحة ما ذهب إليه علماء الفكر التربوي الإسلامي ، من أنَّ الثواب أقوى وأبقى من التأديب التربوي الحسي في عملية التعلم ، وأنَّ المدح أقوى من الذَّم بوجه عام .

ومعروف أن مجال التأديب التربوي فسيح ، وهو يشمل الأمور المعنوية والحسية ... من الإرشادات ، والتلميح إلى الألفاظ ، والتصريح .

وأن التأديب بنوعيه ليس عملية ضرب وانتقام وتشَفٍّ ، بل هو خطوات تأديبية تربوية ... تبدأ بالتأديب المعنوي بكافة خطواته ... ، فإذا لم تفلح هذه الخطوات التربوية ... عندئذ ، وعندئذ فقط نستخدم التأديب التربوي الحسِّي ، ولكن ضمن شروط وقواعد لكل من : المؤدِّب ، والمؤدَّب ، وأداة التأديب ، وأماكن التأديب ، التي حدّدها فقهاء ، وعلماء الفكر التربوي الإسلامي .

في اعتدال ، وتوازن ، وانضباط ... ، فلنتذوق جمال فكرهم التَربوي النابع من الصِّدق ، والإخلاص .

وإن جملة واحدة من كلام علمائنا التربويين ـ رضوان اللّه عليهم أجمعين ـ تُغني عن كثير من التجارب التربوية الضّحلة ، والكلمات المنمَّقة ، وإننا ـ نحن المربين ـ بأمسِّ الحاجة إلى التّعرف على فكرهم التربوي ، والتواصل معهم في مجال العمل التربوي ، من خلال هذه القبسات التربوية

المضيئة ، الكاشفة الدافقة الموحية ... لنبدأ معًا الرحلة التربوية السعيدة ، في تربية الأجيال ، كما ربىَّ رسول اللَّه ﷺ صحابته ﷺ ؛ فقد كانوا كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم .

سبب اختياري للموضوع :

اخترت هذا الموضوع :

١ ـ **لأنه موضوع الساعة** ، عندما لاحظت أن الكثير مما يدور من حوار ونقاش بينَ المدرسين بشأن أسلوب الضّرب في العملية التعليمية ، وكيفية التعامل مع الطفل ـ والكثير منهم غير مؤيِّد لمنعهِ ـ دون دليل شرعي ، أو تربوي مقنع يقدِّمه ، إلاَّ ما حصل عليه من ميراث تربوي هزيل ، منذ أن كانَ طالبًا حتَّى أصبح مدرِّسًا ، حصل عليه من مدرِّسيه ، أو من زملائه في المؤسسات التعليمية ، دون تأصيل شرعي ، أو تمحيص لما يجري للوصول إلى الحقيقة .

٢ ـ **إن البحث في هذا الجانب ـ وما يتعلّق بالتأديب التربوي ـ يعطينا تصوّرًا دقيقًا عن المراحل التربوية** ، ابتداءً من الثواب المعنوي ، وانتهاءً بالتأديب التربوي الحسِّي ، والخطوات المتبعة لكل مرحلة ، كل هذا يساعد المربي على التعامل مع الطفل ـ في المرحلة الابتدائية ـ تعاملاً تربويًا تأديبيًا ناجحًا ، يجعل العملية التعليمية أكثر فاعلية ، ويجعل المتعلم أكثر حبًا ، واستعدادًا ، وإقبالاً .

٣ ـ إن هذا الموضوع ـ التأديب التربوي ـ يعدُّ مجالاً خصبًا يساعد المربين ـ آباء ، ومدرسين ـ ، وغيرهم على النجاح والوصول إلى الأهداف التربوية في العملية التعليمية بعناصرها المختلفة .

٤ ـ بحث هذا الموضوع إسهام في جانب الاستفادة من التأديب التربوي عند المسلمين ، وذلك حتّى لا يكون التأديب مجرَّد كلمات تتلى ، بل ليكون التأديب ذا أثر كبير في حياة الفرد والمجتمع ، هذا وإن المربي بحاجة قبل تخرّجه ودخوله إلى المحاضن التربوية إلى مثل هذه الأساليب التربوية خاصة ، فإن تخرَّج دون معرفة بما عندنا كانَ مبهورًا بآراء بعض المفكرين الغربيين في مجال التربية وأساليبها ، ولا يعرف عن ميراث أجداده المسلمين شيئًا في هذا المجال ، علمًا بأنهم أساتذة التربية وجهابذتها .

٥ ـ إعطاء صورة لكل مربٍّ بأننا أُمّة الريادة ، والقيادة ، والسيادة ، أُمّة ذات ميراث تربوي شرعي ، تمَّ تطبيقه على أجيال ، فتحت العالم بأخلاقها ، وحُسن تعاملها ، وكان منهم الحافظ لكتاب اللّه ، وسنة رسوله ﷺ ، والطبيب ، والمهندس ، والمربي ، والفاتح .

لهذه الأسباب ـ وغيرها ـ قمت بالبحث في طائفة من الكتب التربوية لعلماء الفكر التربوي الإسلامي ، أغوص في بحارها العميقة ، التي لا ساحل لها ؛ لأستخرج من لآلئ ما قدّمه علماؤنا لنا قبسات تربوية لمنهاج تربوي راشد وأصيل في التأديب التربوي ، فجزاهم اللّه عن الأُمّة خير الجزاء ، وجعل ما قدَّموه لنا من مراجع ونصائح وإرشادات في ميزان حسناتهم ...

هذا ، وإني ـ بعد مضيٍّ عامين تقريبًا ـ تمكّنت بفضل من اللَّه من إظهار هذا البحث بهذا الشكل ، وعنوانه :

« قبسات من التأديب التربوي عند المسلمين »

وقد استخدمت في البحث مصطلح « التأديب التربوي » ؛ لما لاحظته من أن عبارات ـ علماء الفكر التربوي الإسلامي ــ يرد فيها « التأديب » ، و« المؤدِّب » ، و« الغرض من التأديب » ، و« أداة التأديب ... » ، وعلى مرِّ الزمن استبدلت بهذه الكلمات التربوية عند علمائنا كلمة « العقاب » في العصر الحاضر .

وقد أطلق علماء الإسلام كلمة « العقاب » عند إقامة الحدود الشرعية ، ومن خلال الصفحات المقبلة سيتضح لنا ـ إن شاء اللَّه ـ ما يأتي :

١ ـ مقدمة البحث .

٢ ـ الأبواب التي تتحدث عن التأديب التربوي ، وهي : ـ

الباب الأول : التأديب التربوي للطّفل .

الباب الثاني : التأديب التربوي المعنوي للطّفل .

الباب الثالث : إرشادات تربوية على طريق التأديب التربوي الحسِّي .

الباب الرابع : التأديب التربوي الحسِّي للطّفل .

الباب الخامس : الثواب .

الباب السادس : وسائل الثواب .

٣ ـ قائمة بعلماء الفكر التربوي الإسلامي ، بعنوان : « **عَلَم ، وكتاب تربوي** » .

هذا ، وإني أحمد الله ﷻ على أن وفقني إلى إتمام هذا البحث التربوي ، مع اعترافي بالعجز والتقصير ، فما أحسنت فيه ، فمن اللّه ، وما أسأت ، فمن نفسي الأمَّارة بالسوء ، ومن الشيطان .

﴿ **سبحان ربك ربِّ العزَّة عما يصفون ۞ وسلام على المرسلين ۞ والحمد لله رب العالمين** ﴾ [الصافات : ١٨٠ ـ ١٨٢] .

✍ عطا اللّه بن قسيم الحايك

أبها في : ١٤٢٠/١/٢٠هـ

الباب الأول
التّأديب التّربوي للطّفل

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التأديب ، وفيه مباحث :

المبحث الأول : تعريف التأديب .

المبحث الثاني : زمن التأديب .

المبحث الثالث : أقوال علماء الفكر التربوي الإسلامي في التأديب .

المبحث الرابع : الغرض من التأديب .

الفصل الثاني : من آثار التأديب ، وفيه مباحث :

المبحث الأول : آثار التأديب من الناحية العقلية .

المبحث الثاني : آثار التأديب من الناحية السلوكية النفسية .

المبحث الثالث : آثار التأديب من الناحية الاجتماعية .

الفصل الثالث : نماذج من التأديب التربوي عند السلف الصالح ﵃ ، وفيه مباحث :

المبحث الأول : عبد الملك بن مروان .

المبحث الثاني : هشام بن عبد الملك .

المبحث الثالث : عبد الملك بن حبيب .

المبحث الرابع : هارون الرشيد .

الفصل الأول

التأديب

وفيه مباحث :

المبحث الأول : تعريف التأديب .

المبحث الثاني : زمن التأديب .

المبحث الثالث : أقوال علماء الفكر التربوي الإسلامي في التأديب .

المبحث الرابع : الغرض من التأديب .

المبحث الأول

تعريف التأديب

أ ـ الأدب في اللغة :

جاء في قاموس « الصحاح » ما يلي :

« **الأَدَبُ** : أَدبُ النفس والدرس ، تقول منه : أَدُبَ الرجلُ بالفم ، فهو أديب ، وأَدَّبتُه فتأدَّب ، وابن فلان قد استأدَبَ في معنى أدَّب ، والأدب : العجبُ .

والأدبُ أيضًا : مصدر أدَبَ القومَ يأدِبُهم ـ بالكسر ـ ، إذا دعاهم إلى طعامه ، **والآدِبُ** : الداعي » (١) .

وجاء في « أساس البلاغة » للزمخشري عن هذه المادة ما يلي : ـ

« **أدَبَ** : هو من آدبِ النَّاس ، وقد أدُبَ فلان وأدُب ، وتقول : الأدَبُ مأدُبة ما لأحدٍ مأدبة ، وأدَبَهم على الأمر : جمعهم عليه يأدِبُهم . وتقول أدَبهم عليه ، وندبهم إليه » (٢) .

وجاء في « لسان العرب » ما يلي : ـ

« **الأدب** : الذي يتأدب به الأديب من النَّاس ، سمي أدبًا ؛ لأنَّه يأدِبُ النَّاس إلى المحامد ، وينهاهم عن المقابح ، وأصل الأدب : الدعاء .

---

(١) « الصحاح » لإسماعيل بن حماد الجوهري ١/٨٦ .

(٢) « أساس البلاغة » للزمخشري ص ١٣ .

الأدب : أدبُ النفسِ والدرسِ ، والأدَبُ : الظّرف وحسن التناول .

وأدُبَ : ـ بالضم ـ فهو أديب من قوم أدباء .

وأدَّبهُ ، فتأدب : علمه ، واستعمله الزجاج في جانب اللّه ﷻ ، فقال : وهذا ما أدَّب اللّه تعالى به نبيه ﷺ (١) .

ب ـ الأدب في الحديث :

وفي الحديث عن ابن مسعود مرفوعًا : « **إن هذا القرآن مأدَبَةُ اللّه في الأرض فتعلّموا من مأدبته** » (٢) ـ يعني مدعاته ـ .

قال أبو عبيدة : « وتأويل الحديث أنه شبه القرآن بصنيع صنعه اللّه للناس لهم فيه خير ومنافع ، ثُمَّ دعاهم إليه ... » (٣) .

قال الحافظ ابن حجر : « **الأدب** : استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً ، وعبِّر عنه بأخذ مكارم الأخلاق ، وقيل الوقوف على المستحسنات .

وقيل : هو تعظيم من فوقك ، والرفق بمن دونك .

وقيل : إنه مأخوذ من المأدبة ـ وهي الدعوة إلى الطعام ـ ، سمي بذلك ؛

---

(١) « لسان العرب » لابن منظور الأفريقي ٢٠٦/١ .

(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ٥٥٥/١ ، وقال : حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه بصالح بن عمر وتعقبه الذهبي بقوله صالح ثقة خرّج له مسلم لكن إبراهيم بن مسلم ضعيف ، وضعفه السيوطي كما في « فيض القدير » ٥٤٦/٢ (رقم ٢٥١٣) .

(٣) « لسان العرب » لابن منظور الأفريقي ٢٠٧/١ .

لأنه يدعى إليه ... » (١) .

وقال الإمام ابن القيِّم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ : « **وعلم الأدب** : هو علم إصلاح اللسان والخطاب ، وإصابة مواقعه ، وتحسين ألفاظه ، وصيانته عن الخطأ والخلل ، وهو شعبة من الأدب العام » (٢) .

وأعم من هذا ، وأفضل قوله ـ رحمه اللَّه ـ بعد ذلكَ : « وحقيقة الأدب استعمال الخلق الجميل » (٣) .

وقال الإمام ابن المبارك ـ رحمه اللَّه ـ : « وقد أكثر النَّاس القول في الأدب ، ونحن نقول إنه معرفة النفس ورعوناتها (٤) ، وتجنب تلك الرعونات » (٥) .

نلاحظ من تعريفات كلمة « **أدب** » : أنها مرتبطة بالمعنى الأخلاقي التربوي ، والاجتماعي ، منها هذه الجمل التي أوضحناها سابقًا : « التأديب للنفس ، والدرس ... » ، وَكذلكَ « جَمَعَهم على مجموعة من الفضائل » أي : « أدبهم على الأمر : جمعهم عليه » ، و« **التأديب** » : ... « دعوة النَّاس إلى المحامد ... » .

---

(١) « فتح الباري » لابن حجر العسقلاني ٣/١٣ .

(٢) « مدارج السالكين بينَ منازل إياك نعبد وإياك نستعين » لابن قيم الجوزية ٣٧٦/٢ .

(٣) « المرجع السابق » ٣٨١/٢ .

(٤) **الرعونة** : الحمق ، والاسترخاء . « لسان العرب » مادة (رعن) .

(٥) « مدارج السالكين بينَ منازل إياك نعبد وإياك نستعين » لابن قيم الجوزية ٣٧٧/٢ .

والتأديب على القرآن الكريم ؛ لأن : « **القرآن مأدبة اللّه في الأرض** ... » ، **والتأديب** هو: « أدب النّاس ، يأدب النّاس إلى المحامد...» .

والتأديب ... « تهذيب للأخلاق ، وصفة كريمة للنفس ، وطيب النشأة والدماثة ، ومكارم الأخلاق ، وحُسن العشرة » ، ومعنى التأديب أن يعلّمه حسن الألفاظ ...

* * *

المبحث الثاني

زمن التأديب

إذا كانت التربية المعاصرة تبدأ مع الإنسان منذ مولده جسدًا ، ترعى له هذا الجسد ، على أحسن الفروض .

ويبدأ التأديب معه منذ دخوله المدرسة في الخامسة ، أو السادسة من العمر حسب النظام المعمول به في البلد .

فإن التربية الإسلامية تبدأ مع الطفل قبل ذلكَ بكثير لقد « حرص الإسلام على العناية بالأطفال منذ ميلادهم ، بل شملت عنايته مرحلة ما قبل الميلاد ، حين دعا إلى اختيار الزوجة الصالحة لتكون أمًا صالحة ، توفر البيئة الطيبة ، والمناخ الملائم ، والقدوة الحسنة لتأديب الطفل ، ورعايته ، والعناية بصحته جسميًا ، ونفسيًا ، وعقليًا ، واجتماعيًا ، وهذا ما يأمرنا به المعلم والمربي الأول نبي الهدى محمد ﷺ ، إذ يأمرنا بما يلي : « **تخيَّروا لنطفكم ، وأنكحوا الأكفاء ، وأنكحوا إليهم** » (١) .

ويبدو من الحديث الشريف أن « الإسلام يضع هذه المسألة نصب عينيه ، قبل أن يبدأ في تربية الوليد ؛ لأنه يريد أن يضمن للوليد وعاءً صالحًا ، ينتج منه ذلكَ الوليد ، هذا الوعاء الصالح سيحمل بقانون الوراثة في نوعيه ، أي في أبويه ، صفات ، هذه الصفات هي محور التربية ، والتهذيب ،

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب النكاح ، باب الأكفاء ١/٦٣٣ (رقم ١٩٦٨) .

والتأديب فيما بعد » (١) .

بهذا جعل الإسلام من الأسرة المحضن التربوي الأساسي والتي تقوم على دعائم ، تجعل منها مؤسسة تربوية بالدرجة الأولى ، إذا أخذنا في الاعتبار معنى التربية بمعناها الواسع الشامل .

إن الأسرة المسلمة تقوم على أصول ثابتة ، وهي أفراد هذه الأسرة ، وروابطها ، فرابطة الأخوة ، وصلة الرحم ، ورابطة الرجل وزوجه ، ومصالح كثيرة ، جسمية ونفسية ، واجتماعية ، لو تحققت حسبما أرادها اللّٰه لكانت محضنًا تربويًا يقتدى به في كل حين .

فإذا بلغ الطفل الخامسة ، أو السادسة من العمر انتقل إلى مرحلة التعليم المدرسي .

* * *

---

(١) « منهج التربية في الإسلام » لمحمد متولي الشعراوي ص ١٣ .

المبحث الثالث

أقوال علماء الفكر التربوي الإسلامي في التأديب

لقد أدرك علماء الفكر التربوي الإسلامي عمق العملية التربوية ، ودور التأديب في حياة الطفل في سنواته الأولى ، والاستجابة لميوله ورغباته في تكوين أحسن العادات الخلقية ، والجسمية ، والنفسية ؛ لذا نرى العلامة القابسي ينصح بتكوين العادات الحسنة عند الطفل منذ الصغر ، فيقول :

« إذا اشتدت مفاصل الصبي ، واستوى لسانه ، وتهيأ للتلقين ، ووعى سمعه ، أخذ في تعليم القرآن ، وصور له حروف الهجاء ، ولقن معالم الدين ... » (١) .

إن التربية في الإسلام توجب علينا أن نذكر دائمًا أننا لسنا بحاجة إلى العلم فحسب ، ولكننا بحاجة إلى كثير من الأدب ، والأخلاق الكريمة ...

وفي هذا يقول العلامة مسكويه : « إن الطفل والناشئ قد يكَون مستعدًا بمزاج خاص له ، نحو قبول خلق بعينه ، ولكنه يؤدَّب ، ويعوَّد الأفعال الجميلة ، لتصير صورة لنفسه ، وهيئة لها ، يصدر عنها ذلكَ الفعل المحمود ... » .

كما يؤكد ابن مسكويه على الدور التربوي في العملية التربوية فيقول : « فمن اتفق له في الصبا أن يُربّى على أدب الشريعة ، ويؤخذ بوظائفها

---

(١) « التربية في الإسلام » د . أحمد فؤاد الأهواني ص ٢٣٠ .

وشرائطها حتَّى يتعودها ، ثُمَّ ينظر بعد ذلكَ في كتب الأخلاق ؛ حتَّى تتأكد تلك الآداب والمجالس في نفسه بالبراهين ، فهو السعيد الكامل » (١) .

كما يبين الغزالي أن الوقاية خير من العلاج ، والواجب تعويد الطفل العادات الحميدة منذ صغره ؛ حتَّى يعتادها في كبره .

فيقول : « وصيانته ــ الطفل ــ أن يؤدِّبه ، ويهذِّبه ، ويعلّمه محاسن الأخلاق ، ويحفظه من قرناء السوء » (٢) .

إن من واجب المربي أن يتحرى الأساليب الملائمة في تأديب ورياضة أخلاق الطفل ، وتكوين السعادة الحسنة ، نراه يقول : « إذا فُطم الصبي عن الرضاع بدئ بتأديبه ورياضة أخلاقه له قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة » (٣) .

ولاكتساب العادات الحميدة لا بد من توجيه الطفل ، وتنمية الأخلاق الحسنة ، وتعميقها في أذهان الأطفال .

نرى الماوردي ــ رحمه اللَّه أحد علماء الفكر التربوي الإسلامي ــ يقول : « اعلم أن النفس مجبولة على شيم مهملة ، وأخلاق مرسلة ،

---

(١) « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » لابن مسكويه ص ٢٠ ، ملحق بكتاب « التربية في الإسلام » د . أحمد فؤاد الأهواني ص ٢٢٧ .

(٢) « إحياء علوم الدين » للغزالي ٦٢/٣ ، « بيان الطريق في رياضة الصبيان ونشوئهم ووجه تأديبهم » .

(٣) « التربية في الإسلام » د . أحمد فؤاد الأهواني ص ٢٣٠ .

لا يستغنى محمودها عن التأديب ، ولا يكتفى بالمرضي منهبا عن التهذيب » (١) .

ويحبّذ ابن الجزَّار القيرواني ـ أحد علماء الفكر التربوي الإسلامي ـ : « أن يؤخذ الأطفال بالأدب منذ الصغر ... أفترى الأدب ينقل الطبع المذموم إلى الطبع المحمود ، فمن عَوَّد ابنه الأدب والأفعال الحميدة ، والمذاهب الجميلة في الصغر حاز بذلك الفضيلة ، ونال المحبة والكرامة ، وبلغ غاية السعادة » (٢) .

نلاحظ مما سبق أن دور التربية الأُسرية هام جدًا ؛ لإيجاد ذلكَ الخُلق ، والأدب مع النفس ؛ لتستقيم على المنهج الإسلامي الصحيح .

وفي هذا المجال يقول المبرّد : « من أدّب ولده صغيرًا ، سُرّ به كبيرًا » ، وكان يقول : « من أدّب ولده ، أرغم حاسده » (٣) .

وهذا التوجيه التربوي يهم الوالد والمربي كثيرًا ، ليتم الاهتمام بهذا الطفل الصغير في تأديبه صغيرًا ، ليسعد به كبيرًا .

---

(١) « أدب الدنيا والدين » للماوردي ص ٢٢٦ .

(٢) « سياسة الصبيان وتدبيرهم » لابن الجزار القيرواني ص ١٣٤ .

(٣) « الكامل في اللغة والأدب » لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ١/٣٨ .

المبحث الرابع

الغرض من التأديب

اتفق علماء الفكر التربوي الإسلامي ، على أنه ليس الغرض من التأديب والتعليم هو حشو أذهان التلاميذ بالمعلومات ، وتعليمهم من المواد الدراسية ما لا يعلمون ، ولو أن هذا أحد أغراض التعليم .

إن الغرض الأساسي هو تأديب الطفل ، فنهذب أخلاقه ، ونزكي روحه ، ونبث فيه الفضيلة ، ونعوِّده الآداب الحسنة ؛ ليعيش ويحيا حياة طيبة ، يتعلم فيها :

أ ـ أدب الدنيا ؛ ليحيا بها : نُعدّه فيها ليكون قوي الجسم ، مرتب الفكر ، يعرف كيف يتعاون مع غيره ، وكيف يدير شؤونه بنفسه ، كيف يقوم بواجبه نحو نفسه ، وأفراد أسرته ، ومجتمعه ، والنّاس أجمعين ، وكيف ينتفع بما وهب اللّه له من المواهب ، كيف يستخدم طاقاته المختلفة بما ينفع بها نفسه ، وغيره .

ب ـ أدب الآخرة : ليكون متصلاً باللّه ، يراقب اللّه ، ويخافه في السرِّ والعلن ، يلزم الدين عقيدة ، وسلوكًا ، ومنهج حياة ، يؤدي واجبه نحو خالقه الذي خلقه ، وينهج في ذلكَ نهج منازل ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ .

من هذا المنطلق جاءت السنّة المطهرة بالتّوجيهات إلى كل مربٍ أن يكون مُلمًا بقواعد الشريعة ، وضوابطها ، ومهمة التعليم وفنونه ، وأساليبه التربوية .

لأن الطفل هو مركز العملية التربوية ، وأحد عناصرها ؛ لذا وجب على الآباء والمربين العناية بتربية أبنائهم ، وحضهم على ذلكَ .

روى أنس بن مالك ﵁ قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **أكرموا أولادكم ، وأحسنوا أدبهم** » (١) .

ففي هذا الحديث أمر رسول اللّه ﷺ لكل مرب مسلم ، حمّله اللّه تلك الأمانة ، أن يقوم بإكرام ولده ماديًا ، ومعنويًا ، بالكلمة الطيبة ، الهادئة الهادفة ، وحُسنِ التوجيه ، واللّطف واللّين ، والاستجابة لكل ميوله ورغباته ، وحاجاته المختلفة من نفسية ، وجسمية وعقلية ، حتّى تؤتي عملية التأديب ثمارها بإذن اللّه .

ويبين الإمام الغزالي الغرض من التأديب فيقول : « اعلم أن الطريق إلى رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها ، والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفسية ، فإن عُوِّد الخير وعلّمه ، نشأ عليه ، وسعد في الدنيا والآخرة ، وإن عُوِّد الشر وأُهمِل إهمال البهائم ، شقي وهلك .

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١٢١١/٢ (رقم ٣٦٧١) كتاب الأدب ، باب بر الوالد والإحسان إلى البنات ، قال البوصيري : هذا إسناد ضعيف ، الحارث بن النعمان ، وإن ذكره ابن حبان في « الثقات » فقد لينّه أبو حاتم .

وصيانته بأن يؤدِّبه ، ويهذّبه ، ويعَلِّمه محاسن الأخلاق ، ويحفظه من قرناء السوء » (١) .

إن صلاح الطفل ، وتهذيب نفسه بالأخلاق ، والعادات الإسلامية ، هو الطريق لصلاح المجتمعات ، واستقامتها على المنهج الإسلامي القويم « والطفل الصغير يولد مزودًا بقدرة فائقة على اكتساب ما يلقى إليه من خير ، أو شر ، وإن كانَ هو ميالاً إلى الخير أكثر منه إلى الشر ؛ لأنه مفطور على الخير وحبه ، إلاَّ أنه يحتاج إلى التوجيه والتأديب » (٢) .

وهذا يدلنا على مدى تركيز سلفنا الصالح على ضرورة التأديب التربوي ، والغرض منه ، بحيث يوجِّهون الأطفال ؛ ليتعلموا السلوك والتطبيق العملي لهذا الدين ، عقيدة ، وسلوكًا ، ومنهج حياة .

يتعلمون ذلكَ السلوك ، وتلك الآداب من سيرة العلماء وحالهم عمليًا ، كما يتعلمون مسائل العلم النظري .

عن مالك بن أنس ــ رحمه اللَّه ــ قال : قال ابن سيرين : « كانوا يتعلمون الهدي (٣) ، كما يتعلمون العلم ، قال : وبعث ابن سيرين رجلاً

---

(١) « إحياء علوم الدين » للغزالي ٣/٦٢ ، « بيان الطريق في رياضة الصبيان ونشوئهم ، ووجه تأديبهم » .

(٢) « مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد » لعدنان صالح باحارث ص ١٦٣ .

(٣) **الهدي** : الطريقة والسيرة كما في « القاموس » ٤/٤٠٦ .

فنظر كيف هَدْيُ القاسم (١) وحالُهُ » (٢) .

قال إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال : قال لي أبي : « يا بنيَّ ايتِ الفقهاء ، والعلماء ، وتعلّم منهم ، وخذ من أدبهم ، وأخلاقهم ، وهديهم ؛ فإن ذلكَ أحب إليَّ من كثير من الحديث » (٣) .

وعن ابن المبارك قال : قال لي مخلد بن الحسن : « نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث » (٤) .

وعن محمد بن نعيم الضبي قال : سمعت أبا زكريا العنبري يقول : « علم بلا أدب ، كنار بلا حطب ، وأدب بلا علم ، كروح بلا جسم » (٥).

وإنما شبهت العلم بالنار ؛ لما روينا عن سفيان بن عيينة أنه قال : « ما وجدت للعلم شبهًا إلاَّ النَّار ، نقتبس منها ، ولا ننتقص عنها » (٦) .

* * *

---

(١) **القاسم** : هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، أحد الفقهاء السبعة ، وهو من أكابر التابعين الفضلاء العلماء .

(٢) « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي ١/٧٩ .

(٣) « المرجع السابق » ١/٨٠ .

(٤) « المصدر السابق » .

(٥) « المصدر السابق » .

(٦) المعنى أننا نأخذ منها الدفء وغيره ، ولا ينقص منها شيء ، وكذلك العلم . « المرجع السابق » .

الفصل الثاني
من آثار التأديب التربوي

وفيه مباحث :

المبحث الأول : آثار التأديب من الناحية العقلية .

المبحث الثاني : آثار التأديب من الناحية السلوكية .

المبحث الثالث : آثار التأديب من الناحية الاجتماعية .

تمهيد

من آثار التأديب التربوي

قال : أبو الحسن الماوردي :

« يكتسب (الطفل) من الأدب الصالح ... العقل النافذ .

ومن العقل النافذ ... حُسن العادة .

ومن حُسن العادة ... الطباع المحمودة .

ومن الطباع المحمودة ... العمل الصالح .

ومن العمل الصالح ... رضا الرَّب » (١) .

لقد استهدف علماء الفكر التربوي الإسلامي من تأديب الطفل تحقيق أفضل مصالحه ، والوصول به إلى أقصى ما تمكنه استعداداته ، وتحمل قدراته ، فكانت توجيهاتهم إلى مربي الطفل ، أن يعتمد حال الصبي ، وما هو مستعد له ، ومهيأ له منها ، ومن عدة نواحٍ :

١ ـ من الناحية العقلية .

٢ ـ من الناحية السلوكية ، والنفسية .

٣ ـ من الناحية الاجتماعية .

* * *

---

(١) « نصيحة الملوك » لابي الحسن الماوردي ، تحقيق محمد الخضر ص ١٧٢ .

المبحث الأول

من آثار التأديب من الناحية العقلية

نعلم أن عقل الطفل في مرحلة الطفولة ، خامة لينة يمكن تشكيلها بالصورة التي نريد .

« وإن الأفق العقلي للطفل محدود ، وتجاربه في الحياة محدودة ومعدومة ، ومعرفته للعالم ، وما يدور حوله ، قاصرة ومحدودة ، وأفكاره محدودة ، وليس باستطاعته أن يدرك حكمًا عقليًا عامًا ، ولكنه يدرك الأمور الحسية » (١) ، ويحسن التعامل معها .

وهذا ما يجب على المدرس أن ينتبه إليه عند إعطائه مفاهيم جديدة ، وخاصة إذا كانت المفاهيم علمية .

---

(١) « التربية الإسلامية وفلاسفتها » لمحمد عطية الإبراشي ص ٤٧ .

المبحث الثاني

من آثار التأديب من الناحية السلوكية والنفسية

إن نفسية الطفل كالصفحة البيضاء يمكن أن نخطَّ عليها ما نشاء وإن الصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ... فإن عوّد الخير وعلمه نشأ عليه .

والطفل يحتاج إلى المعايير السلوكية ، وهذه المعايير تشمل :

« التعاليم الدينية بالالتزام بالدين عقيدة ، وسلوكًا ، ومنهاج حياة ، والمعايير الأخلاقية ، والقيم الاجتماعية ، واللوائح المدرسية ، والعرف والعادات والتقاليد ... » (١) .

---

(١) « علم النفس الاجتماعي » لحامد عبد السلام زهران ص ١٠٧ بتصرف .

المبحث الثالث

من آثار التأديب من الناحية الاجتماعية

إن دور المربي في تربية الطفل من الرفق بـه ، والحنـو عليـه والرقـة لـه ، واستعمال وسائل التأديب المحببة للطفل ؛ لأن :

الولد غرٌّ ،وقريب العهد بالكون ، وجاهل بالحال ، وعارٍ من التجربة .

الطفل الصغير يقنع بكل جواب ، ويصدق كل ما يسمع ، ويقلِّد كل ما يراه من حركات وتصرفات ، ولهذا كانت مسؤولية الوالدين والمربين كبيرة ؛ لتأثيرهم عليها .

والطفل في صغره لا يعرف ، ولا يميز بينَ الصالح والطالح ، والخير والشر ، إنما لديه رغبة يحس بها في نفسه تدفعه إلى طاعة من يوجهه ويرشده (١) .

ولما كانَ التأديب هدفه تربوي ، وأساليبه تربويه قرر ابن الجزَّار القيرواني ، ضرورة تأديب الطفل في الصغر ، لأن الصغير أساس قيادة ، وأحسن مواتاة وقبولاً ، وقد نرى من الصبيان محبًا للكذب ، ونرى منهم محبًا للصدق (٢) .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : لماذا هذا الاهتمام بالتأديب التربوي للأطفال ؟

---

(١) « التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة » لعبد الرحمن النحلاوي ص ١٤٦ .

(٢) « سياسة الصبيان وتدبيرهم » لابن الجزّار القيرواني ص ١٣٤ .

يجيب أحد علماء الفكر التربوي الإسلامي على ذلكَ ، فيقول : « يكتسب (الطفل) من الأدب الصالح ... العقل النافذ .

ومن العقل النافذ ... حُسن العادة .

ومن حسن العادة ... الطباع المحمودة .

ومن الطباع المحمودة ... العمل الصالح .

ومن العمل الصالح ... رضا الرب » (١) .

كما أدرك علماء الفكر التربوي الإسلامي خطورة الإفراط في تكريم الطفل ، والاستجابة لكل ميوله ورغباته ، حتَّى لا تكون عائقًا في تعليمه وتأديبه ، وهذا ما نبه إليه أبو الفرج بن الجوزي ناصحًا : « ينبغي للمربي والوالد ، أن يكتم حبَّه للولد ، لأنه يتسلط عليك ، ويضيع مالك ، ويبالغ في الإدلال ، ويمنع عن التعليم والتأديب » (٢) ؛ لخضوع مربيه والمحيطين به من الإخوة والأخوات في تلبية رغباته وميوله كما يريد ، وبلا حدود .

إن هذا السلوك الخضوعي من المربين : « يؤدي إلى تكوين الغرور ، والثقة الزائدة بنفسه ، مما يؤدي إلى العصيان ، والإهمال وعدم احترام السلطة الضابطة عند الأطفال .

وإذا ما ظهر هذا الميل ظهورًا فعليًا في سلوك الطفل ، فإن هذا يؤدي

---

(١) « نصيحة الملوك » لابي الحسن الماوردي ـ تحقيق محمد الخضر ص ١٧٢ .

(٢) « صيد الخاطر » لابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ص ٢٨٥ .

إلى سوء التكيف الشخصي والاجتماعي ، ونتيجة لهذا يصبح الطفل في حالة من التوتر الانفعالي » (١) ، ويؤدي إلى سوء الأدب .

يكتسب من الأدب السوء ... فساد العقل .

ومن فساد العقل ... سوء العادة .

ومن العادة السيئة ... رداءة الطبع .

ومن الطباع الرديئة ... سوء العمل .

ومن سوء العمل ... سوء المقالة ، وغضب اللّٰه (٢) .

ونتيجة لما يجري لبعض الأطفال من سوء التكيف الاجتماعي ، والشخصي ، والتوتر الانفعالي ، مما يؤدي إلى فساد العقل ، وسوء العادة ، ورداءة الطبع ، وسوء العمل ، إلى سوء المقالة ، إلى غضب اللّٰه ، كل هذا يوجب على المربين أن يأخذوا الأطفال بالتأديب منذ الصغر ؛ لأن الأدب ينقل الطبع المذموم إلى الطبع المحمود ، فيقوم بتهذيب أخلاقه ، وإحياء ضميره ، وتعويده فعل الخير ، واجتناب الشر ، وتوجيه ميوله ورغباته الفطرية إلى الطريق المستقيم ، وهي كلها عادات صحية ، ونفسية وسلوكية واجتماعية ، يجب على المربين أن يبذلوا قصارى جهدهم في بثها في نفوس هذه البراعم التي عُهِدَ إليهم بتربيتها .

---

(١) « أضواء على الشخصية والصحة العقلية » لعثمان لبيب فرج ص ١٣٤، ١٣٥ .

(٢) « نصيحة الملوك » لأبي الحسن الماوردي ، تحقيق محمد الخضر ص ١٧٢ .

الفصل الثالث

نماذج من التأديب التربوي عند السلف الصالح

وفيه مباحث :

المبحث الأول : عبد الملك بن مروان .

المبحث الثاني : هشام بن عبد الملك .

المبحث الثالث : عبد الملك بن حبيب .

المبحث الرابع : هارون الرشيد .

تمهيد

نماذج من التأديب التربوي عند السلف الصالح :

من وصية عبد الملك بن مروان ـ رحمه اللّه ـ إلى مؤدب ولده :

ـ علمهم الصدق ، كما تعلِّمهم القرآن .

ـ جنبهم السفلة ، فإنهم أسوأ النَّاس ورعًا ، وأقلهم أدبًا .

ـ جنبهم الحشم (الخدم) فإنهم لهم مفسدة .

ـ علمهم الشعر يمجدوا (يرتفعوا) وينجدوا .

لقد أدرك المسلمون من سلفنا الصالح ـ رضوان اللّه عليهم أجمعين ـ قيمة التأديب ، وجعلوا الأدب أساس النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة ونبَّهوا إلى هذا الأمر الخطير ، فكانوا يتخيرون لأولادهم المؤدب الذي تتحقق فيه شروط المؤدب عندهم .

وقد لخص أبو شامة الشافعي في كتابه « مجموعات الرسائل » آداب معلم الصبيان بما يلي : « يبدأ بإصلاح نفسه ، فإن أعيُنهم إليه ناظرة ، وآذانهم إليه مصغية ، فما استحسنه فهو عندهم الحسن ، وما استقبحه فهو عندهم القبيح ، ويلزم الصمت في جلسته ، ويكون معظم تأديبه بالرهبة ، ولا يكثر الضرب والتعذيب ، ولا يمازح بينَ أيديهم أحدًا ، ويقبح عندهم الغيبة ، ويوحش عندهم الكذب ، والنميمة »(١) .

---

(١) « التربية الإسلامية وفلاسفتها » لمحمد عطية الأبراشي ص ١٣٩ .

المبحث الأول

هذا عبد الملك بن مروان ، يرسل ولده إلى المربي لتأديبه ويوصيه ببعض الآراء التربوية التي يريد من المربي غرسها في تربية ولده ، التربية العلمية والخلقية ، والدينية والجسمية لتكوين الصورة الحقيقية للطفل المسلم .

وفي هذه العجالة نقتطف جزءً من وصية عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده ، فيقول : « علِّمهم الصدق كما تُعلِّمهم القرآن .

ـ جنبهم السفلة ؛ فإنهم أسوأ النَّاس ورعًا ، وأقلهم أدبًا .

ـ جنبهم الحشم (الخدم) ؛ فإنهم لهم مفسدة .

ـ علِّمهم الشعر ؛ يمجدوا (١) (يرتفعوا) ، وينجُدُوا ... (٢) .

وإذا احتجت إلى تناولهم بأدب ، فليكن ذلكَ في ستر ، ولا يعلم به أحد من الحاشية ؛ فيهونوا عليه (٣) .

ففي هذه الوصية يطرح عبد الملك بن مروان بعض الآراء التربوية ، التي يجب على المربين الأخذ بها في تربية الأطفال ، منها التربية الخلقية : « علمهم الصدق ، جنبهم السفلة ، والخدم ... » ؛ لأنهما مصدر كل مفسدة .

---

(١) **المجدُ** : هو العزُّ ، والرفعَةُ ، والنبلُ ، والشرف .

(٢) **ينجدوا** : أي يكسبوا الشجاعة والرفعة .

(٣) « العقد الفريد » تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين ، لابن عبد ربه ص ١٢٥ .

والطفل لا بدَّ له من قدوة حسنة يراها في كل معلم من معلميه ليقتنع حقًا بما يتعلمه ، وليرى فعلاً أن ما يطلب منه من السلوك المثالي أمر واقعي ممكن التطبيق .

فالتربية بالقدوة خير وسيلة لبناء الشخصية الفاضلة المتكاملة .

قال عمرو بن عتبة لمؤدب ولده : « ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك ، فإن أعينهم معقودة بك .

- فالحسن عندهم ما صنعت .
- والقبيح عندهم ما تركت .
- علمهم كتاب اللّه ، ولا تملهم فيه فيتركوه ، ولا تكرههم عليه فيهجروه .
- ولا تخرجهم من فن إلى فن حتّى يحكموه .
- وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتّى يعرف الداء .
- وهددهم بي ، ولا تضربهم دوني فيزدادوا بذلك صلاحًا » (١).

فعمرو بن عتبة ينصح مؤدب ولده بإصلاح نفسه أولاً ؛ ليكون قدوة

---

(١) « آراء ابن عرضون في تربية الطفل » د . مصطفى المهماة ، « دعوة الحق جمادي الثاني » ص ١٣٩ ، وفي كتاب « المغراوي وفكره التربوي » ص ٨١ ، و« تذكرة السامع والمتكلم » لبدر الدين بن جماعة ص ٨٥ ، و« تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين » لابن عبد ربه ص ١٢٥ .

حسنة لمن يريد تأديبه ، لأنهم يقْفُون أثره ، ويجْرُون على طريقته ، ويُحاكونه في أقواله وأعماله وحركاته ، يستحسنون ما يفعل ، ويستقبحون ما يترك .

ـ وأن يعلّمهم كتاب اللّه ، وأن يكون لهم نبراسًا يهتدون به وأن يكون لهم كالطبيب يعرف متى يقدم الدواء .. ولأي داء .

* * *

المبحث الثاني

وهذا هشام بن عبد الملك ، يبين لمؤدب ولده شروطه فيقول : « إن ابني هذا هو جلدة ما بينَ عيني ، قد وليتك تأديبه ، فعليك بتقوى اللّه ، وأدِّ الأمانة .

- وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب اللّه .
- وبصّره طرفًا من الحلال والحرام ، والخطب ، والمغازي (١) .

فهشام يقول لمؤدب ولده : إن ابني أعزّ شيء لدي ، وقد تركت لك تأديبه ، وتعليمه ، وتهذيبه ، فأوصيك بتقوى اللّه ، وأداء الأمانة ، لأن لصلاح المعلم أثرًا كبيرًا في المتعلم ، كما يوصيه بالعناية بحفظ القرآن ، ودراسته ، والتأدب به .

إن الأثر الحسن الذي يتركه المربي الكفء في نفوس تلاميذه هو صورة لهذا المربي في علمه وعمله ، في أدبه وخلقه ، في مظهره وحركاته ، وإيماءاته وألفاظه ، ومجمل سلوكه .

لذا وجب على المربيِّ أن يكون قدوة حسنة ونموذجًا طيبًا .

* * *

---

(١) « التربية الإسلامية وفلاسفتها » لمحمد عطية الأبراشي ص ١٤٢ .

المبحث الثالث

وهذا عبد الملك بن حبيب (١)، كتب كتابًا لمؤدّب بنيه قال فيه : « فليكن أولَ ما تؤدِّب نفسك ؛ فإن عيني متعلقة بهم ، وأعينهم متعلقة بك ؛ فالحسن عندهم ما استحسنته ، والقبيح عندهم ما استقبحته ، وعلمهم كتاب اللّه » (٢) .

إنهم « الأطفال » مهما سمعوا من المربِّين ، فإنهم لن يحملوا في داخل أنفسهم سوى الصورة التي يرونها أمامهم من أنواع وأنماط السلوك ، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر (٣) .

* * *

---

(١) انظر « فصل علم وكتاب تربوي » من هذا الكتاب ص ٢٩٧ .

(٢) « جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان » لأحمد جمعة المغراوي ص ٨١ .

(٣) « طفلك في عامه الثامن » لأحمد السعيد يونس ص ٦٤ .

المبحث الرابع

وهذه وصية **الخليفة العباسي هارون الرشيد** إلى كل من سيبويه الذي عهد إليه بتأديب ابنه المأمون ، وإلى الأحمر - وهو : علي بن الحسن - الذي عهد إليه بتأديب ابنه الأمين ، وهذه الوصية تحث المربين أن يتخذوها نبراسًا لهم في تربية أبنائهم ؛ فإنهم يجدون فيها الحكم والنصائح الثمينة ، والأسلوب الأمثل في التعامل مع الطفل باللين ، والرفق ، وشغل فراغه بما ينفعه ، فنراه يقول : يا أحمر ! إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، فصيّر يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، فكن بحيث وضعك أمير المؤمنين ... أقرئه القرآن ... وأمنعه من الضحك إلاَّ في أوقاته .

- ولا تمرّن بك ساعة إلاَّ وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها .

- ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه .

- وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فإن أباهما ، فعليك بالشِّدة والغِلْظَة (١) .

نلاحظ من خلال عرض مضامين هذه الصور من التأديب أنها تحتوي - كما يرى ابن خلدون - على منهج كامل في التربية والتأديب للطفل المسلم ، وذلك بإفادتهم علميًا وخلقيًا وأدبيًا .

فقد أجمعت الصور الأربع للتأديب على قواسم مشتركة بينهما منها :

---

(١) « العبر وديوان المبتدأ والخبر » لعبد الرحمن بن خلدون ، فصل في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم ص ٤٦٤ .

أن يكون المؤدِّب قدوة حسنة لمربيه ، وأن يقوم على تعليم القرآن للأطفال أولاً : لأن تعليم الولدان القرآن شعيرة من شعائر الدين ، أخذ به أهل المِلّة ، ودرجوا عليه في جميع الأمصار ، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده ، من آيات القرآن ، وبعض متون الأحاديث ، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبني عليه ما يحصل بعده من الملكات ، وسببُ ذلكَ أن تعليم الصغر أشد رسوخًا وهو أصل لما بعده (١) .

كما نلحظ من هذه القواسم المشتركة طريقة التعامل من حيثُ تهذيبهم باللين والرفق ، لا بالشدة والغلظة ، وزجرهم عن الأخلاق السيئة التي تؤدي إلى وقوع الطفل في مزالق العصيان بالابتعاد عن الصحبة السيئة والخدم .

ومن هذه القواسم أيضًا : تقديم أسلوب التأديب بطريق مباشر أو غير مباشر ، فإذا أخطأ الطفل مرة استعمل معه المربي أسلوب الحكمة بالترغيب حينًا ، وبالتغافل حينًا آخر ، أو الإرشاد إلى الخطأ حينًا والتوبيخ حينًا ، والتفهيم حينًا ، والإعراض مرة ، والإقبال أخرى .

وفي الفقرة الأخيرة من صور التأديب عند الخليفة العباسي ـ هارون الرشيدي ـ يوصي باستخدام كافة الوسائل والأساليب التربوية للطفل ، فإن لم يستجب لكل هذه الوسائل والأساليب التربوية يأمر بالآتي : « قوّمه ما استطعت بالقرب واللين ، فإن أباهما ، فعليك بالغلظة ، والشدة » ، وهو ما سنلاحظه في الفصول القادمة ـ إن شاء اللَّه ـ .

---

(١) « العبر وديوان المبتدأ والخبر » لعبد الرحمن بن خلدون ص ٤٦١ .

الباب الثاني

التأديب التربوي المعنوي للطفل

ويشتمل علَى فصلين :

الفصل الأول : الإرشاد إلى الخطأ بالنصح والتوجيه ، وفيه مباحث :

المبحث الأول : الإرشاد إلى الخطأ بالنصح والتوجيه غير المباشر .

المبحث الثاني : صور من الإرشاد إلى الخطأ بالنصح والتوجيه غير المباشر .

أ ـ التعريض : ١ ـ إياك أعنيِّ . ٢ ـ التعريض بصاحب الخطأ . ٣ ـ ما بال أقوام .

ب ـ القصة .

جـ ـ التربية بالحدث .

المبحث الثالث : الإرشاد إلى الخطأ بالنصح والتوجيه المباشر :

أ ـ النصح والتوجيه المباشر ... سرًا . ب ـ النصح والتوجيه المباشر ... علانية .

الفصل الثاني : الإرشاد إلى الخطأ بطرق تربوية أخرى ، وفيه مباحث :

المبحث الأول : الإرشاد إلى الخطأ بالتغاضي والتغافل .

المبحث الثاني : الإرشاد إلى الخطأ ـ بالهجر .

المبحث الثالث : الإرشاد إلى الخطأ ـ بالحرمان من التشجيع .

المبحث الرابع : الإرشاد إلى الخطأ ـ بالنظرة العابسة .

المبحث الخامس : الإرشاد إلى الخطأ ـ باللوم والتوبيخ :

١ ـ أشكال التوبيخ .

٢ ـ خطوات استخدام التوبيخ .

٣ ـ الاقتصاد في استخدام التوبيخ .

الفصل الأول

الإرشاد إلى الخطأ بالنصح والتوجيه

وفيه مباحث :

المبحث الأول : الإرشاد إلى خطأ بالنصح والتوجيه غير المباشر .

المبحث الثاني : صور من الإرشاد إلى الخطأ بالنصح والتوجيه غير المباشر

أ ـ التعريض :

١ ـ إيَّاك أعني .

٢ ـ التعريض بصاحب الخطأ .

٣ ـ ما بال أقوام .

ب ـ القصة .

جـ ـ التربية بالحدث .

المبحث الثالث : الإرشاد إلى الخطأ بالنصح والتوجيه المباشر :

أ ـ النصح والتوجيه المباشر سرًا .

ب ـ النصح والتوجيه المباشر علانية .

تمهيد

من أنواع التأديب التربوي المعنوي للطفل الإرشاد إلى الخطأ بالنصح والتوجيه وهو من الأساليب التربوية المعروفة لدى علماء الفكر التربوي الإسلامي امتثالاً لقوله ﷺ : « **الدين النصيحة ثلاثًا** » قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال :« **لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم** » (١) .

ولما لهذا الأسلوب من التأثير الحسن في نفوس الأطفال .

فالمربي المحب المخلص هو الذي يعمل دائمًا على توجيه براعمه وجهة الخير والحق ، ويعمل جاهدًا على تجنبهم مزالق الخطر ، ومكامن الخطأ ، بالنصيحة الذكية المؤثرة الهادئة الهادفة ، والكلمة الطيبة .

إن لنصح المربي أثرًا كبيرًا في تصحيح بعض الأخطاء التي قد يقع بها الطفل ، من إساءة أدب ، أو عدم التحلي بالأخلاق الفاضلة ، أو القيام بحركات وسلوكيات غير لائقة ، أو التقصير في كتابة واجب مدرسي ، يصف لنا أحد علماء الفكر التربوي الإسلامي خطوات التعامل مع الطفل إذا بدر منه بعض هذه السلوكيات غير المرغوبة فينصح المربي :

« أن يوقفه المعلم على ما صدر منه بنصح وتلطف ، لا بتعنيف

---

(١) رواه مسلم ، ٧٤/١ (رقم ٥٥) كتاب الإيمان ، باب الدين النصيحة .

والترمذي ، ٢٨٦/٤ (رقم ١٩٢٦) كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في النصيحة ، قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

وتعسف ، قاصدًا بذلك حُسن تربيته ، وتحسين خلقه ، وإصلاح شأنه » (١) ، ولهذا ينبغي للمربي أن يكون ذكيًا لبقًا في نصحه ، وأن يبتعد عن أسلوب الأوامر والنواهي ، على طريقة اعمل كذا ، ولا تعمل كذا .

وعلى المربي أن يلاحظ حين قيامه بأمر الطفل أو نهيه أن يجذب انتباهه أولاً ، ثُمَّ يحاول أن يفهمه الأمر بلغة سهلة يدركها الطفل ، مع مراعاة الوضوح ، والبطء ، وعدم الإكثار من الأوامر ، مبينًا له أن هذا الأمر يؤذيه ـ إن كانَ الأمر يؤذيه فعلاً ـ أو يؤذي الآخرين ، فالطفل إن عُومل بهذه الطريقة فإنه في العادة يستجيب (٢) .

وعلى المربي مراعاة طبيعة الأطفال ، وما بينهم من فروق فردية ، فليسوا جميعًا سواء في درجة التأثر بالنصيحة والتوجيه ؛ لذا ينبغي على المربي أن ينوّع بوسائله المختلفة تبعًا لطبيعة كل فرد منهم ، فبعضهم تكفيه الإشارة بتحسين سلوكه وردعه ، وبعضهم لا تكفيه الإشارة وآخر لا ينفع معه إلاَّ التصريح بلفظ التأنيب ، أو بعض عبارات اللوم .

ولهذا بيّن أحد علماء الفكر التربوي الإسلامي خطوات التدرج في إرشاد الطفل المخطئ ، فيقول : « فإن عَرف ذلكَ لذكائه بالإشارة ، فلا حاجة إلى صريح العبارة ، وإن لم يفهم إلاَّ بصريحها أتى بها وراعى التدرج

---

(١) « تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم » لبدر الدين بن جماعة ص ٥٠ .

(٢) « علم نفس النمو » لحامد عبد السلام زهران ص ١٩٣ .

في التلّطف (١) .

ويمكن للمربي أن يسلك فيه مسلكًا مباشـرًا يتـم فيـه مواجهـة المخطـئ بالخطأ ، أو غير مباشر عن طريق النصــح العـام ، أو التعريـض ، مراعيًـا عنـد اختيار أحدهما :

١ ـ حجم الخطأ (٢) .

٢ ـ مدى انتشار الخطأ بينَ أطفال المدرسة .

٣ ـ مدى استعداد الطفل لقبول النصح من المربي .

٤ ـ عدد مرات تكرار الوقوع بالخطأ بعد إسداء النصيحة .

وسنتعرض لكل من المسلكين بشيء من الإيجاز :

* * *

---

(١) « تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم » لبدر الدين بن جماعة ص ٥٠ .

(٢) « المدارس والكتاتيب القرآنية » المنتدى الإسلامي ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

المبحث الأول

الإرشاد إلى الخطأ بالنصح والتوجيه غير المباشر

يقول العلاّمة (الخطيب البغدادي) ـ أحد علماء الفكر التربوي الإسلامي ـ : « ينبغي للعالم (للمُربي) ألاَّ يدع مجالاً لنصح طلابه إلاَّ أفادهم منه » (١) .

والنصح : هو بيان الحق والمصلحة ، بقصد أن نجنّب المنصوح الضرر ، وندلّه على ما يحقق سعادته وفائدته (٢) .

فوائد النصح والتوجيه غير المباشر :

١ ـ شعور الطفل بأنه محبوب عند مربيه ؛ لأن المربي لم يظهر خطأه أمام أقرانه ، ولم يفضح أمره ، وهذه المعاملة تُشعر الطفل بالشفقة عليه ، فيزداد صلاحًا وتركًا للخطأ .

٢ ـ زيادة الثقة المتبادلة بينَ الطفل ومربيه ، عندما يَعْلم الطفل أن مربيه يعلم بخطئه ، ولكنه لا يريد أن يبوح بما فعل ، وهذا ما يجعله أكثر استعدادًا وحرصًا على إصلاح الخطأ ، وعدم الوقوع في سلوكيات غير مرغوب فيها عند مربيه .

٣ ـ يكون هذا الأسلوب فعّالاً وتُؤتي ثماره عندما يكون النصح صادرًا

---

(١) « الفقه والمتفقه » للخطيب البغدادي ٢/١٨٦ .

(٢) « أصول التربية الإسلامية » لعبد الرحمن النحلاوي ص ٢٨٢ .

من القلب ؛ لأن ما يصدر من القلب يصل ـ بإذن اللّه ـ إلى القلب .

وإن دليل النصح الصادق ، ألاّ يتوخي الناصح مصلحة شخصية ، دنيوية ، مادية لنفسه ، ولذلك وجب على المربي الناصح ، أن يتنزّه أثناء أداء واجبه التربوي عن كل رياء ، وعن كل ما يوحي للآخرين بأن له في فعله مصلحة خاصة ، لئلا يشوب إخلاصه وسمعته ، فيفقد هيبته التربوية ، وتأثيره في نفوس تلاميذه (١) .

* * *

---

(١) « أصول التربية الإسلامية » لعبد الرحمن النحلاوي ص ٢٨٢ .

المبحث الثاني

صور من الإرشاد إلى الخطأ بالنصح والتوجيه غير المباشر

للنصح غير المباشر العديد من الصور التي يمكن للمربي أن يختار منها ما يناسب الموقف التربوي الذي يعيشه ويعانيه :

لهذا يرسم أحد علماء الفكر التربوي الإسلامي للمربي خطوات متدرجة لمعالجة سلوكيات الطفل غير المرغوب فيها بطريقة تجعل الطفل يكفُّ عن الاستجابات السيئة ، ويقلع عن سوء الأدب ، دون مساس بكرامته ، كما تساعد المعلم من حل المشاكل التربوية بروح المربي السمحة بعيدًا عن الغضب والانفعال ، فينصح المعلم بعمل التالي :

أن يراقب أحوال الطلبة في آدابهم وهديهم وأخلاقهم ، فمن صدر منه من ذلكَ ما لا يليق من ارتكاب محرَّم ، أو مكروه ، أو مما يؤدي إلى فساد حال ، أو اشتغال ، أو إساءة أدب في حق الشيخ (المربي) أو غيره ، أو كثرة كلام بغير توجيه ولا فائدة ، أو حَرِصَ على كثرة الكلام ، أو معاشرة من لا تليق عشرته ، أو غير ذلكَ عرّض الشيخ (المربي) بالنَّهي عن ذلكَ : (من الأفعال ، والأقوال التي سبق ذكرها) .

- بحضور من صدر منه غير معرّض به ، ولا معيّن له .
- فإن لم ينته نهاه عن ذلكَ سرًا .
- ويكتفي بالإشارة مع من يكتفي بها .
- فإن لم ينته نهاه عن ذلكَ جهرًا .

- أو يغلظ القول عليه إن اقتضاه الحال ؛ ليزجره هو وغيره .

- ويتأدب به كل سامع (١) .

مما سبق نجد - ابن جماعة - يقدِّم لنا صُورًا من النصح غير المباشر ، وذلك بـ :

أ - التعريض :

والتعريض : هو أن تُعرِّض بالشيء ، وأنت تريد غيره ، من باب قول العرب في المثل المشهور : « إياك أعني ، واسمعي يا جارة » (٢) .

أولاً : التعريض عن طريق : (إياك أعني) :

موقف : اطلعت على خطأ لطفل ، وعـرَف الطفل ذلكَ ، وتريد أن تنصحه عن الخطأ دون أن تُذلَّه ، أو تمس كرامته ، أو تجرح شعوره .

وأمام هذا يتجلى لك أحد الموقفين :

أ - أن تقدم له النصيحة مباشرة ومواجهة ، فتثير عنده الغضب ، لا تحقق الهدف المنشود من هذه النصيحة ، ولا تغير من حاله شيئًا .

ب - أن تقوم النصيحة بطريق غير مباشر أولاً بالتعريض بالخطأ نفسه لحالة مشابهة لحالة الخطأ التي وقع فيها هذا الطفل المنصوح ، وذلك بالتعريض لهذا الخطأ ، ثُمَّ ذم ذلكَ الخطأ والتنفير فيه ، والتحذير من الوقوع

---

(١) « تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم » لبدر الدين بن جماعة ص ٦٠ .

(٢) « الأمثال » لأبي عبيد ص ٦٥ .

فيه ، كالغيبة مثلاً : فنقول له : إن فلانًا من الأطفال يمشي بالغيبة ، والغيبة فيها كذا ، وكذا ، وأخشى عليه إن لم يترك الغيبة أن يقع له ، ثُمَّ نبدأ باتباع الخطوات الثلاثة : ذم ــــ تنفّير ـــــــ تحذّير .. من كل مرض اجتماعي ، أو سلوكي ... ، أو خلقي .

ثانيًا : التعريض بصاحب الخطأ :

أن تستحث من وقع في خطأ ما على نصح فلان من النّاس ، سواءً كانَ ذلكَ زميله ، أو أخاه الصغير أو غيرهما ، فتقول لذاك : انصح أخاك أو زميلك ، لعله يتقبل منك ، ويقلع عن ذلكَ الأمر ، ثُمَّ تبين له وجه ذلكَ الخطأ ، وسُبل علاجه ، والغرض منها لفت نظر من تريد نصحه ، وإشعاره بخطئه من طَرفٍ خفي .

ثالثًا : التعريض عن طريق : (ما بالُ أقوام) ؟

تشير إلى أن هناك ملاحظة حول أمرٍ ما ، وهي كذا وكذا ، أو تقول أن أطفالاً بالمدرسة يَعلمون كذا وكذا ، وهذه إساءة للأدب ؟ أو مجانبة للصواب ؟ والدليل كذا وكذا ... ؟ .

وهذا الأسلوب النبوي التربوي كانَ يفعله النبي ﷺ عندما يبلغه أن بعض أصحابه قد وقعوا بالخطأ ، فيسلك معهم هذا الأسلوب في علاج أخطائهم :

ـ قال : ﷺ : « **ما بالُ أقوامٍ يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم ؟!** » (١) .

ـ وقال : ﷺ : « **ما بالُ أقوامٍ يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله ؟!** » (٢) .

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : كانَ النبي ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشئ لم يقل : « ما بال فلان يقول ؟ » ، ولكن يقول : ما بالَ أقوام يقولون كذا ، وكذا (٣) .

ب ـ القصة :

الإرشاد إلى الخطأ بالنصح غير المباشر عن طريق القصة .

إن للقصة أثرًا في نفوس الأطفال لما تتضمنه من سرد لأحداث ووقائع تجذب الطفل بسماعها ، وتجعله يتفاعل مع أشخاصها وأحداثها ويستجيب

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٢/٢ (رقم ٧٥٠) كتاب الأذان ، باب رفع البصر إلى السماء ، ومسلم ٣٢١/١ (رقم ٤٢٦) كتاب الصلاة ، باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة . وأحمد ١٠٨/٥ (رقم ٢٩٥) ، وابن ماجه ٣٣٢/١ (رقم ١٠٠٤٣) كتاب إقامة الصلاة ، باب الخشوع في الصلاة ، والدارمي ٢٩٨/١ .

(٢) أخرجه البخاري ٤٣٢/٤ (رقم ٢١٥٥) كتاب البيوع ، باب الشراء والبيع مع النساء و٢٢٢/٥ (رقم ٢٥٦١) كتاب المكاتب ، باب ما يجوز من شروط المكاتب ٣٨٥/٥ (رقم ٢٧٢٩) كتاب الشروط ، باب الشروط في الولاء ، والترمذي ٣٧٩/٤ (رقم ٢١٢٤) ، كتاب الوصايا ، باب ما جاء في الرجل يتصدق أو يعتق ، وأحمد ٢١٣/٦ ، ٢٧٢ .

(٣) سنن أبي داود ٢٥٠/٤ (رقم ٤٧٨٨) ، باب في حسن العشرة .

لمحتواها .

وقد جاء القرآن الكريم بالقصص المعلِّمة ذات المغزى :

ـ قال تعالى : ﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن** ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ **لقد كانَ في قصصهم عبرة لأولي الألباب** ﴾ (٢) .

الموقف : « ذكر قصة شخص من السابقين أو المعاصرين .

ـ وقع في ذلكَ الخطأ . وكانت عاقبته سيئة .

ـ أو وقع في ذلكَ . وبادر إلى تصحيح خطئه حين عرفه .

ـ أو ذكر شخص أبى أن يقع في ذلكَ الخطأ صيانة لنفسه وإكرامًا لها .

ـ أو ذكر شخص أبى أن يقع في ذلكَ الخطأ رجاء ثواب ربِّه ، وخشية عقابه » (٣) .

وللقصة بأسلوبها الممتع والجذَّاب فوائد ، نذكر منها :

١ ـ عن طريق سرد القصة يغرس المربِّي في نفس الطفل الأخلاق الحميدة ، والصفات العالية من كرمٍ ، وصدقٍ ، وشجاعةٍ .

٢ ـ كما يغرس في نفس الطفل محبة الخالق ، وشعور التقوى ، والخوف

---

(١) سورة يوسف آية : ٣ .

(٢) سورة يوسف آية : ١١١ .

(٣) « المدارس والكتاتيب القرآنية » المنتدى الإسلامي ص ١٠٥ .

من اللّه .

٣ ـ كما يغرسُ في ذهن الطفل كل عمل يقرِّبه إلى الخير والصَّلاح ، وينفِّره من سيئ الأخلاق .

جـ ـ الإرشاد إلى الخطأ بالنصح غير المباشر عن طريق التربية بالحدث:

ذكر مجموعة من الأطفال كانَ حديثهم ، وتجمعهم التنابز بالألقاب ، والتفاخر بالأنساب ، والتنادي بالجاهلية الحمقاء .

في هذا الموقف : نتأسى بما فعله رسول اللّه ﷺ ببعض أصحابه عندما تنابزوا بالألقاب ، وتنادوا بالحميَّة الجاهلية ، والأنساب الجاهلية ، فقال بعضهم يا للأوس ! ، وآخرون يا للخزرج ! .

فناداهم رسول اللّه ﷺ : « **دعوها فإنها جاهلية** » .

بمثل هذا الحدث ، وما يقع من أشباهه بينَ الأطفال داخل المحضن التربوي ، فيجب على المربي :

١) أن يكلف من وقع منه خطأ أن يكتب موضوعًا مختصرًا حول حُكم الخطأ الذي وقع فيه ، وأضراره ، والنصوص الدالة على النهي عنه باتباع القاعدة : ذم ـــ تنفير ـــ تحذير .

٢) أن يجعل موضوع السؤال عن حكم الوقوع في هذا الخطأ ، وأضراره ـ أحد أسئلة المسابقات التي تُنظَّم بينَ الطَلبة ، ويتعمد توجيه السؤال في حال حضور من وقع منه الخطأ .

ـ يتأكد من انتباهه إلى السؤال .

ـ في حال غفلته يُطلب منه إعادة الجواب (١) .

٣) أن يثني بحضور المسيئ على من فعل خلاف فعله ، فهذا كله داعية إلى الإحسان وترك الإساءة .

* * *

---

(١) « المدارس والكتاتيب القرآنية » كتاب المنتدى ص ١٠٥ .

المبحث الثالث

الإرشاد إلى الخطأ بالنصح والتوجيه المباشر

يتم الإرشاد إلى الخطأ بالنصح والتوجيه ـ المباشر ـ عن طريقين سرًا وعلانية .

أ ـ النصح والتوجيه المباشر سرًا :

وله صور عدة منها :

١ ـ أن يكون النصح والتوجيه ممزوجًا بترك الخطأ والتشجيع على فعل الصواب .

٢ ـ أن يُوجَّه الطفل إلى فعل الصواب ، وينصَح بالمداومةِ عليه ، وعدم التقصير فيه ، دون الإشارة إلى الخطأ ، واقتراف الطالب له .

٣ ـ أن يُخْبرَ المدرس الطفل بعلمه باقترافه للخطأ ويوجهه إلى ترك ذلكَ وعدم تكراره .

٤ ـ أن يكون النصح والتوجيه ممزوجًا ببيان إيقاع الطفل لنفسه بالإثم من جراء فعل الخطأ .

والصور كثيرة ، وما ذُكِرَ إشارة ، وعلى المربِّي أن يستحضر في ذهنه كثيرًا من الصُور ويختار ـ قبل مباشرة نُصح الطفل وتوجِّيهه ـ ما يناسب منها على أن يراعى في ذلكَ الأمور التالية :

١ ـ اختيار الوقت المناسب للنصح والتوجيه .

٢ ـ تكرار النصح ومعاودته بدون كلل ، بحيث يقدَّم في كل مرة بأسلوب خاص ، وطريقة مختلفة عن الأولى .

٣ ـ الحرص على مناقشة الطفل وإبانة الخطأ له (١) .

ب ـ النصح والتوجيه المباشر علانية :

إن جميع الصور التي ذكرنا بعضها في النصح والتوجيه سرًا هي نفس صُور النصح والتوجيه علانية ؛ ولبروز بعض الظواهر غير المرغوب فيها ، جعلت المربي يقوم بإعلان النصح للأسباب التالية :

١ ـ المجاهرة بفعل الخطأ ، أمام الزملاء ، مما يضطّر المربي إلى إعلان النصح حتَّى لا يشعر الأطفال بموافقة المربي على هذا الخطأ واستساغته .

٢ ـ سرعة انتشار الخطأ بينَ الأطفال ، مما يجعل المربي يقوم بالنصح علانية للأطفال الذين هم سبب في انتشار هذا الخطأ .

٣ ـ عند فشل الإرشاد إلى الخطأ بالنصح سرًا ، يضطر المربي إلى اتخاذ قرار بإرشاد الأطفال بالنصح علانية ، للحد من انتشار الخطأ ، وإعطاء صورة عدم الموافقة لبقية الأطفال عن مثل هذا التصرف أو السلوك الخاطئ .

* * *

---

(١) « المدارس والكتاتيب القرآنية » المنتدى الإسلامي ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

الفصل الثاني
الإرشاد إلى الخطأ بطرق تربوية

وفيه مباحث :

المبحث الأول : الإرشاد إلى الخطأ بالتغاضي والتغافل .

المبحث الثاني : الإرشاد إلى الخطأ بالهجر .

المبحث الثالث : الإرشاد إلى الخطأ بالحرمان من التشجيع .

المبحث الرابع : الإرشاد إلى الخطأ بالنظرة العابسة .

المبحث الخامس : الإرشاد إلى الخطأ باللَّوم والتوبيخ :

١ ـ أشكال التوبيخ .

٢ ـ خطوات استخدام التوبيخ .

٣ ـ الاقتصاد في استخدام التوبيخ .

تمهيد

يقول ابن مسكويه : « ولا يكاشف بأنه أقدم عليه (الخطأ) ، بل يتغافل عنه ، تغافل من لا يخطر بباله أنه قد تجاسر على مثله ولا همَّ به ؛ ولا سيما إن ستره الصبيّ ، واجتهد في أن يُخفي ما فعله عن النَّاس » .

المبحث الأول

الإرشاد إلى الخطأ بالتغاضي والتغافل

التغاضي من أخلاق الأكابر والعظماء ، وهو مما يعين المعلم على قوة التحمل ، ورحابة الصدر ، وينأى به عن مواضع الغضب ، واستثارة الأعصاب ، فيحسن بالمعلم أن يتغاضى عن كثير من الأمور ، مثل عدم إحضار بعض الكتب والدفاتر حسب الجدول المدرسي ، وعدم الاستيعاب ، أو إهمال الواجبات ، خصوصًا مما يحدث من الطلاب ، فيجمل به أن يضرب صفحًا عن بعض الأمور التي يسعه فيها التغاضي .

كما يجمل ألاَّ يفسِّر كل ما يحدث من الطلاب على أنه يصدر من منطلق عُدوانِّي (١) .

قال السموأل :

ربَّ شتم سمعته فتصامـ ❁ ❁ ❁ ـت وغي تركته فكفيت (٢)

فبالرفق وعدم الإسراف في الضبط والتوجيه ، والتغاضي عن بعض أخطاء الطفل وزلاته ؛ حتَّى لا نُفقده ثقته بنفسه ، ويؤدي الإشراف والتربية غايته مع يقظة داعية وحرص للبعد عن التدليل للطفل (٣) .

روى البخاري عن ابن عباس ﵄ : « كانَ الفضل رديف رسول اللَّه

---

(١) « مع المعلمين » لمحمد إبراهيم الحمد ص ٥١ .

(٢) « الأصمعيات » للأصمعي ـ تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون ص ٨٥ .

(٣) « تربية الأطفال في رحاب الإسلام » لمحمد حامد الناصر ، وخوله درويش ص ١٩٧ .

ﷺ فجاءت امرأة من خثعم ، فجعل الفضل ينظر إليها ، وتنظر إليه ، وجعل رسول اللّٰه ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشقِّ الآخر ، فقالت : يا رسول اللّٰه! إنَّ فريضة اللّٰه على عباده في الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يثبت على الراحلة ، أفأحجُّ عنه ؟ قال : « **نعم** » ، وذلك في حجة الوداع (١) .

فلقد رأيت أنه ﷺ عالج خطأ النظر إلى المرأة الأجنبية بتحويل الوجه إلى الشقِّ الآخر ، وقد أثرّ ذلكَ في الفضل .

إن استخدام هذا الأسلوب التأديبي التربوي قد شغل حيّزًا لا بأس به من فكر المربين المسلمين ، ولم يسمحوا باستخدامه إلاَّ عند الضرورة ، وراعوا في استخدامه الفروق الفردية ، بينَ طفل وآخر في طبعه ، ومزاجه ، وميوله ، فليسوا جميعًا سواء في درجة التأثر بالنصيحة والتوجيه .

لذا ينبغي على المربي أن يعرف طلابه معرفة حقة ؛ ليعامل كلاً منهم المعاملة التي تليق به ، تبعًا لطبيعة كل فرد منهم ، فبعضهم تكفيه الإشارة بتحسين سلوكه وردعه ، وآخر لا ينفع معه إلاَّ التصريح بلفظ التأنيب .

ولهذا بيّنَ أحد علماء الفكر التربوي الإسلامي خطوات التدرج في إرشاد الطفل المخطئ بقوله : « فإن عرف ذلكَ لذكائه بالإشارة ، فلا حاجة إلى صريح العبارة ، وإن لم يفهم إلاَّ بصريحها أتى بها وراعى التدرج في

---

(١) أخرجه البخاري ٣/٤٤٢ كتاب الحج ، باب وجوب الحج وفضله ، وأبو داود ٢/٤٠٠ ، ٤٠١ كتاب المناسك ، باب الرجل يحج مع غيره ، ومسلم في ٩٧٣/٢٠ (رقم ١٣٣٤) كتاب الحج ، باب الرجل يحج عن العاجز .

التلطّف » [١] .

فإن عاد الطفل إلى ارتكاب الخطأ بعد أن تغافل المربي عنه ، لا يكاشف بأنه أقدم عليه ، بل يتغافل عنه ، تغافل من لا يخطر بباله أنه قد تجاسر على مثله ، ولا همّ به ، ولا سيما إن ستره الصبي ، واجتهد في أن يُخفي ما فعله عن النّاس [٢] .

« فإن إظهار ذلكَ عليه ربما يفيده جسارة حتّى لا يبالي بالمكاشفة »[٣] .

ويضع الإمام الغزالي ــ رحمه اللّه ــ بعض الضوابط في تربية الأولاد وأسلوب تأديبهم ، ومساعدتهم حتّى يكونوا بارّين غير عاقين ، فيقول : « ويُعينهم على برِّه ، ولا يِكلّفهم من السِّر فوق طاقتهم ، ولا يلح عليهم في وقت ضجرهم ، ولا يمنعهم من طاعة ربهم ، ولا يمنن عليهم بتربيتهم » [٤] .

فالوالد لا يشتد مع ابنه ، ويختبر طاعته له بالامتحانات الشّاقة :

أ ـ كأن يمنعه من النوم في بعض الأوقات ، لإتمام عمل غير هام .

ب ـ أو يكلّفه من أعمال البرِّ والملاطفة ، وخفض الجناح ما يُلغي شخصية الولد ومكانته .

مثل : « يثور غضبًا إذا نسي الولد أن يقبِّل يده ، أو سها أن يهيئ له

---

(١) « تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم » لبدر الدين بن جماعة ص ٥٠

(٢) « تهذيب الأخلاق » لابن مسكويه ص ٢٠ .

(٣) « مدخل الشرع الشريف » لابن الحاج العبدري ٤/٢٩٥ .

(٤) « الأدب في الدين » للغزالي ص ٥٦ ، ٥٧ .

مجلسه ، أو يقرِّب له كتابه ، أو بعض أدواته ولوازمه .

بل يحاول المربي أن يتغافل عن بعض زلاّت الولد ، ولا يعاقبه إلاَّ على الواجبات إن قصرَّ فيها ، أو الأخطاء الكبيرة ، كأن يُسيء الأدب معه ، أو مع أحدٍ من زملاء المدرسة ، أو يرفع صوته في وجهه » (١) .

* * *

---

(١) « مسؤولية الأدب المسلم في تربية الولد » لعدنان حسن صالح باحارث ص ٢١١ .

المبحث الثاني
الإرشاد إلى الخطأ بالهجر

حين لا يجدي أسلوب النصح والتوجيه ، والتوبيخ واللوم في إرشاد الطفل عن خطئه ، فيمكن للمربي أن يهجر الحديث مع الطفل المخطئ ، كما يوجه التلاميذ إلى مقاطعته وعدم الحديث معه أو مخالطته ، أو زجره ، وأن يتخذ معه شتى الأساليب التربوية حتّى يعود ويُظْهِرَ النَّدَم على ما قام به من خطأ مخالفٍ للآداب التربوية والشرعية .

روى البخاري ، ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : نهى رسول اللّه ﷺ عن الخَذْف (١) ، وقال : « **إنه لا يقتل الصيد ، ولا ينكأ العدو ، وإنه يفقأ العين ويُكْسِرُ السن** » (٢) .

وفي رواية مسلم : « أن عبد اللّه بن المغفل رأى رجلاً يخذف ، فقال له : لا تخذف ، فإن رسول اللّه ﷺ كانَ يكره - أو قال ينهي عن الخذف - ؛ فإنه لا يصطاد به الصيد ، ولا ينكأ به العدو ولكنه يكسر السِّن ويفقأ العين ، ثُمَّ رآه بعد ذلكَ يخذف ، فقال له : أخبرك أن رسول اللّه ﷺ كانَ يكره ، أو ينهي عن الخذف ، ثُمَّ أراك تخذف ! لا أكلمك كلمة كذا وكذا » ، وفي حديث لا أكلمك أبدًا (٣) .

---

(١) يخذف الخذف هو رمي الإنسان بحصاة ، أو نواة ، ونحوها يجعلها بينَ أصبعيه .

(٢) أخرجه البخاري ٦١٥/١٠ (رقم ١٢٢) كتاب الأدب ، باب النهي عن الخذف .

(٣) ومسلم ١٥٤٧/٣ (رقم ١٩٥٤) كتاب الصيد والذبائح ، باب إباحة ما يستعان به على الاصطياد والعدو ، وكراهة الخذف .

لقد رأيت أنه ﷺ والرعيل الأول من أصحابه كانوا يُؤدِّبون بالهجر في إصلاح الخطأ ، وتقويم الاعوجاج ، حتَّى يرجع المنحرف إلى جادة الصواب ، قال الشاعر :

يا قلب صبرًا على هجر الأحبة لا ❁ ❁ ❁ تجزع لذلك فبعض الهجر تأديب

شروط الهجر :

قبل تنفيذ الهجر لا بدَّ للمربي من التنبه إلى الأمور التالية :

١ ــ أن يكون الهجر والمقاطعة على خطأ شنيع يصاحبه عِنادٌ من الطفل ، ولا يصح أن يهجر الطفل لخطأ هيِّن .

٢ ـ ألاَّ يزيد الهجر فوق ثلاثة أيام ؛ لقوله ﷺ : « **ولا يحل المسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام** » (١) .

٣ ـ ألاَّ يطبِّق المربي الهجر والمقاطعة حين يخشى على الطفل عدم مواصلة الدِّراسة .

٤ ـ أن يلغي الهجر حين يعتذر الطفل ، ويتعهد بعدم الاستمرار في الخطأ الذي هُجِرَ لأجله .

٥ ـ ألاَّ يطلب من بقية الأطفال تطبيقه إلاَّ حين يظن أن أغلبهم على الأقل سيطبِّق ذلكَ التوجيه ، أما حين لا يظن ذلكَ فعليه أن يقتصر على نفسه بالهجر فقط ، حتَّى لا يكون محلَّ سُخرية واستهزاءٍ من الطفل المراد تأديبه .

---

(١) « صحيح البخاري » كتاب الأدب ١٠/٤٩٦ (رقم ٦٠٦٥) .

٦ ـ ألاَّ يطبِّق الهجر إذا لم يظن أن فيه مصلحة راجحة ، أو كانَ لدى الطفل رغبة فيه (١) .

كل هذا يدل على أن المربي يحق له ، بل يجب عليه أحيانًا أن يُحرم الطفل المخطئ من مُعاشرة زملائه فترة من الزمن ، والإعراض عنه تأديبًا له ، وردعًا لأمثاله ، حتَّى يشعر بندمه ، وتوبته ، ورجوعه إلى الصواب ، أو يُؤخذ عليه العهد بذلك ، شريطة أن يعرف خطأه وسبب استخدام هذا الأسلوب التأديبي معه ، وأن يتوسم فيه الاستفادة من هذا الأسلوب التربوي .

* * *

---

(١) « المدارس والكتاتيب القرآنية » المنتدى الإسلامي ص ١١٠ ، ١١١ .

المبحث الثالث

الإرشاد إلى الخطأ بالحرمان من التشجيع

حين لا يجدي أسلوب النصح والتوجيه ، وأسلوب التوبيخ واللوم م إرشاد إلى الخطأ يمكن للمربي أن يستخدم أسلوب حِرْمان الطفل مـ التشجيع بنوعيه المعنوي ، والمادي مثل : ـ

أ ـ حرمانه من التشجيع المعنوي : كأن يقطع عنه ما عوّده من إقبال وتبسم ، ومدح ، وثناء على كل صواب ، أو جواب ، أو عمل صحيح ، أو تقديم واجب ، أو نحو ذلكَ من الحوافز الإيجابية ليستمر في سلوكه الطيب ، وأدائه الفعّال ، ليؤدي الحرمان دوره كأسلوب تأديبي تربوي على تقصيره ، أو صدور خطأ منه .

ب ـ أن يحرمه من المشاركة في رحلة مدرسية ، أو مسابقة ثقافية ، أو حرمانه من القيام ببعض المهام التي يرغب القيام بها :

كالإشراف على اللجنة الثقافية للطابور الصباحي ، أو أحد عناصر هذه اللجنة ، أو حرمانه من الدخول في مسابقة علمية ، أو انتدابه عرِّيفًا للفصل .

جـ ـ حرمانه من التشجيع المادي :

مثل الحرمان من مكافأة نقدية ، أو عينية ، أو بطاقة « أحسنت » ، « ممتاز » ، « جيد جدًا » ، أو بطاقة « بارك اللَّه فيك » ، « وفقك اللَّه » ، « جزاك اللَّه خيرًا » .

بشرط : أن يكون المربي قد عوّد طلابه على تقديم الحوافز التي ذكرناها أعلاه ؛ ليكون لهذا الحرمان أثر في تقويم الأخطاء التي وقع بها الطفل .

« إن حرمان الطفل من بعض المكافآت أو الامتيازات التي يتمتع بها قد يكون من أجدى أنواع العقوبات ، ملائمة لنفسية الأطفال في المراحل الأولى من دراستهم ، وإذا كانَ هذا العقاب عادلاً ، فسينمِّي شعور الطفل بالعدالة ، ولن ينجم عنه حقد أو نقمة » (١) .

ومن المفيد أن يكون إعلام المربي للطفل باستخدام أسلوب الحِرْمان من التشجيع في البداية سرًا ؛ حتّى يراجع الطفل نفسه ، ويثوب إلى رشده ، ويكون التأديب التربوي بالحرمان قد أعطى ثماره .

فإن استمر في خطئه وكانت هناك فائدة راجحة بإعلان ونشر سبب الحرمان لبقية الأطفال ، ليحذروا الوقوع في الخطأ الذي تم فيه استخدام أسلوب الحرمان فلا بأس (٢) .

وقد برهنت التجارب على نجاح طريقة حرمان الطفل من بعض الحوافز التشجيعية كوسيلة ناجحة ؛ لإصلاح سلوكهم في حالة ارتكاب أعمال خاطئة .

---

(١) « مجلة المعرفة » وزارة المعارف السعودية ، د . محمد أحمد الرَّشيد : العدد ٣١ شوال ١٤١٨هـ ، ص ١٢ .

(٢) « المدارس والكتاتيب القرآنية » المنتدى الإسلامي ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

بشرط : أن يكون الحرمان على الشيء الذي أساء إليه الطفل (١) .

فمثلاً : إذا أساء الطفل إلى رفاقه ، يحق للمربي ، بل يجب عليه أحياناً أن يحرم الطفل المخطئ من معاشرة رفاقه ـ تأديبًا له ، وردعًا لأمثاله ـ ؛ حتّى يشعر بندمه وتوبته ، ورجوعه إلى الصواب ، أو يأخذ عليه العهد بذلك شريطة أن يعرف خطأه ، وسبب استخدام هذا الأسلوب التربوي التأديبي له ، وإذا خلّ بالنظام حُرم من اللعب .

والطفل يحب اللّعب ، وحرمانه منه يؤثر في نفسه تأثيرًا شديدًا .

ولكن الحرمان لا يصلح دائمًا ، فقد يستعذب بعض الأطفال الحرمان من الدرس الصعب ، أو المربي العابس القاسي ، أو الذي لا يلائم مزاجهم ، فيسيئون إلى الدرس ، بقصد الخروج منه (٢) .

في هذه الحالة يُحرم الطفل من الأشياء المحبّبة إليه كالفُسحة ، والعُطلة ، وبعض محبوباته (كاللعب بالكرة) ، بعد معرفة المربي لهذه المحبوبات وغيرها .

* * *

---

(١) « طرق التدريس العامة » د . محمد عبد القادر أحمد ص ٢١٦ .

(٢) « المرجع السابق » .

المبحث الرابع

الإرشاد إلى الخطأ بالنظرة العابسة

إن من واجب المربيِّ أن يتدرَّج في تأديب الطفل ، وتهذيب أخلاقه ، فيبدأ بعدم التشجيع ، ثُمَّ الإعراض عنه ، وإعلامه بعدم الرضا عنه ، ثُمَّ بالهجر والمقاطعة ، ثُمَّ حرمانه من محبوباته ، ثُمَّ بالنظرة العابسة في وجهه .

فالعبوس : نوع من أساليب التأديب التربوي ، ومظهر من مظاهر الغضب ، سرعان ما يتأثر الطفل بهذا المظهر ، فيستجيب أحيانًا ، ويتغاضى أحيانًا مع مراعاة الفروق الفردية بينهم .

ولذلك وجب أن نأخذ الطفل على انفراد ، ونفهمه خطأه ، حتَّى يشعر بالخطأ فيندم ويعتذر ، وقد يكفي لإصلاح المخطئ أن تعبس في وجهه ، أو ما يستدعيه من تقطيب الوجه ، ويتم ذلكَ بعد اقتراف الخطأ مباشرة ، دون أن تضمن جرحًا للكرامة ، وتكون مجدية ونافعة في تأديب الطفل وإرشاده إلى خطئه بهدوء واتزان .

قال : ابن الحاج العبدري : « رب صبي يكفيه عبوسة وجهه عليه ، وآخر لا يرتدع إلاَّ بالكلام الغليظ والتهديد كل على قدر حاله » (١) .

فالمعلم يعبس لصبي واحد ، أو لعدد يجلسون بجانب بعضهم يشتركون بخطأ يستأهل الأطفال هذا اللَّون من أساليب التأديب ، ولكن باقي الأطفال يشهدون دون شك هذا المظهر ، ويتأثرون به عن طريق العِظة والعِبْرة .

---

(١) « مدخل الشرع الشريف » لابن الحاج العبدري ٢/٣١٦ .

إن استخدام أسلوب النظرة العابسة وتقطيبة الوجه منهي عنه عند علماء الفكر التربوي الإسلامي إلاّ عند الضرورة .

إذ « قد يكون هذا العبوس ، وتكلف الغضب أدعى للقبول منه ، وليس ذلكَ لازمًا في حق أحد بل يختلف باختلاف المتعلمين » (١) .

ونرى الإمام القابسي يحذّر من استدامة استخدام أسلوب النظرة العابسة عند المعلم ، مما تجعل من الطفل يستأنس هذا المظهر الدائم فلا يصبح له تأثير على نفسه فيقول : « فكونه (المعلم) عبوسًا أبدًا من الفظاظة الممقوتة ويستأنس بها الصبيان » (٢) .

* * *

---

(١) « فتح الباري » لابن حجر العسقلاني ١/١٩٧ .

(٢) « القابس » الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين ٥٤/ب المضافة إلى كتاب التربية في الإسلام للدكتور / أحمد فؤاد ص ٣٠٩ .

المبحث الخامس

الإرشاد إلى الخطأ باللوم والتوبيخ

إن المربي لا يعدم الوسيلة المجدية في زجر الطفل وردعه ، فالتوبيخ أسلوب تربوي في معالجة بعض أخطاء الأطفال ، وإرشادهم ، والأخذ بتأديبهم .

ولا شك أن الأخذ بهذا الأسلوب يتفاوت تبعًا لطبيعة الأطفال ، وما بينهم من فروق فردية ، فمنهم من تكفيه كلمة نصح وتوجيه يرتجف لها قلبه ، ويهتز من التلميح بها وجدانه ، ومنهم من لا يردعه إلاَّ اللوم والتوبيخ .

عن أبي ذر ﷺ قال : إني كنت سابت رجلاً وكانت أمه أعجمية ، فعيرته بأمه ، فشكاني إلى رسول اللّه ﷺ ، فقال : « **يا أبا ذر ، إنك امرؤ فيك جاهلية** » (١) .

فها هو ـ صلوات اللّه وسلامه عليه ـ الأسوة ، والقدوة ، والمعلم ، والمربي الأول يعالج خطأ أبي ذر ، حين عيَّر الرَّجل بسواد أمه بالتوبيخ والتأديب ، وذلك في قوله : « **يا أبا ذر ! إنك امرؤ فيك جاهلية** » .

ونرى أحد علماء الفكر التربوي الإسلامي ينصح بالأخذ بهذا الأسلوب التربوي ، فيقول : « إن من الأطفال من يتعلم إذا عاتبه المعلم

---

(١) أخرجه أبو داود ٤/٣٤٠ (رقم ٥١٥٧) كتاب الأدب ، باب حق المملوك .

ووبخه » (١) .

كما يرى العبدري « أن من الواجب التفكير في طبيعة الطفل المخطئ ، فإن نظرة عابسة إليه قد تكون كافية لزجره وإصلاحه ، وقد يحتاج طفل آخر إلى استعمال التوبيخ والتأديب » (٢) .

كما نرى العلاّمة ابن جماعة يرسم النقاط على الحروف ليبيِّن بعض الصور من سلوكيات الأطفال غير المرضية ، والدافعة لاستخدام أسلوب التوبيخ واللوم ، فيقول :

ومع رفق المعلم بالتلاميذ فإن عليه : « أن يزجر من تعدَّى ... ، أو ظهر منه لدد في بحثه ، أو سوء أدب ، أو ترك الإنصاف بعد ظهور الحق ، أو أكثر الصياح بغير فائدة أو أساء أدبه على غيره من الحاضرين أو الغائبين ، أو نام ، أو تحدث مع غيره ، أو ضحك ، أو استهزأ بأحد من الحاضرين ، أو فعل ما يخلّ بأدب الطالب في الحلقة ، بشرط ألاَّ يترتب على ذلكَ مفسدة تربو عليه » (٣) .

١ ـ *أشكال التوبيخ :*

يتخذ أسلوب التوبيخ أشكالاً متنوعة ، فقد يكون فرديًا ، وقد يكون جماعيًا ، وقد يكون سرًا ، وقد يكون علنًا ، والأصل في التوبيخ أن يكون

---

(١) « سياسة الصبيان وتدبيرهم » لابن الجزار القيرواني ١/٢٤ .

(٢) « مدخل الشرع الشريف » لابن الحاج العبدري ٢/١٦٤ .

(٣) « تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم » لابن جماعة ص ٤١ .

سرًا بينَ الطفل ومربِّيه .

فعند ارتكاب الطفل الخطأ ، وتغافل المربي عنه : « فليوبخ سرًا ، وليعظم عنده ما أتاه ، ويحذر من معاودته » (١) .

وبتعبير آخر « فإن عاد أدّبه بما يليق من توبيخه » (٢) .

فإذا استمر بالخطأ عُوتب على ذلكَ أمام زملائه والمحيطين به ، ومع ذلكَ فلا ينبغي أن يشتمل لومه وتعريضه على : « شتم أو سب عرض ، كقول من لا يعرف لأطفال المؤمنين حقًا فيقول : يا مِسْخ ، يا قرد ، فلا يفعل (المربي) هذا ، ولا ما كانَ مثله في القبح ... » (٣) .

وعن عبد اللّه بن مسعود ﷺ قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللّعان ، ولا الفاحش البذئ** » (٤) .

فأنت يا أخي المربي ، عليك أن تنزه لسانك من الفحش ، وأن تطهره من البذاءة ، وأن تحفظه من ذكر العورات ، والابتعاد عن سفه القول ،

---

(١) « تهذيب الأخلاق » لابن مسكويه ص ٢٠ .

(٢) « رسالة في سياسة الصبيان وتعليمهم وتأديبهم » لشمس الدين الأنبابي ص ٤٣٢ .

(٣) « الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين » لأبو الحسن الفابسي ، ص أ/٥٥ مضافة في كتاب التربية في الإسلام ص ٣٠٩ .

(٤) أخرجه أحمد ٤٠٤/١ ، والترمذي (رقم ١٩٧٧) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (رقم ٢٣٢) ، والبغوي في « شرح السنة » (رقم ٣٥٥) ، وابن أبي شيبة ١٨/١١ كلهم عن ابن مسعود ، وقال الترمذي : « حسن غريب » وصححه أحمد شاكر في شرحه للمسند (رقم ٣٨٣) ، وصححه الألباني في صحيح « الأدب المفرد » (رقم ٢٣٧) .

وألاَّ تطلق للسانك العنان باسم استخدام بعض عبارات التوبيخ ، أو اللوم ، أو التأنيب .

٢ ـ خطوات استخدام التوبيخ :

إن استخدام أسلوب التوبيخ واللوم كوسيلة تربوية تكون مجدية ورادعة في زجر الطفل وإرشاده إلى الخطأ ، والابتعاد عن السلوك غير المرغوب فيه باتباع الخطوات التربوية التالية :

١ ـ أن يتدرج في استخدام أسلوب التوبيخ والزجر من الأولى إلى الأعلى ، فيبدأ اللوم بمثل قوله : هذا لا يليق بك ، ما ظننت أن يصدر منك .

ثُمَّ بقوله : هذه طباع الكسالى ، وهذه ليست من سلوكيات طالب القرآن .

ثُمَّ بقوله : إنها سلوكيات جاهلية ، ثُمَّ فيك من طباع المهملين ، وهكذا التهديد فيبدأ :

بمثل قوله : لن ترشح للرحلة القادمة أو المسابقة القادمة ، ثُمَّ بقوله : سأبلغ ولي أمرك .

٢ ـ ألاَّ يكون التوبيخ والزجر أكبر من الخطأ الممارس ، وليس فيه تعدٍّ على الطفل وعدم إنصاف له ، أو كذب عليه ، أو سب ، وألفاظ لا يليق صدورها من المربي ، وقد مر بنا دليل عدم استعمالها .

٣ ـ ألاَّ يكون التوبيخ والزجر شديدًا على نفسية الطفل ، بحيث تؤدي إلى انقطاعه عن حضور حصة الدرس .

٤ ـ أن يكون التهديد بشيء ممكن التنفيذ من قبل المربي ، وذلك حتَّى يؤدي دوره بشكل فعّال .

٥ ـ أن يحاول المربي أن يمزج توبيخه وزجره أو تهديده بتشجيع ممكن التنفيذ ثوابًا للطفل على ترك الخطأ .

٦ ـ ينبغي للمربي الاقتصاد في استخدام أسلوب التوبيخ والتهديد فرديًا أو جماعيًا عندما يُستخدم علنًا (١) .

٣ ـ الاقتصاد في استخدام أسلوب اللوم والتوبيخ :

إن أسلوب اللوم والتوبيخ مؤَثر في نفسية الطفل ، فربَّ ملاحظة مقصودة ، أو تلميح أفعل في نفس الطفل من قسوة العصا ، وفي نفس الوقت يجمل بنا الاحتراس في استعمالها خوفًا من إثارة روح الاستواء السلبي في نفس الطفل .

وللاقتصاد في استخدام هذا الأسلوب مغزاه التربوي ، فقد ثبت أن الطفل إذا تكرر لومه وتوبيخه فإنه يمر بثلاث مراحل هي :

أولاً : مرحلة التألم من الشعور بالذنب ، فضميره يؤنبه قبل أن نؤنبه نحن .

ثانيًا : مرحلة التضايق من اللوم والتوبيخ ، وإذا ما تكرر اللوم والتوبيخ تحولت الكراهية لمصدر اللوم والتوبيخ .

---

(١) « المدارس والكتاتيب القرآنية » المنتدى الإسلامي ص ١٠٩ ، ١١٠ .

ثالثًا : مرحلة اللامبالاة ، وعدم إعارة التوبيخ ومصدره أي اهتمام كلما تمادى المربي في تعنيفه ولومه (١) .

ودليل الاقتصاد في استخدام هذا الأسلوب التأديبي التربوي :

ما أخرجه الإمام أحمد عن أنس ﷺ قال : « خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما أمرني بأمر فتوانيت عنه أو ضيعته فلامني ، فإن لامني أحد من أهل بيته إلاَّ قال : دعوه ، فلو قدر ، أو قال : لوقضى أن يكون كانَ ... » (٢) .

بل إن هناك أثرًا يدل ويوجه المربين ـ من آباء ومعلمين ـ إلى الابتعاد عن أسلوب اللوم والتوبيخ ، وإظهار عيوب الطفل بكثرة .

فقد روى عبد الرزاق عن عروة عن أبيه قال : قال رسول اللّه ﷺ ، أو قال : أبو بكر ، أو قال : عمر ﷺ لرجل عاب على ابنه شيئًا صنعه : « **إنما ابنك سهم من كنانتك** » (٣) .

ولهذا نرى حرص علماء الفكر التربوي الإسلامي على الاقتصاد في استخدام هذا الأسلوب من اللوم والتوبيخ ، لما ينطوي عليه من آثار تربوية ، فهذا شمس الدين الأنبابي ـ أحد علماء الفكر التربوي الإسلامي ـ ينصح المربين ـ من آباء ومعلمين ـ بعدم الإتيان بهذا الأسلوب :

---

(١) « أسس الصحة النفسية » لعبد العزيز القوصي ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، و« أصول التربية وعلم النفس » د . محمد رفعت رمضان ، محمد سليمان شعلان ، وخطاب عطية علي ص ١٣٦ .

(٢) البخاري (رقم ٢٧٦٨) كتاب الوصايا ، باب استخدام التيمم في السفر والحضر إذا كانَ صلاحًا له .

(٣) « طرق التدريس العامة » د . محمد عبد القادر عطا ص ٢١٨ .

فيقول : « لا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين ، فإنه يهون عليه سماع الملامة ، وركوب القبائح ، ويسقط وقع الكلام في قلبه ، وليكن الأب حافظًا هيبة الكلام ، فلا يوبخه إلاَّ قليلاً ... » (١) .

ويقول الإمام الغزالي بذلك التنوع في استخدام التأديب وسيلة لتعليم الطفل العادات والآداب والقيم والمثل : « من تغافل عن خطأ الطفل أول الأمر ، إلى عتاب على الخطأ سرًا بعيدًا عن أعين الآخرين ، إلى لومه على الخطأ أمام الآخرين ، فلا يوبخه إلاَّ أحيانًا » كما يوصي بالقصد في استخدام هذا الأسلوب : « حتَّى لا يهون على الطفل بعد ذلكَ سماع اللوم » (٢) .

ما أحسن كلمة الغزالي في تعداده لوظائف المعلم فيقول : « أن يزجر المتعلم (الطفل) عن سوء الأخلاق بطريقة التعْريض ما أمكن ، ولا يُصرِّح وبطريقة الرحمة لا بطريق التوبيخ ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ، ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الإصرار » (٣) .

لذا نرى أن هذه خير نصيحة للمربين ـ من آباء ومعلمين ـ في تربية أطفالهم باستخدام هذه الخطوات من النهي عن الإكثار من العتاب ، كي يكون للوم أثر في نفوس الأطفال ، فلا يعاتب المربي الطفل على كل صغيرة أو كبيرة ، أو على كل هفوة بحسن نية ، حتَّى لا يملّوا ولا يظهروا العناد ،

---

(١) « التربية في الإسلام » د . أحمد فؤاد الأهواني ص ١٣٠ .

(٢) « إحياء علوم الدين » للغزالي ٦٣/٣ .

(٣) « مجلة المعرفة وزارة المعارف السعودية ، الضرب عند الضرورة ، د . محمد لطفي الصباغ ، العدد ٣١ ، شوال ١٤١٨هـ ، ص ٥٣ .

والسير في الطريق المضاد ، والأفضل أن يرشده إلى خطئه بحكمة ، وعلى انفراد حتّى تثمر العظة (١) .

* * *

---

(١) « التربية الإسلامية وفلاسفتها » لمحمد عطية الأبراشي ص ٢٦١ .

الباب الثالث
إرشادات تربوية على طريق التأديب التربوي الحسِّي

ويشتمل علَى أربعة فصول :

الفصل الأول : علِّقوا السوط .

الفصل الثاني : لا تؤدب وأنت غضبان :

المبحث الأول : من آثار الغضب :

أ ـ أثر الغضب في اللسان .

ب ـ أثر الغضب على الأعضاء .

جـ ـ أثر الغضب على الحالة النفسية .

المبحث الثاني : صور من الغضب :

المبحث الثالث : السنَّة النبوية وتهدئة الغضب .

الفصل الثالث : فرك الأذن .

الفصل الرابع : ارفع يدك عن الولد إذا ذكر اللَّه ﷻ .

الفصل الأول
علّقوا السَّوط

قال رسول اللَّه ﷺ : « **علِّقوا السَّوط حيثُ يراه أهل البيت ؛ فإنه لهم أدب** »

إن تعليق السَّوط في ـ المنزل ، أو المدرسة ـ أسلوب نبوي تربوي تأديبي ، أمرنا به المعلم والمربيّ الأول ، والأسوة والقدوة عليه أفضل الصلاة والسلام ، فقد روى البخاري في « الأدب المفرد » عن ابن عباس ﷺ : « أن النبي ﷺ أمَرَ بتعليق السَّوطِ في البيت » (١) .

وروى عبد الرزاق والطبراني عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **علّقوا السَّوط حيثُ يراه أهل البيت** » (٢) ، وتعليق السَّوط حيثُ يراه الأبناء يوحي بإمكانية استخدامه في التأديب لهم ، وهو أسلوب ردع إذا همّوا بخطأ ، أو تعدٍّ على أحد ، باتباع سلوك خاطئ ، أو عدم الالتزام بالطاعة ، إنه بنظرة واحدة إلى هذا السَّوط يحسب له ألف حساب ، دون إنزاله من مكانه ، ودون حاجة إلى أن يمس جسد أحدٍ ، فبمجرد إبرازه ، أو الإشارة بالأصبع نحو موقعه ، تجدهم يسارعون إلى الاستجابة الصحيحة المرغوبة في تحسين السلوك ، والسير في الطريق القويم ، وفي رواية الطبراني : « **علقوا السوط حيثُ يراه أهل البيت ؛ فإنه لهم أدب** » (٣) ، أي باعث لهم على التأديب ، وقد مرَّت بنا وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ في الحديث

---

(١) « الأدب المفرد » للبخاري ، باب تعليق السوط في البيت ٦٥٦/٢ (رقم ١٢٣٤) ص ٤٠٨ .

(٢) انظر : « سلسلة الأحاديث الصحيحة » للألباني ٤٣١/٣ (رقم ١٤٤٦) ، وأخرجه أبو نعيم ٣٣٢/٧ ، وأبو داود الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠٦/٨ .

(٣) أخرجه الطبراني في « الكبير » ٩٢/٣ ، والخطيب ٢٠٣/٢ ، وابن عساكر في « التاريخ » ٣٠٧/١٣ ، وأورده الهيثمي في « المجمع » ١٠٦/٨ ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير ، والأوسط ، والبزار ، وإسناد الطبراني منهما حسن ، وانظر : « سلسلة الأحاديث الصحيحة » للألباني ٤٣٢/٣ (رقم ١٤٤٧) .

الذي أخرجه الإمام أحمد في « المسند » : « **لا ترفع عنهم عصاك أدبًا** » (١).

ويقال : « من أدَّب ابنه صغيرًا ، قرَّت به عينه كبيرًا » ، ومن أدَّب ابنه أرغم أنف عدوه » (٢) .

وهذا عمر بن الخطاب ﷺ يأمرنا بقوله : « **علّق عصاك بحيث يراها أهل الدار** » (٣) ، أي للتهديد ، ولكنه لم ينصح باستعمالها في كل مرة (٣) .

إن رؤية السوط في المنزل أو المدرسة أدب للأطفال يجعل الطفل هينًا لينًا ، سريع الاستجابة لكل أمر مرغوب ، وبعيدًا عن كل ما يجعله عرضة لأن تمس هذه الآلة جسده ، ولهذا فإن المربي والإداري في المدرسة ليسا بحاجة إلى استخدامها ، ولكن لا بد من التلويح بها ، وحملها أمام الأطفال ؛ فالأطفال يختلفون في أمزجتهم ، وطباعهم ، وميولهم ، وأخلاقهم ، كما يتفاوتون في استجابتهم للتأديب ، فهذا طفل لا يحتاج منك إلاَّ الدعاء له ، والتثبيت على أخلاقه الفاضلة الكريمة ، وأن يكثر اللَّه من أمثاله ، وآخر تكفيه إشارة يسيرة نحو جهة السَّوط ، أو رؤيته فيرتدع عن غيّه ، ويستجيب لكل أمر ورغبة ، فلمَ نتجاوز هذه الوسيلة التربوية الناجعة ، ونبحث عن غيرها ؟ كلُّ هذا يدعونا ـ نحن المربين ـ إلى معرفة أمزجة أطفالنا فنختار لهم الأسلوب التأديبي المناسب .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/٢٣٨ .

(٢) « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ ، تحقيق أحمد شاكر ص ٢٢٨ .

(٣) « منهج التربية الإسلامية » لمحمد قطب ٢/١٤٤ .

وأما وضع قاعدة مسبقة ، بمنع حمل العصا ، أو عرضها أمام الأطفال لتتم رؤيتها على الأقل ، أو التأديب بها حسب الأصول الشرعية ، فسنعرضها إن شاء اللّٰه تعالى في دراسة مقبلة ، فإن الأستاذ المربي محمد قطب يقول بشأنه : « فوضع قاعدة مسبقة بتحريم العقوبة الحسية ، أو تحريم العقوبة إطلاقًا ، مفسد في التربية كوضع قاعدة مسبقة بضرورة استخدامها (العقوبة الحسية) في كل حالة ، ولو لم تدعُ الضرورة إليها » (١) .

ولا بد أن نضع الأمر في نصابه من شقّيه ، ويعطي - على هدي المنهج النبوي - كل ذي حقّ حقّه ، مراعين الفروق الفردية بينَ الأطفال التي تقرر نوع التأديب المعنوي ، أو الحسي ، ومقدار التأديب ، ونوعه .

* * *

---

(١) « منهج التربية الإسلامية » لمحمد قطب ١٣٦/٢ .

الفصل الثاني
لا تُؤدِّب وأنت غضبان

وفيه مباحث :

المبحث الأول : من آثار الغضب :

أ ـ أثر الغضب في اللسان .

ب ـ أثر الغضب على الأعضاء .

جـ ـ أثر الغضب على الحالة النفسية .

المبحث الثاني : صور من الغضب .

المبحث الثالث : السنّة النبوية وتهدئة الغضب .

تمهيد

كتب عمر بن عبد العزيز ـ رحمه اللّه ـ إلى أحد عماله :

« لا تعاقب رجلاً عند غضبك عليه ، بل احبسه حتّى يسكن غضبك ، فإن سكن فأخرجه ، فعاقبه على قدر ذنبه » .

هذه قاعدة تربوية يجب ألاَّ يحيد عنها المربون ، ولا ينساها الآباء والأمهات : « لا تؤدب وأنت غضبان » .

لأن الغضب يفقد صاحبه الحكمة والبصرة ، والرَّوية في الحكم ، والأناة في بحث الأمور بحثًا عقليًا من جميع جوانبها ، وحينئذ يأتي الخطأ ويحدث الظلم ، ويعيش صاحبه في حالة غضبية ، لا يفرِّق بينَ الانتقام والتأديب ، فالانتقام يصدر عن مبغض كاره ، والتأديب يصدر من قلب رحيم ، وللغضب دور كبير في تحويل خطوات التأديب التربوي التعليمي إلى أسلوب العقاب البدني الشديد والانتقام ، مما جعلنا نتوسع في دراسة هذه الظاهرة ، ونضع النقاط على الحروف ـ علّنا نُسهم في وضع حلٍ لمعاناة العقوبة الشديدة التي وصَلْنا إليها في التعامل مع براعمنا المؤمنة .

ولأن الأصل في تربية هذه البراعم التربية السليمة هو اللين والرحمة ، لا الشدة والانتقام والخروج عن المبادئ التربوية في التأديب .

رسول اللّه ﷺ الأسوة والقدوة والمربي الأول يحذرنا من هذه الظاهرة الخطيرة ، ويقدم لنا النصيحة الذهبية في هذه الأحاديث النبوية التربوية ، عن أبي هريرة ؓ أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني قال : « **لا تغضب** » ، فرددها

مرارًا قال : « **لا تغضب** » (١) ، وعن حميد بن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : قال رجل : يا رسول اللَّه ! أوصني ، قال : « **لا تغضب** » قال : ففكرت حين قال : رسول اللَّه ﷺ ما قال ، فإن الغضب يجمع الشر كله (٢) .

وعن عبد الرحمن بن عوف عن رجل من أصحاب رسول اللَّه ﷺ : أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أخبرني بكلمات أعيش بهنَّ ، ولا تُكثر عليَّ فأنسى قال : « **اجتنب الغضب** » ، ثُمَّ عاد عليه ، فقال : فذكره ... (٣) .

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **إن الغضب جمرة توقد في جوف ابن آدم ، ألا ترون إلى حمرة عينيه ، وانتفاخ أوداجه ؟ فإذا وجد أحدكم شيئًا من ذلكَ فالأرض الأرض ، ألا إن خير الرجال من كانَ بطيء الغضب ، سريع الرضا ، وشرِّ الرجال من كانَ سريع الغضب بطيء الرضا** » (٤) .

---

(١) رواه البخاري ١٠/٥٣٥ (رقم ٦١١٦) كتاب الأدب ، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر اللَّه .

(٢) رواه أحمد ، ورواته يحتج بهم في الصحيح ، « الترغيب والترهيب » للمنذري ٣/٤٤٥ .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » ٨/٥٣٥ (رقم ٥٤٣٨) ، قال عنه الألباني : إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين ، وعزاه السيوطي لابن أبي الدنيا في كتاب « ذم الغضب » . « الأحاديث الصحيحة » ٢/٥٤٤ .

(٤) أخرجه الترمذي ٤/٤١٩ ، ٤٢٠ (رقم ٢١٩١) كتاب الفتن ، باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة ، وقال : حديث حسن صحيح ، وأخرجه أحمد ٣/١٩ ـ ٦١ ، والبغوي في شرح السنة ١٤/٢٣٩ ، ٢٤٢ (رقم ٤٠٣٩) ، وقال : حديث حسن .

« لأن قوة الغضب محلها القلب ، ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام ، وإنما تتوجه هذه القوة عند ثورتها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها ، وإلى التشفي والانتقام بعد وقوعها » (١) .

والمربي الناجح هو الذي يستطيع أن يكظم غيظه ، ويضبط انفعالاته ويهدئ من نفسه ليحتمل ما يبدر من أحد براعمه .

وفي القرآن الكريم إشارة إلى هذه المعاني الكريمة قال تعالى : ﴿ **وَالكَاظِمِينَ الغَيظِ وَالعَافِينَ عن النَّاسِ وَاللَّهُ يحبُّ المحسنينَ** ﴾ (٢) .

وإذا كانَ كظم الغيظ ، والعفو عن النَّاس ، مرغوبًا فيه مع الكبار ، فهو أوجب مع الصِّبيان الذين يقعون من المعلم موقع الولد من الوالد ، وهم فوق ذلكَ في مجال التهذيب والتأديب ، لا في مجال التشفِّي والانتقام .

لذلك يبين لنا رسول اللّه ﷺ طريقة ضبط الانفعالات ، وكظم الغيظ فيقول : « ليس الشديد بالصرّعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » (٣) .

والقصة التي ذكرها ـ القابسي ـ عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الذي أمر بضرب إنسان ، ثُمَّ قال : اتركوه بعد أن أقيم للضرب ؛ لأنه كره أن يضربه

---

(١) « إحياء علوم الدين » لأبي حامد الغزالي ١٤٤/٣ ، ١٤٥ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٣٤ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٥٣٥/١٠ (رقم ٦١١٤) ، كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب ، ومسلم في صحيحه ٢٠١٤/٤ (رقم ٢٦٠٩) كتاب البرّ والصلة ، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ، وبأي شيء يذهب الغضب .

وهو غضبان (١) .

فقد استلهم النهي عن الضرب للانتقام والتشفي من نهي النبي ﷺ في حالة القضاء على المذنبين عند الغضب .

عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال : كتب أبو بكرة إلى ابنه ــ وكان بسجستان ــ بأن لا تقضي بينَ اثنين وأنت غضبان ، فإني سمعت النبي ﷺ يقول : « **لا يقضي حاكم بينَ اثنين وهو غضبان** » (٢) .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أحد عمّاله : « لا تعاقب رجلاً عند غضبك عليه ، بل احبسه حتّى يسكن غضبك ، فإذا سكن فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه » (٣) .

لهذا كله نهى ــ القابسي ــ المعلم أن يضرب الصبيان وهو في ساعة الغضب ، حتّى لا يكون ضربه أولاد المسلمين لراحة نفسه (٤) .

فالأحرى بالمعلم أن يأخذ من هذه الوصية الدروس والعبر ويجعل منها قاعدة تأديبية تربوية في خطوات التعامل مع الأطفال أثناء حالة الغضب ، وكظم الغيظ والعفو عنهم .

---

(١) « التربية في الإسلام » د . أحمد فؤاد الأهواني ص ١٤٤ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/١٤٦ (رقم ٧١٥٨) كتاب الأحكام ، باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان ، وأخرجه مسلم في صحيحه ٣/١٣٤٢ (رقم ١٧١٧) كتاب الأقضية ، باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان .

(٣) « السلوك الاجتماعي في الإسلام » لحسن أيوب ص ٨٠ .

(٤) « الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين والمعلمين » للقابسي ٥٥/ب .

عن معاذ بن جبل ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال : « **من كظم غيظًا ، وهو قادر على أن يُنفِذَهُ دعاه اللّه عَزَّ وَجَلَّ على رؤوس الخلائق يوم القيامة ؛ حتّى يخيره اللّه من الحور ما شاء** » (١) .

* * *

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه واللفظ له ٢٤٨/٤ (رقم ٤٧٧٧) كتاب الأدب ، باب من كظم غيظًا ، والترمذي في « جامعه » ٣٢٦/٤ (رقم ٢٠٢١) كتاب البرّ والصلة ، باب كظم الغيظ ، وقال : حسن غريب ، وأخرجه أيضًا في ٥٦٦/٤ (رقم ٢٤٩٣) كتاب صفة القيامة ، باب (٤٨) ، وأخرجه ابن ماجه في سننه ١٤٠٠/٢ (رقم ٤١٨٦) كتاب الزهد ، باب الحلم ، وأحمد في « مسنده » ٤٣٨/٣ - ٤٤٠ .

المبحث الأول

من آثار الغضب

« إن الغضب الذي لا تعصمه التقوى ، ولا تحده مبادئ يلتزم بها الإنسان ويأخذ به نفسه ، خوفًا من اللّٰه ورغبة في رضاه ومثوبته ، هو : داء وبيل ، وشر لا حدود لآثاره ، ونتائجه ، خصوصًا ، حين يكون الغاضب (المعلم) ذا سلطة مستمدة من منصبه ، أو من غناه ، أو منهما معًا ، ولا رادع له من إجرام ، ولا مانع من استبداد أو ظلم يحطِّم فيها آدميتهم » (١) .

ويجلب الإنسان (المعلم) الغاضب على نفسه شرورًا كانَ في غنى عنها من هذه الشرور :

أ ـ أثر الغضب في اللسان :

بما أن الغضب كثيرًا ما يفقد صاحبه وعْيَه ، فيتصرف تصرفًا ساذجًا قد يلطخ بالفحش ، من حديث أبي الدرداء ﷺ قال : رسول اللّٰه ﷺ : « **إن اللّٰه ليبغض الفاحش البذيء** » (٢) .

وقد أثبت ـ القابسي ـ في صدد غضب المعلم ، وما يصدر عنه من كلام بذيء في حق الصبيان وشتمهم ، وسب أعراضهم كل ذلكَ ؛ لأنه : « إنما تجري الألفاظ القبيحة من لسان التقي إذا تمكن الغضب من نفسه ،

---

(١) « السلوك الاجتماعي في الإسلام » لحسن أيوب ص ٧٤ .

(٢) أخرجه الترمذي ٣١٨/٤ ، ٣١٩ (رقم ٢٠٠٢) كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في حسن الخلق ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

وليس هذا مكان الغضب » (١) .

كما يبين الإمام الغزالي أثر الغضب في اللسان فيقول : إن من أثر الغضب : « انطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذو العقل ، ويستحي منه قائله عند فتور الغضب » (٢) .

ب ـ أثر الغضب على الأعضاء :

لا شك أن الإنسان يقع فريسة سهلة لخصمه إذا غضب ؛ لأن الغضب يفقده التحكم بتصرفاته وألفاظه وأعماله ، وتذكر يا أخي ـ المربي ـ أن الغضب قمين بأن يدفعك إلى أمور قد تندم عليها ، كما يبين لنا ذلكَ الإمام الغزالي ، فيقول : « أما أثره على الأعضاء ، فالضرب والتهجم ، والتمزيق والجرح عند التمكن من غير مبالاة » (٣) .

وإن شدة الغضب جديرة بأن تحفزك إلى أعمال تُخرج التأديب من النفع إلى الضرر .

- كم من جريمة حدثت وراح ضحيتها أبرياء !!
- وكم من صداقة تفككت سببها الغضب .
- وكم من أب أو معلم ضرب طفلاً على حاسة سمعه فأصمه !!
- وكم من معلم لطم طفلاً على وجهه فآذى عينيه ؟ !!

---

(١) « التربية في الإسلام » د . أحمد فؤاد الأهواني ص ١٤٥ ، القابسي ٤/أ .

(٢) « إحياء علوم الدين » لأبي حامد الغزالي ١٤٦/٣ .

(٣) « المرجع السابق » .

- وكم من معلم ضرب طفلاً بعصا حادة أو مسطرة قاطعة فجرحته وشج رأسه .

- وكم ... وكم ... وندم الأب ، وندم المعلم ... ولات حين مندم يخرج الطفل من هذا كله بعاهات جسدية لا يعلم خطرها وآثارها إلاَّ اللَّه ، وعاهات نفسية تكون أدهى وأمرّ (١) .

٣ ـ أثر الغضب على الحالة النفسية :

يبدو من استقراء بعض النصوص التي كتبها ـ الخطيب البغدادي ـ أن هناك علاقة وثيقة بينَ الحالة النفسية للمتعلم وسرعة تعلمه وثباته ، وقد أظهرت الدراسات الحديثة أن « الانفعالات الثائرة الهائجة لا تكاد تنجو من أثرها الضار وظيفة من الوظائف العقلية ، فالانفعال العنيف يشوه الإدراك ، ويعطل التفكير المنظم والقدرة على المشكلات ، وبضعف القدرة على التذكر ، ويشل سيطرة الإرادة ، مما يجعل الزمام يفلت من الفرد فيندفع إلى ضروب من السلوك الصبياني أو البدائي أو غير المهذب » (٢) .

ونجد بعض هذه المعاني عند الخطيب البغدادي حين يقول : « إن الانفعالات الشديدة سواءً كانت انفعالات فرح أو ترح تغطي العقل ، وتحجب القلب « وإذا غاب القلب لم يعقل ما يقال له » (٣) .

---

(١) « معالم التربية » د . فاخر عاقل ٣٣٩/٣٤٠ .

(٢) « أصول علم النفس » د . أحمد عزت راجح ص ١٤٢ .

(٣) « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي ٢٣١/١ .

كما وجه الخطيب طلبة العلم إلى الحالات المناسبة التي يتجنب المتعلم سؤال معلمه في حالة الغضب أو الجوع أو الحزن ؛ لأنه في تلك الحال يتغير فهمه ، ولا يستطيع إصدار أحكام صحيحة ، لذلك ينبغي للطالب ألاَّ يسأله عند انشغال قلبه (١) .

والانفعال الشديد هو العدو اللدود للتفكير الهادئ المنظم ، ذلكَ أن الانفعال يركز ذهن المفكر ويجمده في فكرة واحدة ليس غير هي موضوع انفعاله ، وهكذا يتضح لنا أثر الحالة النفسية على المتعلم وبالتالي سرعة وثبات تعلمه ومدى فهمه واستيعابه .

* * *

---

(١) « الفقيه والمتفقه » للخطيب البغدادي ٢/٩٩ ، ١٣٣ ، ١٤٢ .

المبحث الثاني

صــور من الغضــب

استطاعت تربية الرسول الكريم ﷺ للمسلمين أن ترفع من أخلاقهم أفرادًا وجماعات ، وأن يتحول المجتمع الإسلامي إلى مجتمع أخلاق وذوق وانضباط .

قال رسول اللَّه ﷺ يومًا لجمع من أصحابه : « **ما تعدُّون الصُّرعة فيكم ؟** » قالوا : الذي لا يصرعه الرجالُ ، قال : « **لا ، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب** » (١) .

لقد كانَ عبد اللَّه بن مسعود ﷺ من أفقه الصحابة وأضعفهم جسدًا ، غلبه الغضب مرة ، فجعل يضرب غلامًا له بالسَّوط ، فلما رآه الرسول الكريم ﷺ المربي والقائد ، ذكرَّه وردَّه إلى الحقيقة التي نسيها في غضبه ، فكفرَّ عن غفلته بإعتاق غلامه .

حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه قال : قال أبو مسعود البدري : « كنت أضرب غلامًا لي بالسَّوط ، فسمعت صوتًا من خلفي (اعلم أبا مسعود) فلم أفهم الصوت من الغضب ، قال : فلما دنا مني إذا هو رسول اللَّه ﷺ فإذا هو يقول : اعلم أبا مسعود ، اعلم أبا مسعود ! أنَّ اللَّه أقدر عليك منك على هذا الغلام ، فسقط السوط من يدي من هيبته ،

---

(١) أخرجه البخاري ٥٣٥/١٠ (رقم ٦١١٦) كتاب الأدب ، باب ما يجوز في الغضب ، ومسلم عن ابن مسعود .

وقلت : يا رسول اللّه : هو حرٌّ لوجه اللّه ، فقال : « **أما لو لم تفعل للفحتك النّار ، أو لمستك النّار** »(١) .

هذه صورة من صور الغضب ونتائجها ، فهل وعيت أخي المربي هذه الصورة ؟ وخطوات التعامل .

اعلم أخي المربي .. اعلم أخي المعلم .. أن اللّه أقدر عليك منك على هذا الغلام .. فهلاّ سقط السوط من يدك ، أو تسقطه أنت رغبة منك وابتغاء مرضاة اللّه والسير في منهجك التأديبي التربوي التعليمي وفق الهدي النبوي الشريف في التربية والتأديب ... ، وإلاّ ... لفحتك النّار ... ، أو ... مستك النّار .

قال الإمام الغزالي : « إن الغضب شعلة نار مستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ، ويستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبَّار عنيد ، كما تستخرجها أسباب أخرى »(٢) .

روى ابن سعد عن الواقدي : أن بلالاً ﷺ جاء يريد أن يستأذن على عمر بن الخطاب ﷺ وهو يومئذ أمير المؤمنين ، فقال له خادمه أسْلَم : إنه نائم . فسأله بلال : يا أسْلَم ... كيف تجدون عمر ؟

قال أسْلَم : خير النّاس ! إلاّ أنه إذا غضب فهو أمر عظيم !!

قال بلال : « لو كنت عنده إذ غضب لقرأت عليه القرآن حتّى يذهب

---

(١) أخرجه مسلم ١٢٨/٣ (٣٤) (رقم ١٦٥٩) كتاب الإيمان .

(٢) « إحياء علوم الدين » لأبي حامد الغزالي ص ١٦٣٦ .

غضبه !! » ، لقد كانَ بلال خبيرًا بأخلاق عمر .. لكنه أراد أن يعرف ، كيف يعامل أخصّ النَّاس به ، وأقربهم إليه ، ولهذا سأل خادمه : كيف تجدون عمر .

وكانت الشهادة أنه خير النَّاس في معاملته لأهله وخاصته وخلطائه ... لكنه كانَ ينفعل إذا غضب ... وما كانَ عمر ليغضب إلاَّ للحق ... ، ومن هنا يكون انفعاله شديدًا ... « فهو أمر عظيم » (١) .

ومن صور الغضب أيضًا :

* قال الحسن : في الغضب : يا ابن آدم ، كلما غضبت وَثبت ، ويوشك أن تثب وثبة فتقع في النَّار .

* وقال خيثمة : كأن الشيطان يقول : كيف يغلبني ابن آدم ، إذا رضي جئت حتَّى أكون في قلبه ، وإذا غضب طرت حتَّى أكون في رأسه .

* وقال علي بن زيد : أغلظَ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول ، فأطرق عمر زمانًا طويلاً .

ثُمَّ قال : أردت أن يستفزني الشيطان بعزِّ السلطان ، فأنال منك اليوم ، ما تناله منِّ غدًا (٢) .

بهذه الكلمات المضيئة بنور الهدي النبوي الشريف ، يردُّ المربي على

---

(١) « هكذا تحدَّث السلف ــ كلمات مضيئة للصحابة والتابعين » د . مصطفى عبد الواحد ص ١٤ .

(٢) « إحياء علوم الدين » لأبي حامد الغزالي ص ١٦٣٩ .

تصرفات الطفل غير المرغوب فيها من سلوك وآداب وأعمال : مثل : « أن يغلظ الطفل على المربي بالكلام ، أو يتجاهل بعض مطالبه من حل لواجب ، أو حفظ درس ، أو تلفظ بكلمة نابية أو القيام بحركات ... يردُّ المربي على طفله قائلاً : هل تريد أن يستفزّني الشيطان بعزِّ السلطان (كمربٍّ ومسؤول) فأنال منك اليوم ما أريد (شتمًا وضربًا ، وحنقًا) ، ولكني أخاف على آخرتي ... ﴿ **يَومَ لا ينفعُ مالٌ وَلا بَنُون إلاَّ مَنْ أتَى اللَّهَ بقلبٍ سَليمٍ** ﴾ (١) فسامحك اللّه ... وعندها يذهب غضبه وتهدأ نفسه ، ثُمَّ يشرح للطفل ذنبه ويرى أن الطفل يتقبل منه أسلوبه التأديبي ، ويستجيب لرغباته ، ويعتذر عما بدر منه .

* * *

---

(١) سورة الشعراء آية : ٨٩ .

المبحث الثالث

السنة النبوية وتهدئة الغضب

إن الغضب والعصبية الجنونية من الصفات السلبية في العملية التربوية ، وعلاج الغضب حتّى تجتث أصوله ، وتقتلع من النفس جذوره أمر غير ممكن بالنسبة للإنسان السوي ، وإنما العلاج الممكن .. هو علاج آثار الغضب بمعنى إيقاف الغضب عند حدود اللّه ، وإشعاره بالأخطار التي تكمن وراء انسياقه لغضبه ، وشرح الخطوات التربوية التي أمرنا بها رسول اللّه ﷺ - المربي والقائد - أن نقوم بها لعلاج آثار الغضب باتباع الخطوات التربوية التالية : -

١ - إذا حدث وأثير المربي كانَ الحل هو تسكين غضبه بكل هدوء ، وعليه السكوت إذا غضب ، وعدم الاسترسال بالكلام ؛ لقوله ﷺ : « **إذا غضب أحدكم ، فليسكت** » (١) .

٢ - بعد سكوته عليه بالاستعاذة من ﴿ **الشيطان الرجيم** ﴾ :

قال البخاري : حدثني ابن ثابت قال : سمعت سليمان بن صُرد - رجلاً من أصحاب النبي ﷺ - قال : استبّ رجلان عند النبي ﷺ فغضب أحدهما فاشتّد غضبه حتّى انتفخ وجهه وتغير ، فقال النبي ﷺ : « **إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد** » ، فانطلق إليه الرجل فأخبره بقول النبي ﷺ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٣٩/١ والحديث صحيح ، انظر « صحيح الجامع الصغير وزياداته » للألباني ٢٤٩/١ (رقم ٧٠٦) .

وقال : « **تعوَّذ باللّه من الشيطان الرجيم** » (١) .

٣ ــ وبعد استعاذته من الشيطان الرجيم ، عليه بالجلوس ، أو الاضطجاع : ويكون ذلكَ أدعى لسكونه ، وضمانًا لعدم حدوث حركة خاطئة بيده ، كأن يقذف بالقلم ، أو الطبشورة ، أو الكتاب طفلاً ، أو يضرب أحدًا ، أو غير ذلكَ ؛ لقوله ﷺ : « **إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإذا ذهب عنه الغضب ، وإلاّ فليضطجع** » (٢) .

٤ ـ فإن بقي عنده شيء من الغضب ، أُمر بالاغتسال ، وقد ثبت عمليًا نفع هذا العلاج وأثره الطيب .

عن عطية بن عروة السعدي الصحابي رضي الله عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النّار ، وإنما تطفأ النّار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ** » (٣) .

رُوي أن معاوية رضي الله عنه حبس العطاء (المرتبات) ، فقام إليه أبو مسلم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٤٨٠/١٠ (رقم ٦٠٤٨) كتاب الأدب ، باب ما ينهي عن السباب واللّعان ، وأخرجه مسلم في صحيحه ٢٠١٤/٤ (رقم ١٠٩ ، ٢٦١٠) كتاب البر والصلة ، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٢٤٩/٤ (رقم ٤٧٨٢) ، كتاب الأدب ، باب ما يقال عند الغضب ، والحديث صحيح ، انظر : « صحيح الجامع الصغير وزياداته » للألباني ٢٥٠/١ (رقم ٧٠٧) ، وابن حبان في « صحيحه » .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ٢٥٠/٤ (رقم ٤٧٨٤) كتاب الأدب ، باب من كظم غيظًا ، والسند حسن ، انظر : حاشية « شرح السنة » ١٦١/١٣ (رقم ٣٥٨٣) كتاب البر والصلة ، باب الوضوء عند الغضب . و« الأذكار » للنووي ص ٢٦٨ .

الخولاني ، فقال له : يا معاوية ، إنه ليس من كدّك ولا من كدّ أبيك ، ولا من كدِّ أمك ، قال : فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال : مكانكم ، وغاب عن أعينهم ساعة (زمنًا) ، ثُمَّ خرج عليهم وقد اغتسل ، فقال : إن أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني ، وإني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « **الغضب من الشيطان ، والشيطان خلق من النّار ، وإنما تُطفأ النّار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليغتسل** »⁽٣⁾ .

وإني دخلت فاغتسلت ، وصدق أبو مسلم ، إنه ليس من كدِّي ولا كدّ أبي ، فهلموا إلى عطائكم »⁽١⁾ .

* * *

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » ١٣٠/٢ .

الفصل الثالث

فَـــــرْك الأذن

عن عبد اللَّه بن بُسْر المازني ﵁ قال : « بعثتني أمي إلى رسول اللَّه ﷺ بقطف من عنب ، فأكـلت منه قبـل أن أبلِّغه إيـاه ، فلما جئت به : أخذ بأذني ، وقال : « **يا غُدَرُ !** »

فهذه آداب تربوية ينبغي أن يتشرَّبها الطفل ، وقد قام ببعض السلوكيات غير المرغوب فيها ، عن طريق استخدام هذه الجملة التربوية النبوية التي حدَّت من سلوكه .

* * *

الفصل الرابع

ارفع يدك عن الولد ... إذا ذكر اللّٰه تعالى

قَالَ رسول اللّٰه ﷺ :

« إذَا ضرب أحدكم خادمه ، فذكر اللّٰه ، فارفعوا أيديكم »

لقد حرصت التربية الإسلامية على تحقيق آدمية الإنسان ، وتأكيد شرفه ، وربطه بعقيدته ، وبخالقه الذي خلقه ... فخرّجت جيلاً يرى الحياة عقيدة ، وسلوكًا ، وجهادًا ، لا عبثًا ، ولا ميوعة ... يقف عند حدود اللَّه ... مستجيبًا لعقيدته ، ولو كانَ مخالفًا لرغبة جانحة في نفسه يقوم بها .

فأنت مثلاً : تريد أن توقع التأديب الحسِّي على طفلك ، كأن يكون قد مدّ يده إليك فأمسكتها لتؤدبه عليها ، أو اتخذ الجلوس على الأرض ؛ لتؤدبه على قدميه وتضربه عدد الضربات المسموح بها من المؤدب الأول محمد بن عبد اللَّه ﷺ بأن لا تزيد عن ثلاث ضربات إلى عشر ضربات ، حسب الخطأ الذي وقع فيه الطفل ، أو أنك تضرب طفلك بتأديبه ... وهو يتألم ... وأنت تقوم بالتأديب ... سمعت صوتًا من هذا الطفل يستغيث باللَّه ... كقوله : باللَّه عليك لا تضربني ، أو التلفظ ببعض الكلمات التي يتم فيها ذكر اللَّه وتعظيمه .

فإذا استجار الطفل باللَّه تعالى ، فيدعوك رسول اللَّه ﷺ أن تقف عن الضرب .. وأن ترفع يدك عنه ، وتترك الطفل .

وفي هذا لفتة رائعة ... فإن هذا الطفل وصل إلى قناعة بخطئه وذنبه ، وسيحاول إصلاح ذلكَ ، وعدم العودة إليه ، أو وصل إلى مرحلة الإنهيار النفسي ، أو الخوف الشديد .

إن الاستمرار في الضرب ، وحالة الطفل هذه ـ وهو يستغيث باللَّه ـ يعتبر جهلاً من المربي بشرع اللَّه ، وعدم امتثاله وتعظيمه لذكر اللَّه ، كما تعتبر جريمة في حق تربية الطفل ، وهذا دليل على حبِّ الانتقام والتشفّي من

هذا الطفل المسكين ، الذي وقع في أحضان الوالد الجاهل بشرع اللَّه ، والمربي الذي لا يعرف حدود مهمته ، وطريقة التعامل مع أطفاله .

روى الترمذي ، عن أبي سعيد الخدري ﷺ فيما روي عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : « **إذا ضرب أحدكم خادمه ، فذكر اللَّه ، فارفعوا أيديكم** » (١) .

وقد يقول قائل : إن الطفل إذا علم بهذا قد يتخذها وسيلة في التهرب من تأديبه التربوي الحسِّي ، والمعاودة على الخطأ ، أو حينما يتعرّف على نفسية المربي ، وسرعة استجابته وتوقفه عن التأديب إذا ذكر الطفل اللَّه تعالى ، يتخذ مثل هذه الاستغاثة باللَّه حيلة للتخلص من التأديب الحسي ، ثُمَّ يعود إلى فعله مرات ، ومرات !! .

الجواب عن ذلكَ : الاقتداء بحديث رسول اللَّه ﷺ لما فيه من تعظيم اللَّه تعالى في نفس الطفل ، وهو كذلك علاج للضارب من أن حالته الغضبية كبيرة جدًا مما استدعى من الطفل ذكر اللَّه والاستغاثة به ، ولن نتكلم مع ضعاف الإيمان إذا سمعوا مثل هذه الاستغاثات ازدادوا حمقًا ، وتعسفًا ، وضربًا ، فهؤلاء وأمثالهم بحاجة أن يذكروا ذنوبهم ، وتقصيرهم مع ربِّهم ،

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٤/٢٩٧ (رقم ١٩٥٠) ، كتاب البر والصلة ، باب (٣٢) ما جاء في أدب الخادم ، قال أبو عيسى : أبو هارون العبدي اسمه « عمارة بن جوين » ، ضعَّف شعبة أبا هارون العبدي . انظر أيضًا البغوي : « شرح السنة » ٩/٣٤٩ (رقم ٢٤١٣) كتاب العدة ، باب وعيد من ضرب عبده ، أو قذفه ، والحديث ضعيف جدًا .

وحِلْم اللَّه تعالى عليهم مع قدرته عليهم في كل آن (١) .

وهذا ما يرويه لنا أحد الذين جربوا هذه الوسيلة الناجحة عند انفعال عمر بن الخطاب ﷺ فيما يرويه عبد اللَّه بن عون بن مالك ، عن أبيه ، عن جده ، قال : « صاح عليَّ عمرُ يومًا وعلاني بالدّرة ـ السَّوط ـ ، فقلت : اذكر اللَّه ، فطرحها ، وقال لقد ذكَّرْتني عظيمًا !! » .

وهكذا كانَ عمر وقَّافًا على حدود اللَّه ... خاشعًا أمام آياته ... سريع الفيئة إلى الحق حينما يذكر به ، وقد شهد له ابنه عبد اللَّه بذلك ، إذ قال : « ما رأيت عمر غضب قط ، فذكر اللَّه عنده ، أو خوِّف ، أو قرأ عنده إنسان آية من القرآن ... إلاَّ وقف عما كانَ يريد » (٢) .

وهو الذي قال عنه خاتم النبيين ﷺ : « **لم أر عبقريًا من النّاس يَفْري فَرِيَه** » (٣) أي يصنع مثل صنعه .

هكذا يجب أن يكون كل مربٍّ مع أطفاله ، وقَّافًا على حدود اللَّه ، خاشعًا من ذكر اللَّه ، يطرح العصا من يده ، وهو قائم يؤدب بها ، ليعطي للطفل درسًا عمليًا في سرعة الاستجابة حبًا ، وامتثالاً وتنفيذًا لذكر اللَّه .

ويردد مع استغاثة الطفل القاعدة التربوية الأساسية في زرع حب اللَّه

---

(١) « منهج التربية النبوية للطفل » لمحمد نور سويد ص ٣٧٢ .

(٢) « هكذا تحدث السلف ـ كلمات مضيئة » . د . مصطفى عبد الواحد ص ١٤ ، ١٥ .

(٣) أخرجه مسلم ١٨٦٢/٤ (رقم ٢٣٩٣/١٩) كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر ﷺ .

والامتثال لأوامره في نفوس هذه البراعم المؤمنة الناشئة ... « لقد ذكَّرتني عظيمًا ... » .

إنَّ ذكر اللّه لَعظيم ـ خاصة لطفل صغير ـ ، لكن الغضب هو الذي حوّل خط سير التأديب النبوي التربوي عند الكثير من المربين إلى عقوبة قاسية شديدة تشبع حبَّ الانتقام والتشفِّي في نفس المربي من هذا الطفل المسكين .

* * *

الباب الرابع
التأديب التربوي الحسي للطفل

ويشتمل علَى فصلين :

الفصل الأول : شروط التأديب التربوي الحسي وأسسه ، وفيه مباحث :

المبحث الأول : سن التأديب التربوي الحسي .

المبحث الثاني : صفة التأديب التربوي الحسي .

المبحث الثالث : أداة التأديب التربوي الحسي ومواصفاتها .

المبحث الرابع : مواضع التأديب التربوي الحسي .

المبحث الخامس : حدُّ التأديب التربوي الحسي للطفل .

الفصل الثاني : أثر الشدَّة والقسوة في التأديب التربوي الحسي ، وفيه مباحث :

المبحث الأول : الآثار النفسية .

المبحث الثاني : الآثار الاجتماعية .

المبحث الثالث : الآثار السلبية للشدة في العملية التعليمية .

الفصل الأول
شروط التأديب التربوي الحسي وأسسه

وفيه مباحث :

المبحث الأول : سن التأديب التربوي الحسي .

المبحث الثاني : صفة التأديب التربوي الحسي .

المبحث الثالث : أداة التأديب التربوي الحسي ومواصفاتها .

المبحث الرابع : مواضع التأديب التربوي الحسي .

المبحث الخامس : حدُّ التأديب التربوي الحسي للطفل .

تمهيد

أباح علماء الفكر التربوي الإسلامي التأديب الحسِّي للطفل ، وتقويم خلقه ، وتحسين العملية التربوية ، فإنهم قد أباحوه في حدود ضيقة للغاية ، وضمَّنوه شروطًا بالغة الصعوبة في استخدامه حتَّى لا يلحق بالطفل أي ضرر:

ومن شروط التأديب الحسِّيِّ للطفل :

١ ـ أن لا يكون الضرب مبرّحًا :

يقول الهيتمي : « لا يجوز البُرح إجماعًا ولا غيره على الأصح » (١) .

ومعنى الضرب المبرِّح : هو الذي يكسر العضو ، أو يسيل الدم ، أو يَزْرقُّ منه الجلد ، أو يتورم ، ويقول أيضًا : « أن يظنه (المعلم) زاجرًا له ، من غير ضرب مبرح » (٢) .

٢ ـ لا يجوز الضرب إلاَّ بإذن :

يقول ابن حجر الهيتمي : « إنه لا يجوز للمعلم الضرب إلاَّ بعد إذن أَبٍ ، فجدٌّ ، فوصيٌّ ، فأمٌّ ، ونحوها ... » (٣) .

٣ ـ لا يوقع التأديب الحسِّي إلاَّ على ذنبٍ بيِّن :

يقول القابسي : « لا يُوقع الضرب إلاَّ على ذنبٌ بيِّن » (٤) .

---

(١) « تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال » ص ٦٤ .

(٢) « المرجع السابق » ص ٦٣ .

(٣) « المرجع السابق » ٦٢ .

(٤) « الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين » ورقة ٦٩/ب ، و« فتح الباري » ١/١٩٧ .

٤ ـ لا يوقع التأديب الحسِّي إلاَّ بعد التأكد من وقوع الخطأ :

فلا يضرب المعلم الطفل بالشبهة ، أو الظَّنِّ ، أو دون التأكد من ارتكابه لما يوجب التأديب الحسِّي عليه .

يقول ابن حجر الهيتمي : « لا بدَّ من تيقنه بالمعاينة ، أو من إخبار من يُقبل خبره بأنه فعل ذلكَ » (١) .

٥ ـ أن يكون التأديب الحسِّي على قدر الذنب :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **من ضرب ضربًا اقتصَّ منه يوم القيامة** » (٢) .

قال محمد بن سحنون في ذلكَ : « الأدب على قدر الذنب » (٣) .

أي على حسب ما يراه المعلم كافيًا لردع الطفل عن خطئه ، ولا يتجاوز ذلكَ بحال من الأحوال .

وسوف نحاول في دراستنا أن نضع بينَ يدي القارئ الكريم بعض الخطوات التي يتم فيها استخدام التأديب التربوي الحسي للطفل ... ومن هذه الخطوات : سن التأديب ،ومواضع التأديب ،وصفته ،وصفة أداته ، وحدها .

---

(١) « تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال » للهيتمي ص ٦٣ .

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (رقم ١٤٤٥) ، و« مجمع البحرين » (٣٦٦ ـ حرم) من هذا الوجه : بلفظ : « **من ضرب سوطًا ظلمًا اقْتُصَّ منه يوم القيامة** » قال عنه الألباني : إسناده صحيح ، ورجاله ثقات . « السلسلة الصحيحة » ٤٦٧/٥ (رقم ٢٣٥٢) .

(٣) « آداب المعلمين » لمحمد بن سحنون ورقة ٢/ب مضافة إلى كتاب « التربية في الإسلام » د . أحمد الأهواني ص ٣٥٥ .

المبحث الأول

سن التأديب التربوي الحسِّي

اختلف علماء التربية في السِّن الذي يستعمل فيه التأديب التربوي الحسِّي مع الأطفال .

فقد ذهب بعضهم إلى أن « الطفل يدرك قضية الثواب والعقاب ، والقيم الخلقية ، والشعور بها ، وتقبل معاييرها ما بينَ ٣ ـ ٧ سنوات » (١) .

والتأديب الحسِّي عادة لا يكون إلاَّ بعد أن يدرك الطفل ويفهم سببه ، ليحصل المقصود من إيقاعه ، فالتحقيق في هذه القضية محاولة تجنب ضرب الطفل عمومًا قدر الإمكان ، وفي جميع سني عمره ، فإن كانَ ولا بدَّ منه ، فيكون في الوقت الذي يدرك فيه الطفل معنى التأديب الحسي ، وفي المكان الذي يسمح الشرع بإيقاع التأديب عليه ، وعدد الضربات المسموح بها شرعًا .

« والطفل لا يستطيع أن يدرك مسألة الصواب والخطأ إلاَّ في الثامنة من عمره » (٢) ، كما يعي سبب التأديب ، وأنه مستحق له ، وبعد أن يكون قد هُدِّد به ، وفي هذه السِّن أيضًا يستطيع أن يربط ما بينَ الذنب الذي اقترفه والتأديب الحسِّي الذي حصل عليه .

وقد ذهب بعض علماء الفكر التربوي الإسلامي إلى أنَّ التأديب

---

(١) « أصول علم النفس العام » لعبد الحميد الهاشمي ١٥٣ ، ١٥٧ .

(٢) « طفلك في عامه الثامن » لأحمد السعيد يونس ص ٦٥ .

التربوي الحسِّي لا يقع إلاَّ بعد سنِّ العاشرة من العمر .

عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع** » (١) ، وهذه بعض آراء علماء المسلمين .

قال إسماعيل بن سعيد سألت أحمد عما يجوز فيه ضرب الصبي على الصلاة ؟ قال : إذا بلغ عشرًا ، وقال : إن أبا عبد اللَّه قال : « اليتيم يُؤدَّب ويُضرب ضربًا خفيفًا » .

وقال الأثرم : سئل أبو عبد اللَّه عن تأديب المعلم الصبيان تأديبًا حسِّيًا ؟ فقال : « على قدر ذنوبهم ، ويتوقى بجهده الضرب ، وإن كانَ صغيرًا لا يعقل ، فلا يضربه » (٢) .

وسئل القابسي عن أدب الصبيان ؟ ــ والقابسي فقيه قبل أن يكون مربيًا ، وهو يستمد مبادئ التربية من كتاب اللَّه تعالى ، وسنة نبيه ﷺ ــ

---

(١) أخرجه أحمد ١٨٧/٢ ، ١٦٥/١٠ (رقم ٦٦٨٩) أحمد شاكر ، وقال : إسناده صحيح ، وأبو داود ٣٣٤/١ (رقم ٤٩٥) ، والدار قطني ٨٥/١ ، والحاكم في « المستدرك » ١٩٧/١ ، والزيلعي في « نصب الراية » ٢٩٦/١ ، والبغوي ٤٠٦/٢ (رقم ٥٠٥) ، ورواه البخاري في « الكبير » ٢/٢ (رقم ١٦٩) والدولابي في « الكنى » ١٥٩/١ ، وأورده التبريزي في « المشكاة » (رقم ٥٧٢) .

(٢) « الآداب الشرعية والمنح المرعية » لمحمد بن مفلح المقدسي ٥٠٦/١ .

فأجاب : « كأدب المعلم لصبيانه سالمًا من العطب والحميَّة » ٩٣/ب (١) .

والمربون مدعوّون إلى استخدام أسلوب الثواب ، والحلم ، والحكمة في معالجة أخطاء الأطفال في المرحلة الابتدائية ، وخطوات التعايش فيها ، والسبب هو قلة تجارب الطفل في الحياة ، وعدم تعرّفه على واجباته كاملة ؛ لهذا كانَ التأديب التربوي الحسي كالملح للطعام ، فإن كثيره يؤذي ، وقليله يؤدي الغرض المطلوب من تأديب الطفل وتربيته التربية الحسنة .

وهذا تعقيب على الاستدلال بقصة ضرب الأولاد عند بلوغهم العاشرة ، ويوضح لنا فكرة عدم استخدام الضرب في التأديب التربوي الحسِّي بالتعرّف على قواعده وضوابطه الشرعية ، ونتائجه التربوية .

عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرّقوا بينهم في المضاجع** » (٢) .

ففي هذا الاستدلال نظر ! وذلك للأسباب التالية :

١ ـ إن أمر التقصير في العبادة له شأن خاص ، فلا يقاس عليه ما يكون من تصرفات التلاميذ .

٢ ـ ضرب الأب الرؤوف الرحيم بأولاده يختلف عن ضرب المعلم ، فالعاطفة الأبوية ، والشفقة الفطرية تجعل الضرب منضبطًا بضابط التربية

---

(١) « التربية في الإسلام » د . أحمد فؤاد الأهواني ص ١٥٢ .

(٢) سبق تخريجه ص ١٤٠ .

والتقويم .

٣ ـ قد يتعرض المعلم في أثناء عمله إلى حالات من الضجر والضيق ، فلا ينبغي أن يُفتح لهُ مجال ليفثأ ذلكَ الضجر والضيق بضرب الأطفال الأبرياء .

٤ ـ لو أبيح الضرب في المؤسسات التعليمية لما كانَ هناك ضمان في أن يستعمل في محله وبالطريقة السليمة ؛ لما ذكرناه من ملاحظات .

٥ ـ هناك ناس ساديون يتلذذون بتعذيب الآخرين ، ويُخشى أن يكون بعض المعلمينِ منهم ، ولو أبيح الضرب ؛ لكان لهؤلاء النفر مجال يتلمسون فيه اللذة بحجة معاقبة المقصِّرين من الطلاب .

٦ ـ ثبوت إخفاق الضرب المبالغ فيه ، في الأوضاع التعليمية السابقة ، واحتمال إصابة الطفل ، والتلميذ المعاقب بأمراض قد تعرِّض حياته للخطر .

٧ ـ ومن القواعد الشرعية المعمول بها « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح » ، فمهما كانَ من المصالح في الضرب ، فدرء المفاسد التي أشرنا إلى بعضها مقدَّم (١) .

* * *

---

(١) « مجلة المعرفة » وزارة المعارف السعودية ، د . محمد لطفي الصباغ ، العدد (٣١) شوال سنة ١٤١٨هـ ، ص ٥٣ .

المبحث الثاني

صفة التأديب الحسي التربوي للطفل

إنَّ الغرض من التأديب الحسي التربوي ، هو تأديب الطفل وإرشاده وصلاحه ، ولهذا حرص علماء الفكر التربوي الإسلامي ، على معرفة طبيعة الطفل ومزاجه قبل الإقدام على تأديبه التأديب الحسي ، بأن لا يترك المربي وسيلة من وسائل التهذيب والإصلاح إلاَّ سلكها ، ولا طريقة في تقويم اعوجاجه ، وتهذيب أخلاقه ووجدانه إلاَّ نهجها ، ولا طريقة في التشجيع والإثابة إلاَّ قدَّمها .

فإن لم تجد هذه جميعًا كانت وسيلة التأديب الحسِّي التربوي ، وسيلة لتحسين خلقه وإصلاح شأنه :

لأن « من النَّاس من تكفيه الإشارة البعيدة ، فيرتجف قلبه ، ويهتز وجدانه ، ويعدل عما هو مقدم عليه من انحراف .

ومنهم من لا يردعه إلاَّ الغضب الجاهر الصريح .

ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ .

ومنهم من لا بد من تقريب العصا منه حتَّى يراها على مقربة منه .

ومنهم فريق لا بد أن يحسَّ لدغ العقوبة على جسمه لكي يستقيم » (١) .

---

(١) « منهج التربية الإسلامية » محمد قطب ١/٢٣٤ .

وحدّد علماء الفكر التربوي الإسلامي شروطًا لصفة التأديب التربوي الحسِّي ، أحاطوها بسياج من الأمن حتَّى لا يحدث للطفل ضرر ، ولا يلحق به أذى ، ولا يخرج التأديب الحسي عن معناه التربوي بأن لا يكون مبرحًا ، ولا يؤذي عضوًا ولا يكسره ، ولا يزرق لونه ويفقأ عينًا ، يقول ابن حجر الهيتمي في رده على أحد مؤدبي الأطفال :« إنه لا يجوز للمعلم ضرب الصغير إلاَّ بعد إذن أبٍ ،فجدٍّ ،فوصيٍّ ، فأُمٍّ ، ونحوها ، ثُمَّ يشترط في جواز التأديب الحسِّي بالنسبة للمعلم أن يراه زاجرًا ، ومؤديًا لصلاح حاله ، وإذا اقتضت الضرورة ، فلا يكون الضرب مبرِّحًا ، حيثُ لا يجوز البُرح إجماعًا ولا غيره على الأصح لأنه لا يفيد ، فإن ظنَّ انتفاء فائدتها فلا مقتضى لجوازها » (١).

ويرى شمس الدين الأنبابي : صفة التأديب الحسي التربوي ما يلي :

١ ـ أن يكون الضرب (وهو لا يزيد عن ثلاث) مفرَّقًا لا مجموعًا في محل واحد .

٢ ـ أن يكون بينَ الضربتين زمن يخف به ألم الأول (الضربة الأولى) .

٣ ـ أن لا يرفع الضارب ذراعه لينقل السوط لأعضده حتَّى يُرى بياض إبطه ، فلا يرفعه لئلا يعظم ألمه ، ولا يضعه عليه وضعًا لا يتألم به » (٢) .

وقد كانَ عمر بن الخطاب ﷺ يقول لضارب : « لا ترفع إبطك » لأن

---

(١) « تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال » لسليمان بن إسحاق الهيتمي ص ٦٢ ـ ٦٤ .

(٢) « التربية في الإسلام » د . أحمد فؤاد الأهواني ص ١٥٤ .

الغرض من التأديب كما يراه عمر ﷺ هو التهذيب والتأديب ، ليس تشفيًا وانتقامًا من طفل بينَ يديك .

ويرى ابن سحنون والقابسي في صفة التأديب : « هو ما يؤلم ولا يتعدى الألم إلى التأثير المشنع ، أو الوهن المضر ، ثُمَّ يتابع فيقول : وإنما هي أعراض المسلمين وأبشارهم فلا يتهاون بنيلها بغير الحق الواجب » (١) .

وكان الإمام النووي ـ رحمه اللَّه ـ أقل دعوة لاستخدام التأديب الحسي التربوي في ضبط سلوك الأطفال ، فإن كانَ ولا بدّ فلا بأس عنده :

« باستخدام نوع خفيف من التأديب الحسِّي التربوي لا يسبب ألمًا ولا أذىً ، وإنما عقابًا يدعو المتعلم إلى أخذ الحيطة والحذر ، وبالقدر الذي يكفيه بالابتعاد عن السلوك غير المرغوب ، دون أن يجرح كبرياءه أو يلحق به إهانة » (٢) .

وبتعبير ابن الأخوَّة في « معالم القربة » : « لا يخشى منه مرض ولا غائلة » (٣) .

من هنا يتبين أن التأديب الحسي التربوي لمنفعة الطفل ، وأن فيه من الرِّفق ما يؤدي إلى التأديب ولا يتعداه إلى غير ذلكَ ، فيتم الزجر المطلوب من التأديب ، وينتهي الأمر بعد ذلكَ إلى الصلاح بإذن اللَّه .

---

(١) « المرجع السابق » ص ١٥٣ ، ٣١٠ .

(٢) « التعليم عند الإمام النووي ، غايته ، وأصوله النفسية » لحسن عبد العال ص ٦٦ .

(٣) « معالم القربة في أحكام الحسبة » لابن الأخوة محمد بن محمد القرشي ص ٢٦١ .

المبحث الثالث

أداة التأديب الحسي ومواصفاتها

إذا أراد المربي تأديب الطفل تأديبًا حسيًّا ، فعلى المربي - والحالة هذه - أن يتخذ الحكمة في تحديد الأداة التي يقوم باستخدامها ومواصفاتها ؛ حتَّى لا يُخرج عملية التأديب إلى حدِّ التشفي والانتقام .

لأن المربي كالطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد ، لقتل أكثرهم وأمات قلوبهم ، وهذا يعني أن يعامل كل طفل المعاملة التي تلائمه ، ويؤدبه بالأداة التي تناسب عمره ، وحالته الجسمية والنفسية ، ويتم ذلكَ بعدم استخدام اليد مباشرة كأداة للتأديب الحسِّي التربوي مهما يكن خطأ الطفل الذي وقع فيه ، وذلك بأن لا يضرب بها وجوه الأطفال ، ولا يستخدمها في الضرب على الرأس أو الصدر أو الظهر - كما يفعل الكثير منَّا - لِمَا رأينا من الأحاديث النبوية الواردة في النهي عن الضرب على هذه المواضع الحساسة والمؤذية في فصل سابق .

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ، ولا امرأة ولا خادمًا إلاَّ أن يجاهد في سبيل الله » (١) .

وهذا أبو مسعود رضي الله عنه يشرح لنا قصته مع غلامه وهو يضربه ، والقاعدة النبوية التي وصل إليها من خلال هذا الدرس :

قال أبو مسعود البدري : كنت أضرب غلامًا لي بالسَّوط ، فسمعت

---

(١) أخرجه مسلم ٤/١٨١٤ (٧٩) (رقم ٢٣٢٨) كتاب الفضائل .

صوتًا من خلفي : اعلم ، أبا مسعود ! ، فلم أفهم الصوت من الغضب ، قال : فلما دنا منيِّ ، إذا هو رسول اللّه ﷺ ، فإذا هو يقول : « **اعلم أبا مسعود ! اعلم أبا مسعود !** » ، قال : فألقيت السَّوط من يدي .

فقال : « **اعلم ، أبا مسعود ! أنَّ اللّه أقدر عليك منك على هذا الغلام** » (١) ، إنها قواعد نبوية تربوية ، ومنارات تكشف الطريق لكل السالكين على طريق الهدى والإيمان ، يتلمَّسون رضى اللّه ...

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلكَ : ﴿ **لقَدْ كَانَ لكُم في رسولِ اللّهِ أُسوةٌ حسنةٌ لمنْ كَانَ يرجُو اللّهَ وَاليَومَ الآخر** ﴾ (٢) .

والمربّون اليوم أحوج النّاس إلى هذا الدرس ، أحوج النّاس أن يجعلوا من هذه القواعد النبوية التربوية : منهجًا تربويًا يسيرون عليه ، ويتلمَّسون خطاه ...

أخي المربي ... إن اللّه أقدر عليك منك على هذا الغلام ، توجيه نبوي لكل مربٍّ ... أن يجعل من مخافة اللّه الخطوة الأولى التي تسبق البحث والتفكير في الأداة التي يستخدمها في تأديب براعمه ، وأن يردِّد هذا الحديث ، بل وهذه القاعدة التربوية على لسانه وبصوت جهوري ، يُسمع

---

(١) أخرجه مسلم ٣/١٢٨٠ ، ١٢٨١ (رقم ١٦٥٩) كتاب الإيمان ، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده ، وأبو داود ٥/٣٦٠ ، ٣٦١ (رقم ٥١٥٩) كتاب الأدب ، باب في حق المملوك ، ورواه الترمذي ٤/٢٩٦ (رقم ١٩٤٨) كتاب البر والصلة ، باب النهي عن ضرب الخدم وشتمهم ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٢١ .

بها هذه البراعم « **إنَّ اللَّه أقدر عليك منك على هذا الغلام** » ؛ ليَربّيَ عليها هذا النشء الذي يرعاه ، ويرجو له الخير ، والصلاح ، والاستقامة بإذن اللَّه .

« المعلمون أحوج النَّاس أن يقبسُوا من قبسات الرسول هذه اللمحة المضيئة ، الكاشفة الدافعة الموحية ، فتنير في قلوبهم ظلمة النَّاس ، وتغرس في نفوسهم نبتة الأمل » (١) ، ممتثلين قول اللَّه ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **وَمَا آتَاكُم الرّسولُ فخذوهُ وَمَا نَهَاكُم عنهُ فانْتَهُوا** ﴾ (٢) ، ﴿ **وَمَا أَرسلنَا مِن رَسولٍ إلاّ ليُطاعَ بإذنِ اللَّهِ** ﴾ (٣) .

روى أبو عثمان النهدي ، عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه أتي بسوط فيه شدة ، فقال : أريد ألْين من هذا ، فأتي بسوط فيه لين : فقال : أريد أشدّ من هذا ، فأتي بسوط بينَ السوطين ، فقال : اضْرب .

وكذلك لا يجوز أن يستعمل في الضرب سوط فيه العُقَد ، أو له فرعان ، أو ثلاثة فروع (٤) .

لهذا أجمع علماء الفكر التربوي الإسلامي أن تخضع أداة التأديب الحسي التربوي لبعض المواصفات منها :

ما لخصَّه الشيخ الفقيه ـ شمس الدين الأنبابي ـ في مواصفات أداة

---

(١) « قبسات من الرسول ﷺ » لمحمد قطب ص ٣٠ .

(٢) سورة الحشر آية : ٧ .

(٣) سورة النساء آية : ٦٤ .

(٤) « أحكام القرآن » للجصاص ٣/٣٢٢ ، و« مصنف عبد الرزاق » ٧/٣٦٩٠ ، وفيه زيادة (وأعط كل حقه) ، وأخرجه البيهقي ٨/٣٢٦ .

التأديب للأطفال ، فقال : « ويجب في السَّوط :

١ ـ أن يكون معتدل الحجم ، فيكون بينَ القضيب والعصا .

٢ ـ أن يكون معتدل الرطوبة ، فلا يكون رطبًا يشقّ الجلد ؛ لثقله ، ولا شديد اليبوسة ؛ فلا يؤلم لخفته .

٣ ـ ولا يتعين لذلك نوع ، بل يجوز بسوط (وهو سيور) وبعود ، وخشبة ، وطرف ثوب بعد فَتْله حتّى يشتد » (١) ، وبمثله ـ من المواصفات ـ قال : ابن حجر الهيتمي في خلاصة رسالته « تحرير المقال » : (٢) وذكر القابسي أنَّ آلة التأديب هي الدِّرة .

فيقول : « وينبغي أن يكون عُود الدّرة رطبًا مأمونًا ... » (٣) .

واهتم الشوشاوي بنوع الأداة التي يتم بها التأديب ، الدّرة ، وكيف ينبغي أن لا تكون مؤذية خشنة ، القضيب الذي ينبغي أن لا يكون غليظًا ؛ فيتلف ، ولا رقيقًا ؛ فيجرح !! (٤) .

---

(١) « رسالة رياضة الصبيان » ، مخطوط / ٤٣٢ ، مضاف في كتابه « التربية في الإسلام » د . أحمد فؤاد الهواني ص ١٥٤ .

(٢) « تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال » لسليمان بن إسحاق عطية ، ابن حجر الهيتمي ص ٦٤ .

(٣) « التربية في الإسلام » د . أحمد فؤاد الأهواني ص ١٥٣ .

(٤) « المغراوي وفكره التربوي » من خلال كتابه « جامع جوامع البيان والاختصار » ص ٤٠ ، ٤١ .

ثُمَّ قال : « أما المضروب به ، فسوط رطب لين عريض ... » (١) .

وفي وصف الأداة المستخدمة في التأديب بقول العبدري : « ولتكن أداة الضرب رقيقة » ينافي استعمال السوط في التأديب ، ويتفق ابن الأخوَّة ، وابن بسّام المحتسب ، وعبد الرحمن بن نصر الشيزري ، على أن : « لا يضرب صبيًا بعصًا غليظةٍ تكسر العظم ، ولا رقيقة تؤلم الجسم ، بل تكون وسطًا ... » (٢) .

وحذّر ابن الحاج العبدري مما يفعله بعض المعلمين من سلوك لا يليق بالمعلمين ، فقال : « إنهم يتعاطون آلة اتخذوها لضرب الصبيان ، مثل عصا اللوز اليابس ، والجريد المشرح ، والأسواط النوبية ، والفلقة ، وما أشبه ذلكَ مما أحدثوه ، وهو كثير ، ولا يليق هذا ... » (٣) .

« أما الركل ، والرفس ، والقذف بما قد يكون تحت يدك من حجر ، أو آلة حادة ، أو استعمال العصا ، أو السوط ، فوسائل لا تمتّ إلى تربية الإنسان بصلة ، ولا تليق بأن يستعملها إنسان لتربية إنسان » (٤) .

وهذه بعض الأدوات المعاصرة في التأديب التربوي ـ بدلاً من العصا ـ

---

(١) « المغراوي وفكره التربوي » من خلال كتابه « جامع جوامع البيان والاختصار » ص ٨٦ .

(٢) كتاب « معالم القربة في أحكام الحسبة » لابن الأخوة ص ١١٦ .

ـ و« نهاية الرتبة في طلب الحسبة » لابن بسام المحتسب ص ١١٧ .

ـ و« نهاية الرتبة في الحسبة » لعبد الرحمن بن نصر الشيزري ص ١١٤ .

(٣) « مدخل الشرع الشريف » لابن الحاج العبدري ٣١٧/٢ .

(٤) « معالم التربية » دراسات في التربية العامة د . فاخر عاقل ص ٣٤٠ .

الآن : « فمنهم من يستخدم أسلاك الكهرباء المتينة ، أو الكرباج ، أو العقال أو اللَّي ، أو مؤشر السبورة ، أو بخاتم ، أو وضع المرسام ، أو الطباشير بينَ أصبعين من أصابع الطالب والضغط عليها .

أو ثني سلاميات الأصابع ، وضغطها على بعضها .

أو ليّ يد الطالب ، أو ضربه على الأصابع بطرف المسطرة الحاد .

أو الركل بالرجل ، أو الضرب بالركبة ، أو الصفع باليد على الوجه والعنق .

أو اللطم على الفم ، أو الضرب بالقبضة على الظهر ، أو البصق في الوجه ، وغير ذلكَ .

مما يحدث عيوبًا لدى الطلاب مثل الكسور ، والجروح ، وإلحاق الضرر بالعيون ، والأسنان ، فيترتب على ذلكَ تشوهات ، وعيوب أخرى مثل الفأفأة ، والتأتأة ، واللجلجة ... » (١) .

* * *

---

(١) بحث « البدائل للعقاب البدني » لجنة البدائل للعقاب البدني : ص ١ ، عام ١٤١٥هـ ، المدينة المنورة .

المبحث الرابع

مواضع التأديب الحسي التربوي للطفل

لا يلجأ المربي إلى التأديب الحسي التربوي للطفل ، إلاَّ إذا استنفد كافة وسائل التأديب المعنوي ، والإثابة بأنواعها والتي سندرسها في أبواب لاحقة ، والجدير بالذكر أن علماء الفكر التربوي الإسلامي حين أباحوا هذه الوسيلة التربوية من التأديب التربوي الحسي للطفل أباحوها في حدود ضيقة للغاية ، وأحاطوها بشروط جعلتها تؤدي الغرض منها في التأديب بعيدة عن التشفِّي والانتقام .

فوسيلة التأديب الحسي التربوي : « إنما جازت للصبي ؛ لظن أنها تفيد الإصلاح ، فإذا كانَ الضرر سيأتي منها انتفت » (١) .

وقد حدّد الفقهاء مواضع التأديب الحسي للطفل ، بحيث لا تلحق به الأذى ولا تصيبه بالضرر ، وحتى لا تخرج عملية التأديب الحسي للطفل عن مغزاها ومعناها التربوي ، هو التأديب بردعه عن الخطأ ، وإقلاعه عن ارتكابه ، وتقويم سلوكه .

ولذلك وضع علماء الفكر التربوي الإسلامي شروطًا لتحديد مواضع التأديب الحسي التربوي ، وسوف نرى من خلال دراستنا ، أن هناك مواضع منع الشرع الحنيف إيقاع التأديب عليها حفاظًا على سلامتها .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا قاتل أحدكم أخاه**

---

(١) « التربية عند العرب ، مظاهرها واتجاهاتها » لمحمد فوزي العنتيل ص ٦٨ .

فليجتنب الوجه » (١) ، وفي رواية : « **إذا ضرب أحدكم ، فلا يلطمنَّ الوجه** » (٢) .

وهذا تعليل للإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرحه على هذه الأحاديث قائلاً : « وهذا تصريح بالنهي عن ضرب الوجه ؛ لأنه لطيف يجمع المحاسن ، وأعضاؤه نفيسة لطيفة ، وأكثر الإدراك (الحواس) بها ، فقد يبطلها ضرب الوجه ، وقد ينقصها ، وقد يشوّه الوجه ، والشين فيه فاحش ؛ لأنه بارز ظاهر لا يمكن ستره ، ومتى ضربه لا يسلم من شين غالبًا » .

ويدخل في النهي إذا ضرب زوجته ، أو ولده ، أو عبده ، ضرب تأديب « فليجتنب الوجه » . اهـ (٣).

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « الفتح » معقبًا على كلام الإمام النووي : « والتعليل المذكور حسن » (٤) .

ومما اشترطه الفقهاء من أنه : « يلزم للفقيه (المربي) أن يتقي في ضربه الوجه ، والمقاتل ؛ لقوله ﷺ قال : « **إذا ضرب أحدكم ، فليتق**

---

(١) أخرجه البخاري ٥/٢١٥ (رقم ٢٥٥٩) كتاب العتق ، باب إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه ، ومسلم في صحيحه ، واللفظ له ٤/٢٠١٦ (رقم ١١٢ ، ١١٣) كتاب البر والصلة ، باب النهي عن ضرب الوجه .

(٢) انظر : « صحيح مسلم » ٤/٢٠١٦ ، ٢٠١٧ (رقم ٢٦١٢) كتاب البر والصلة والآداب ، باب النهي عن ضرب الوجه .

(٣) « صحيح مسلم » شرح الإمام النووي ٦/١٦٥ .

(٤) « فتح الباري » الحافظ ابن حجر ٥/٢١٦ .

الوجه » [١] .

وفي رواية : « **إذا ضرب أحدكم ، فليجتنب الوجه** » [٢] .

ومما يؤكد هذا أن النبي ﷺ يريد أن يعطي للمسلمين درسًا عمليًا بالابتعاد عن ضرب الوجه ، فلما أمر ﷺ برجم الغامدية ... أخذ حصاة كالحمصة ورماها بها ، ثُمَّ قال للناس : « **ارموا واتقوا الوجه** » [٣] ، وإذا كانَ ﷺ منع الضرب على الوجه في الرجم الذي فيه إتلاف النفس وإهلاكها ، فإن ضرب الوجه في حالة ليس فيها إتلاف النفس ـ كالتأديب مثلاً ـ يكون ممنوعًا من باب أولى ؛ ذلكَ لأن الوجه ، أو الرأس هو موضع الحواس ، وفي الضرب عليه إذهاب لبعض الحواس ، وهو يعتبر إيذاءً وإتلافًا .

قال اللّه تعالى : ﴿ **وَمَا آتَكُم الرّسُولُ فخُذوهُ وَمَا نَهاكُم عنهُ فانْتَهوا ...** ﴾ [٤] .

---

(١) « صحيح مسلم » ٤/٢٠١٦ (رقم ٢٦١٢) كتاب البر والصلة ، باب النهي عن ضرب الوجه ، وأبو داود ٤/٦٣١ ، ٦٣٢ (رقم ٤٤٩٣) كتاب الحدود ، باب في ضرب الوجه في الحد .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/٢٤٤ ، والبخاري ٥/٢١٥ (رقم ٢٥٥٩) ، باب العتق ، وابن حبان ـ كما في « الإحسان » (رقم ٥٥٧٥) ، وأخرجه الآجري في « الشريعة » ص ٣١٤ ، والبيهقي في « الأسماء » ص ٢٩٠ ، وسنده حسن ، ومسلم ٤/٢٠١٧ (رقم ٢٦١٢) كتاب البر والصلة ، باب النهي عن ضرب الوجه .

(٣) أخرجه البخاري ٥/٢١٦ (رقم ٢٥٥٩) كتاب العتق ، باب إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه ، وأبو داود ٤/٥٩٠ (رقم ٤٤٤٤) .

(٤) سورة الحشر آية : ٧ .

أجمع علماء الفكر التربوي الإسلامي ـ وقد امتثلوا الهدي النبوي الشريف ـ على منع الضرب نهائيًا في بعض الأماكن التي تعتبر من الإنسان أعضاء بارزة كأعالي الجسم (الرأس وما حوى ...) .

قال الإمام النووي ـ رحمه اللّه معللاً النهي عن ضرب الوجه ـ : « قال العلماء ؛ إنما نهي عن ضرب الوجه ؛ لأنه لطيف يجمع المحاسن ، وأكثر ما يقع الإدراك بأعضائه ، فيخشى من ضربه أن تبطل أو تتشوه كلها أو بعضها والشين فيها فاحش ؛ لظهورها ، وبروزها ، بل لا يسلم إذا ضربه غالبًا من شين ... » (١) .

وفي تعليل الإمام مسلم ـ رحمه اللّه ـ « قال العلماء : هذا تصريح بالنهي عن ضرب الوجه ؛ لأنه لطيف يجمع المحاسن ، وأعضاؤه نفيسة لطيفة ، وأكثر الإدراك بها ، قد يبطلها ضرب الوجه وقد ينقصها ، وقد يشوه الوجه ، والشين فيه فاحش ؛ لأنه بارز ظاهر لا يمكن ستره » (٢) .

ويرى الفقيه ـ شمس الدين الأنبابي ـ مكان تأديب الطفل على جسمه « أن لا يكون في غير الوجه أو مقتل » (٣) .

كما يوضح ـ ابن سحنون ـ قائلاً : « لا يجوز له أن يضربه ، وضرر

---

(١) أخرجه البخاري ٢١٦/٥ (رقم ٢٥٥٩) كتاب العتق ، باب إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه ، وأبو داود ٥٩٠/٤ (رقم ٤٤٤٤) .

(٢) أخرجه مسلم ٢٠١٦/٤ (رقم ٢٦١٢) كتاب البر والصلة ، باب النهي عن ضرب الوجه .

(٣) « رسالة رياضة الصبيان » مخطوط ص ٤٣٢ مضاف في كتاب « التربية في الإسلام » د . أحمد الأهواني ص ١٥٤ .

الضرب فيها بيِّن ، قد يوهن الدماغ ، أو تطرف العين ، أو يؤثر أثرًا قبيحًا ، فليجتنبا ... » (١) .

كما يبين الفقيه القابسي ذلكَ بقوله : « هذا الضرب ينبغي أن يكون في موضع مأمون ، فيجتنب ضرب الرأس ، والوجه ؛ حفاظًا على سلامة المخ والعين ، وحفاظًا لكل المواقع الحساسة » (٢) .

ويطرح ابن حجر الهيتمي ـ رحمه اللَّه ـ رأيه بذلك قائلاً : « عندما تدعو الظروف إلى اقتضائه ، فلا بُدَّ فيه من توقي الوجه والمقاتل ... » (٣) .

وقد تحدث ابن أبي جمعة المغراوي طويلاً عن قضايا التأديب التربوي قائلاً : « لا يتم الضرب على أعالي الجسم : كالأنف ، والعينين ، والرأس ... كذلك العقاب في مكان تجتمع فيه العروق مما قد يترك أثرًا مضرًا بالطفل كأن يعصر أنثييه ، أو يضرب علَى مراقه » (٤) .

ولنستمع إلى خليفة المسلمين ـ عبد الملك بن مروان ـ رحمه اللَّه ـ آمرًا ... وناصحًا سليمان مربي أولاده قائلاً : « يا سليمان ، لا تضرب

---

(١) « التربية في الإسلام » د . أحمد فؤاد الأهواني ص ٣١٠ ، ٣١١ .

(٢) « الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين » للقابسي ، والمضافة في كتاب « التربية في الإسلام » د . أحمد فؤاد الأهواني ص ٢٧١ .

(٣) « تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال » لابن حجر الهيتمي ص ٦٤ .

(٤) المغراوي وفكره التربوي من خلال كتابه « جامع جوامع الاختصار والبيان » ص ٤٠ .

وجوه بَنِيَّ ... » (١) .

أمر ... ونصيحة ... ونداء .

هذا النداء الكريم ... إلى كل مربٍ كريم ... جاء امتثالاً لأمر رسول اللّه ﷺ بأن يجتنب في تأديبه لأبناء المسلمين ـ الرأس وما حوى ـ قال اللّه تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُم الرّسولُ فَخُذوهُ وَمَا نَهَاكُم عنهُ فانْتَهُوا ﴾ (٢) .

ولما كانَ الضرب على الوجه لا يتم إلا مباشرة ـ من اليد إلى الوجه ـ دون استخدام أداة الضرب ، نرى رسول اللّه ﷺ المربي الأول ، والأسوة والقدوة ، لم يستخدم يده في عملية التأديب الحسي التربوي للكبار ، فمن باب أولى أن لا يستخدمه للصغار .

عن عائشة ـ رضي اللّه عنها ـ قالت : « ما ضرب رسول اللّه ﷺ شيئًا قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادمًا ، إلا أن يجاهد في سبيل اللّه » (٣) .

ومما اشترطه علماء الفكر التربوي الإسلامي في تحديد مواضع التأديب الحسي التربوي إذا اقتضت الحاجة إليه :

أن لا يتم التأديب الحسي على الظهر ، أو الصدر ، أو البطن وخاصة للطفل ، فهذا الفقيه القابسي يحبذ عند الضرورة : « أن يكون الضرب تحت

---

(١) كتاب « العيال » لأبي بكر عبد اللّه بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا البغدادي ٥٢٦/١ ، وأنثييه : خصيتيه .

(٢) سورة الحشر آية : ٧ .

(٣) أخرجه مسلم ١٨١٤/٤ (٧٩) (رقم ٢٣٢٨) كتاب الفضائل ، باب مباعدته ﷺ للآثام ، واختياره من المباح أسهله .

القدم ، فهو آمن وأحمل للألم في السلامة » (١) .

وقال ابن أبي جمعة المغراوي : « ولا ينبغي له ... أن يضرب للظهر ، ولا للبطن ، كما يفعل من لا دين له ، » (٢) ، ويقول ابن سحنون : « فالضرب في الرجلين آمن وأحمل للألم في السلامة » .

وحكي عن أشهب : « أنه لا يكون الضرب على الظهر والبطن ، بل أسفل القدمين » (٣) .

ويرى ابن الأخوة : « أن يعتمد في ضربه أسافل الرجلين ؛ لأن هذه المواضع لا يخشى منها مرض ولا غائلة » (٤) .

وقال الشوشاوي : « والمضروب من الصَّبي ... باطن القدمين مجرَّدين » (٥) .

وكان إبراهيم بن أبي عَبْلَة يُؤَدب ولد ـ الوليد بن عبد الملك ـ فخرج عليه الوليد يومًا ، وقد حمل جارية على ظهر غلام ، وهو يضربها ، فقال له : مه يا إبراهيم ! فإن الجواري لا يضربن على أعجازهنَّ ، ولكن عليك بالقدم ، والكف » (٦) .

---

(١) « الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين » للقابسي ص ٢٧١ .

(٢) المغراوي وفكره التربوي من خلال كتابه : « جامع جوامع الاختصار والتبيان » ص ٨١ .

(٣) « المرجع السابق » ص ٨٦ .

(٤) « معالم القربة في أحكام الحسبة » لابن الأخوة ص ١١٤ .

(٥) المغراوي وفكره التربوي من خلال كتابه : « جامع جوامع الاختصار والتبيان » ص ٨٦ .

(٦) كتاب « العيال » لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا البغدادي ١/٥٢٧ ، تحقيق د . نجم عبد الرحمن خلف .

نلاحظ مما سبق من خلال طرح آراء ــ علماء الفكر التربوي الإسلامي أنه إن كانَ ولا بدّ من التأديب الحسي التربوي للطفل ، فقد حبَّذوا عند الضرورة أن يكون عضو التأديب المسموح الإيقاع عليه من الجسم كاملاً هو : أسافل القدمين ؛ لأنهما أكثر تحملاً ، وأقل ضررًا من غيرها .

كما نلاحظ من خلال دراستنا لما سبق أن استخدام التأديب الحسِّي التربوي للطفل على المواضع المؤذية والحساسة ، كالصدر ، والظهر ، والبطن ، والمقاتل ، يؤدي إلى أضرار بالغة قد تؤدي إلى الوفاة أحيانًا ، فالصدر يحتوي على دينمو الحياة ، وهو القلب .

ويدخل المنع في هذا كله تحت عموم قوله ﷺ : « **لا ضرر ، ولا ضرار** »⁽¹⁾ .

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : « **لا تؤذوا المسلمين ، ولا تعيِّروهم ، ولا تتبعوا عوراتهم** »⁽²⁾ .

فيجب على المربي ـ والحالة هذه ـ أن يتجنب الضرب على أماكن الحواس : كالرأس ، والوجه ، والرقبة ، والصدر ، والظهر ، والبطن ، والمقاتل ... لما ينتج عنها من خطر جزئي ، أو كلي يفقأ العين ، أو يوهن

---

(١) أخرجه الحاكم ٥٧/٢ (رقم ٥٨) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، والدار قطني ٧٧/٣ ، ٣٣٨/٤ ، والبيهقي في « السنن الكبرى » ٩٦/٦ ، وقد حسنّه النووي ، انظر : « الأربعين النووية » ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) أخرجه الترمذي ٣٣١/٤ (رقم ٢٠٣٢) بسياق أطول ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في تعظيم المؤمن .

الدماغ ، أو يشجُّ الرأس ، أو يؤدي إلى الوفاة .

هذه الباقة من الأحاديث النبوية الشريفة التي تبيِّن عدم استخدام (الرأس وما حوى ، والصدر ، والظهر ، والبطن ، والمقاتل كالضرب على الرقبة ، ومواضع الذكورية ...) كوسيلة للتأديب الحسي التربوي للطفل .

وقد لاحظنا من أقوال علماء الفكر التربوي الإسلامي ـ مدى امتثالهم واستجابتهم لهذه الأحاديث النبوية ؛ لأنها عندهم ـ كالأمر اليومي ـ واجب التنفيذ ، أمرًا ونهيًا ، قراءة ، واستيعابًا ، وتنفيذًا .

فهل نجعل ـ نحن المربِّين ـ من هذه الأحاديث النبوية الشريفة أمرًا يوميًا ـ واجب التنفيذ في محاضننا التربوية ، ومع براعمنا المؤمنة بإذن اللّه فنمتثل عدم استخدام ـ الوسائل المنهيّ عنها ، وسيلة للتأديب الحسي التربوي ، كما امتثلوا !!! .

قال اللّه تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُم في رسولِ اللّهِ أُسْوةٌ حسنةٌ لمن كانَ يَرْجُو اللّهَ وَاليومَ الآخرِ** ﴾ (١) .

* * *

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٢١ .

المبحث الخامس

حدُّ التأديب التربوي الحسي

هب أن طفلاً شديد الإحساس ، سريع التأثر قام بعمل وأخطأ فيه ، فهل يحسن أن يعامل معاملة طفل عُرف بالبلادة والكسل ، وسوء الخلق ، وقلة التأثر ، أو يجب أن يعامل كل منهم بما يلائمه ، ويؤدب التأديب الحسي الذي يصلح له ؟ .

الحق أن كل طفل يعدُّ قضية مستقلة قائمة بذاتها ، إذ إن ما يلائم هذا الطفل من التأديب ربما لا يلائم الآخر ، والذي يؤثر في هذا قد يكون عديم الأثر في ذاك .

ومن الخطأ أن نستمر في تلك العادة ، عادة معاملة الأطفال جميعًا معاملة واحدة في التأديب من غير نظر إلى ما بينهم من فروق فردية في الأخلاق ، والطباع ، والعادات ، والأمزجة ، والبواعث ، ومن الخطأ أن نعاملهم معاملة واحدة من غير تفرقة بينَ طفل تكفيه كلمة ، وآخر لا يقرع إلاَّ بالعصا .

فيجب أن نفكر في كل تلميذ ، ونؤدبه بما يناسبه ، وإذا كانَ الغرض من التأديب الإصلاح ، فلا بد من استعمال الحكمة فيها ، بوزن الذنب ، ومعرفة الحافز عليه ، بعد أن ندرس غرائز الطفل وميوله وأخلاقه (١) .

واتفق علماء الفكر التربوي الإسلامي على حدِّ التأديب الحسي التربوي

---

(١) « التربية الإسلامية وفلاسفتها » لمحمد عطية الإبراشي ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ بتصرف..

للطفل ، فأجابوا :

قال ابن سحنون : « لا بأس أن يضربهم (المعلم) على منافعهم ، ولا يجاوز بالأدب ثلاثًا ، إلاَّ بإذن الأب في أكثر من ذلكَ »(١) .

ويوافقه القابسي ، فيقول : « إذا استأهل الضرب ، فاعلم أنَّ الضرب من واحدة إلى ثلاثة » ، وهذا أدبه إذا فرط (٢) .

ويرى القاضي شريح : « ألاَّ يضرب الصبي على القرآن إلاَّ ثلاثًا كما غطَّ جبريل عليه السلام محمدًا ﷺ ثلاثًا ... » (٣) .

كما يرى ابن الحاج العبدري أنه : « إذا اقتضت الضرورة توقيع عقاب على الطفل ، فإنه يكفي ثلاث ضربات خفيفة ... » (٤) .

وقال أبو علي الجروي : حدثنا علي بن سعيد ، عن الخصيب بن ناصح ، عن طلحة بن زيد ، عن إبراهيم بن أبي عَبْلَة ، قال : كانَ عمر بن عبد العزيز يكتب إلى الأمصار : « لا يَقْرِنُ (٥) المعلم فوق ثلاث ، فإنها مخافة

---

(١) « آداب المعلمين والمتعلمين » لمحمد بن سحنون ، ورقة ٢/ب مضاف في كتاب « التربية في الإسلام » د . أحمد فؤاد الأهواني ص ٣٠٨ .

(٢) « الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين » لأبي الحسن القابسي ٢/٥٥/أ ، مضاف إلى كتاب « التربية في الإسلام » د . أحمد فؤاد الأهواني ص ٣٠٩ .

(٣) « الروض الأنف » للسهيلي ١/٢٧٢ والغطُّ بمعنى الخنق ، والضم .

(٤) « مدخل الشرع الشريف » لابن الحاج العبدري ٢/١٦٤ .

(٥) قرن ، يقرن ، قرنًا ، وقرانًا ، الشيء بالشيء ، وصله به ، وجمع بينهما ، والمعنى : لا يجمع المعلم ثلاث ضربات على الصبي عند تأديبه حتَّى لا يخيفه .

للغلام ... » (١) .

وحدثنا يحيى بن يوسف الزِّمِّي ، حدثنا هُشيم ، عن جُوير ، عن الضحاك ، قال : « ما ضرب المعلم غلامًا فوق ثلاث ، فهو قصاص » (٢) .

وبتعبير ابن الأخوة في « معالم القربة » : « في حدود ثلاث ضربات لا يزاد عليها إلاَّ إذا استأهل جرم الطفل هذه الزيادة ، ولا يزاد على ثلاث حتَّى يستأذن ولي الأمر في ذلكَ » (٣) .

وقد أراد ابن خلدون أن يتحرر من مبدأ الضرب ، فعاب الشدة على المتعلمين ، ولكنه عاد آخر الفصل الذي عقده فأجاز الضرب حيثُ نقل عن محمد بن أبي زيد في كتابه الذي ألفه في حكم المعلمين والمتعلمين : « لا ينبغي لمؤدِّب الصِّبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئًا ... » (٤) .

ومن كلام عمر بن الخطاب ﵁ أنه قال : « من لم يؤدبه الشرع لا أدَّبه اللَّه » ، حرصًا على صون النفوس عن مذلَّة التأديب ، وعلمًا بأن المقدار الذي عيَّنه الشرع لذلك أملك له ، فإنه أعلم بمصلحته ...

وعن أبي بردة بن دينار ﵁ قال : كانَ النبي ﷺ يقول : « **لا يُجلد**

---

(١) كتاب « العيال » لابن أبي الدنيا ١/٥٣١ .

(٢) « المرجع السابق » .

(٣) « معالم القربة » لمحمد بن محمد القرشي ابن الأخوة ص ٢٦١ .

(٤) « مقدمة ابن خلدون » العبر وديوان المبتدأ والخبر ، لعبد الرحمن بن خلدون ص ٤٦٤ ، « الفكر التربوي عند ابن خلدون » تحقيق د . عبد الأمير شمس الدين ص ١٩٢ .

أحد فوق عشر جلدات إلاّ في حد من حدود اللّه ... » (١) .

وفي مصنف عبد الرزاق « **لا عقوبة فوق عشرة أسواط إلاّ في حدٍّ من حدود اللّه ...** » (٢) .

وعن أبي بردة ﷺ قال : كانَ النبي ﷺ يقول : « **لا يجلد فوق عشر جَلدات إلاّ في حدٍّ من حدود اللّه ...** » (٢) .

وحدثنا عبد الرحمن بن جابر أن أباه حدثه أنه سمع أبا بردة الأنصاري قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « **لا تجلدوا فوق عشرة أسواط إلاّ في حدٍّ من حدود اللّه** » (٣) .

إن ما نلاحظه من العنوان الذي رتبه الحافظ بن حجر العسقلاني ـ رحمه اللّه ـ في كتابه « فتح الباري شرح صحيح البخاري » بعنوان :

« كم التعزير والأدب ؟ » يظهر لنا أن هذا العدد الذي بينه الرسول الكريم ﷺ ، وهو أن لا يزيد عن عشرة أسواط ، وأن مقدمة الحديث لا يجلد ، توحي بأن هذه الأحاديث جاءت في باب التعزير ، وليس من باب تأديب الأطفال تربويًا ... وفي سنِّ المرحلة الابتدائية و لم يبلغ سن الاحتلام

---

(١) **حديث صحيح** ، أخرجه ابن ماجه ، كتاب الحدود ، باب التعزير ، « صحيح سنن ابن ماجه » ٨٩/٢ .

(٢) أخرجه البخاري ١٨٢/١٢ ، ١٨٣ (رقم ٦٨٤٩) كتاب الحدود ، باب كم التعزير والأدب ، وفي « مصنف عبد الرزاق » ٤٦٦/٣ .

(٣) أخرجه البخاري ١٨٢/١٢ ، ١٨٣ (رقم ٦٨٤٨ ـ ٦٨٥٠) كتاب الحدود ، باب ، كم التعزيز والأدب ، وأحمد في « المسند » ٤٦٦/٣ .

والتكليف ، فإن معاصيه يعزر بها ويؤدب عليها ؛ لهذا قال الحافظ ابن حجر معلِّقًا وشارحًا لهذه الأحاديث : قائلاً : « باب ... كم التعزير » .

التعزير مصدر عزّره ، وهو مأخوذ من العزر ، وهو الردّ والمنع واستعمل في الدفع عن الشخص كدفع أعدائه عنه ، ومنعهم من إضراره وكدفعه عن إتيان القبيح .

ومنه عزَّره القاضي : أي أدَّبه ؛ لئلا يعود إلى القبيح ، ويكون بالقول وبالفعل بحسب ما يليق به ، والمراد بالأدب في الترجمة : التأديب وعطفه على التعزير يكون بسبب المعصية ، والتأديب أعمَّ ، ومنه تأديب الولد وتأديب المعلم (١) .

حدثنا يعقوب بن حميد ، عن وكيع ، عن هشام بن أبي عبد اللّه بن أبي بكر ، عن النبي ﷺ قال : « **لا يحل لرجل مؤمن باللّه واليوم الآخر أن يضرب فوق عشرة أسواط إلاّ في حدّ** » (٢) .

وبناءً على هذه الباقة من الأحاديث النبوية نرى أن كثيرًا من علماء الفكر التربوي الإسلامي ، امتثلوا هذه الأحاديث ، واستجابوا لما أمرهم به ﷺ ، فنرى ابن سحنون يمتثل الأمر النبوي فيقول : « وكذلك أرى أن لا يضرب أحد عبده أكثر من عشرة ، فما زاد على ذلكَ قوصص به يوم

---

(١) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » لابن حجر العسقلاني ١٢/١٨٣ .

(٢) « المرجع السابق » ١٢/١٨٤ .

القيامة إلاَّ في حدٍّ ... » (١) ، ويقول : « ولا يجاوز بالأدب عشرًا ، لأن العشرة غاية الأدب ... » .

وأكد القابسي على ذلكَ ، فقال : « أن يكون الضرب من واحدة إلى ثلاث ويستأذن القائم بأمر الصبي في الزيادة إلى عشر ضربات » (٢) .

ونجد القابسي يلجأ إلى استشارة والد الصبي إذا استحق التأديب الحسي زيادة عن ثلاث ضربات ، وإذا بلغ الأمر حدَّ إخبار آباء الصبيان واستشارتهم فنراه يقول : « ينبغي للمعلم أن يستشير أباه ، ووصيه إذا كانَ يتيمًا ، ويعلمه إذا كانَ يستأهل من الأدب فوق الثلاث ، فتكون الزيادة على ما يوجبه التقصير في التعليم عن إذن من القائم بأمر هذا الصبيِّ .. » ٥٦/ب (٣) .

واستئذان آباء الصِّبيان في التأديب الحسِّي يحمل فائدة تهذيبية كبيرة ، فهو دليل على التعاون بينَ البيت والمدرسة ، وبين الوالد والمربي ؛ لأن كليهما يقوم بتأديب الصبي ، ويرمي إلى رياضته وتهذيبه .

كما يرى ابن الحاج العبدري أنه : « على أية حال لا ينبغي أن يتجاوز عدد الضربات عشرًا وهذا كثير في نظرنا » (٤) .

---

(١) « التربية في الإسلام » د . أحمد فؤاد الأهواني ٣٥٥/١٥٦ ، ورقة ٢/ب .

(٢) « المرجع السابق » .

(٣) « الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين » لأبي الحسن القابسي ، ورقة ٥٦/ب « التربية في الإسلام » ص ٣١٠ .

(٤) « مدخل الشرع الشريف » لابن الحاج العبدري ١٦٤/٢ .

ومن المهم أن نجد المغراوي ـ أحد علماء الفكر التربوي الإسلامي ـ يحتذي نهج بعض المربين الذين سبقوه أولاً : في تحديد عدد (الدّرر) أو (الأسواط) التي يُؤَدَّب بها الطفل .

ولقد دأبوا على تحديد عدد معين من الأسواط لمخالفات معينة كذلك ، فهي للهروب من المدرسة عشرة ، وهي ثلاثة لمن تكرر كسله في الحفظ ، وهي تسعة لمن أطلق للسانه العنان في شتم النّاس (١) .

ويقول أشهب : « يضربهم على الهروب من المسجد عشرة أسواط وعلى السَّبِّ سبعة أسواط ، وعلى الحفظ ثلاثة ... » (٢) .

ويقول محمد بن أحمد بن عبدون النجيبي في رسالته : « يجب أن لا يؤدب الصَّبي أكثر من خمسة أسواط للكبير ، وثلاثة للصغير ، وتكون من الشدة على قدر احتمالهم لذلك ... » (٣) .

من خلال ما قدمنا من آراء تربوية لعدد من علماء الفكر التربوي الإسلامي حول عدد الضربات المسموح بها شرعًا نرى أن ضرب المربي للطفل يجوز من ثلاث درر ولا يزيد عن عشرة عند تأديبهم أثناء العملية التربوية ، ويكون التأديب بهدف إصلاحهم ومنفعتهم .

---

(١) المغراوي وفكره التربوي : من خلال كتابه « جامع جوامع الاختصار والتبيان » تحقيق د . عبد الهادي التازي ص ٣٩ .

(٢) « المرجع السابق » ص ٨١ .

(٣) « رسالة » محمد بن أحمد بن عبدون النجيبي ، نشرها الاستاذ / ليفي برو فنصال .

ولا يجوز للمربي ضمن محضنه التربوي أن يزيد في ضربه على ثلاث درر في مجال تربوي أخفق به الطالب ، وأن يكون التأديب على قدر الذنب دون إسراف وما زاد على ذلكَ قوصص به يوم القيامة ، واعتبر ذلكَ من الشِّدَّة في التأديب .

* * *

الفصل الثاني

أثر الشدّة والقسوة في التأديب التربوي الحسي

وفيه مباحث :

المبحث الأول : الآثار النفسية .

المبحث الثاني : الآثار الاجتماعية .

المبحث الثالث : الآثار السلبية للشدة في العملية التعليمية .

تمهيد

لقد شغل التأديب التربوي الحسي وآثاره حيزًا كبيرًا من اهتمام علماء الفكر التربوي الإسلامي فلم يسمحوا به كوسيلة من الوسائل التربوية المانعة لتجنب القيام بأساليب سلوكية معينة ، أو تأديب على خطأ ارتكب ، أو إثم اقترف ـ إلاَّ عند الضرورة ـ وبالقدر المسموح به ، لما رأوا من نتائج التأديب التربوي الحسي المبالغ فيه من التشفي والانتقام .

وقد استلهموا النهي عن الضرب ـ للتشفي والانتقام ـ من نهي النبي ﷺ في حالة القضاء على المذنبين عند الغضب .

عن عبد الرحمن بن بكرة قال : كتب أبو بكرة إلى ابنه ـ وكان بسجستان ـ بأن لا تقضي بينَ اثنين وأنت غضبان ، فإني سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول : « **لا يقضين حكم بينَ اثنين وهو غضبان** » (١) .

ومن حديث آخر للنبي ﷺ : « **لا تؤذوا المسلمين ، ولا تعيّروهم** »(٢) .

لذلك نرى أن أكثر علماء الفكر التربوي الإسلامي ــ مثل ابن مسكويه ــ وابن سحنون ، والقابسي ، والعبدري ، وابن خلدون ،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٤٦/١٣ (رقم ٧١٥٨) كتاب الأحكام ، باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان ، ومسلم في صحيحه ١٣٤٢/٣ (رقم ١٧١٧) كتاب الأقضية ، باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان .

(٢) أخرجه الترمذي ٣٣١/٤ (رقم ٢٠٣٢) بسياق أطول كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في تعظيم المؤمن ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب .

وغيرهم ، يرون منع الشدة في تأديب الأطفال ، وإننا نتفق معهم في أن نعامل كل طفل المعاملة التي تناسبه ، بعد دراسة المشكلة التي تعرَّض لها ، وحالة الطفل النفسية ، والاجتماعية .

وإننا خلال دراستنا لأثر الشِّدَّة والقسوة في التأديب التربوي الحسي سنعتمد على ما كتبه العلاّمة ـ ابن خلدون رحمه اللّه ـ في مقدمته المشهورة بعنوان : « في أنَّ الشِّدَّة على المتعلمين مضرَّة بهم » ثُمَّ قال : « وذلك أنَّ إرهاف الحدِّ في التعليم مضرّ بالمتعلم ، سيما في أصاغر الولد ؛ لأنه من سوء الملكة .

ومن كانَ مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين ، أو المماليك ، أو الخدم ، سطا به القهر وضيّق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه إلى الكسل وحُمِلَ على الكذب والخبث ، وهو التظاهر بغير ما في ضميره ، خوفًا من انبساط الأيدي بالقهر عليه ، وعلّمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت له هذه عادة وخلقًا ، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيثُ الاجتماع والتمدُّن ، وهي الحميّة والمدافعة عن نفسه ، أو منزله ، وصار عيالاً على غيره في ذلكَ ، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها ، فارتكس وعاد في أسفل السافلين » (١) .

---

(١) « مقدمة ابن خلدون » عبد الرحمن بن خلدون ، ص ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، « العبر وديوان المبتدأ والخبر » .

من خلال دراسة محتويات هذه المقدمة التي تبين عمق الأصالة التربوية في فكر (ابن خلدون) والتي هي عبارة عن مجموعة نقاط علاّم واضحة على طريق التربية والتعليم ، تبرز أهم ملامح الشدّة وآثارها على المتعلمين من الناحية النفسية ، والاجتماعية ، والتعليمية ، وسوف نتابع دراسة هذه الآثار واستخلاصها من المقدمة .

* * *

المبحث الأول

الآثار النفسية

لم يخف على ابن خلدون ـ رحمه اللَّه ـ الآثار التي تصيب نفس الطفل من استخدام هذا اللون من أساليب التربية الخاطئة وآثاره الخطيرة على الأطفال وعلى نموِّهم النفسي وتكيفهم ، ومن هذه الآثار : ـ

١ ـ « إن من كانَ مرباه بالعسف ، والقهر (الشدَّة والقسوة) : فإن تربية الولد بهذا اللون تسبب إذلالاً للنفس ، وتؤدي إلى اللجوء للأخلاق والعادات الذميمة ، والتي سوف نرى بعضًا منها من خلال تحليلنا لما كتبه ابن خلدون في مقدمته .

وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الأطفال الذين يسيطر عليهم الآباء ، ضائعون خجلون ، وكثيرًا ما يظهرون بمظهر مضطرب ، كما أنهم يشعرون بالنقص ، وأنهم ليسوا أكفَّاء ، إضافة إلى وجود روح عدائية كامنة فيهم (١) .

٢ ـ « وسطا به القهر » (القهر بالبطش ، والسيطرة) .

ومن الآثار السلبية للشدة إيجاد شخصيات ضعيفة لا تقوى على المناقشة ، أو إبداء الرأي ، خائفة مستكينة .

٣ ـ « ضيق على النفس انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه إلى

---

(١) « أضواء على الشخصية والصحة العقلية » لعثمان لبيب فرّاج ص ١٢٣ .

الكسل » .

نلاحظ أن القمع ، والشدة في مجال التربية ظاهرة تعود علينا بضيق النفس ، وذهاب النشاط ، وحصول الكسل كما يجري في المجتمع المدرسي أو المنزلي .

٤ ـ « وحُمل على الكذب ، والخبث ، وهو التظاهر بغير ما في ضميره » يبطن ما لا يُظهر « خوفًا من انبساط الأيدي بالقهر عليه » ، وهذه من أهم نتائج القسوة ، والشدة في تربية الولد ؛ لذا « قد يستحق التلميذ التأديب الحسي ، إلاَّ أن المدرس الذي يوقِّع التأديب الحسي قد يكون في حالة ثورة جامحة أثناء توقيعها ، مما يؤدي إلى التعسّف والشطط ، وقد تؤدي حساسية التلميذ للظلم الذي يقع عليه إلى كراهية من يعاقبه ، وكل ما يمت له بصلة ... » (١) .

٥ ـ « وعلَّمه المكر والخديعة لذلك ، صارت له عادة وخلقًا » إن هذا العسف والقسوة تعلِّم « المكر والخديعة » ويصبح ذلكَ بالتالي للمتعلم « خلقًا وعادة » يظهر لك استعداده لحل الواجب ولكنه يبطن غير ذلكَ .

« لأن شهور الطفل بأن العقوبة توقع عليه للانتقام والتشفيِّ ـ لا للإصلاح ـ قد يحدث انحرافًا معينًا في نفسه ، وتكون الخسارة مزدوجة ، فلا العقوبة أدَّت غرضها في الإصلاح ، وزاد في نفس الطفل انحراف جديد

---

(١) « علم النفسي التربوي الرياضي » د . سعد جلال ، د . محمد علاوي ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

هو تحقيق الذات عن طريق غير سوي »(١) .

« وقد تؤدي الشدة إلى معارضة شديدة لمن يقوم بها ، ويوقّعها مثل العصيان ، والتمرد »(٢) .

كما أن للتأديب الحسي الشديد نتائج سيئة عدا عن كونه غير عادل : « إذ إنه يؤدي إلى الكبت ، والقلق ، والشعور العدائي ، وعندها لا بدَّ أن تظهر اضطرابات سلوكية بأشكال أخرى »(٣) .

٦ ـ « وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل » نرى ابن خلدون يمضي في تبيان الآثار التي تصيب نفس الطفل نتيجة الشدة والصرامة ، فتشلّها عن اكتساب الفضائل ، والأخلاق الطيبة ، وتنقبض عن غايتها ، ومدى إنسانيتها ، ويصيبها الارتكاس ، وينالها الضعف والخوار ، وفقدان الذات الشخصية »(٤) .

* * *

---

(١) « منهج التربية الإسلامية » لمحمد قطب ١٤٣/٢ .

(٢) « علاقة الوالدين بالطفل » د . محمد علي حسن ص ٢٠٤ .

(٣) « المشكلات السلوكية عند الأطفال » د . نبيه غبرة ص ٦٤ .

(٤) « فن التدريس للتربية الدينية وارتباطاتها النفسية » لمحمد صالح سمك ص ١٧٩ ، ١٨٠ .

المبحث الثاني

الآثار الاجتماعية

بعد أن يحلل ابن خلدون ـ رحمه الله ـ هذه الآثار التي تنشأ في تكوين الطفل واكتسابه للعادات الضارة يتقصى :

الآثار الاجتماعية التي تتأثر بإيجاد هذا السلوك عند الطفل كنتيجة للشدة التي تلقاها في تأديبه الحسي .

ويرى من نتائج هذه التربية النامية في مجال الشدة والقسوة ، والتي تؤدي بدورها إلى أن : ـ

١ ـ « أفسدت معاني الإنسانية » للطفل « حيثُ الاجتماع والتمَّدن ، وهي الحميَّة (الأنفة) ، والمدافعة عن نفسه ، أو منزله ... » .

يرى ابن خلدون أن استخدام الشدة في التأديب الحسي يُفسد المعاني الإنسانية كالأخوة ، والمحبة ، والصدق ، والصبر ، والشجاعة ، والأنفة ، والكرامة ، هذه الصفات الإنسانية جميعًا تفسدها القسوة وتقضي عليها ، بل وتحولها إلى صفات ذميمة وأخلاق رديئة ، لهذا نهى رسول الله ﷺ عن إيذاء المسلمين ، فقال : « **ولا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم** »⁽¹⁾ .

وقد أدت الشدة إلى كثير من البلايا التي ولَّدت بعض المشكلات الاجتماعية ، التي يتألم منها المجتمع الإنساني ، فجعلت الطفل كائنًا ميت

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٣١/٤ (رقم ٢٠٣٢) كتاب البر والصلة ، باب (٨٥) ما جاء في تعظيم المؤمن ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب .

النفس ، ضعيف الإرادة ، نحيف الجسم ، مضطرب الأعصاب ، خائر العزيمة ، قليل النشاط والحيوية ... (١) .

٢ - وصار « عيالاً على غيره » .

وكثيرًا ما ينمو هؤلاء الأطفال وهم عاجزون عن الاعتماد على النفس ، فيعتمدون على الآخرين وخاصة الوالدين ، منغمسين في الاتكال على غيرهم ، مفتقرين التلقائية والإيجابية ، لا يستطيعون البتّ في أمر من الأمور (٢) .

كما يصبح « عديم الاهتمام بغيره ، لا يحاول أن يرضيهم ، أو يصغى لإرشادهم ، أو لمطالبهم ، ولا يتعاون معهم ، ولا يكترث بالعلاقات الاجتماعية المتبادلة ... » (٣) .

ومن أبرز نتائج القسوة « إيجاد شخصيات ضعيفة لا تقوى على المناقشة أو إبداء الرأي ، خائفة هادئة مسكينة ، تهاب الاجتماع ، ولا تمارس ألوان النشاط الاجتماعي نتيجة الخوف الشديد مما صادفته في حياتها » (٤) .

ومن نتائج القسوة أيضًا : « كراهية الأطفال لمنازلهم وأسرهم ، وعدم الرغبة في البقاء فيها ، أو استمرار حياتهم مع والديهم أو ذويهم ، ومن هنا

---

(١) « التربية الإسلامية وفلاسفتها » لمحمد عطية الأبراشي ص ١٥٥ .

(٢) « علاقة الوالدين بالطفل » د . محمد علي حسن ص ٢٠٤ .

(٣) « مشاكل الأطفال والآباء » لسوزان أيزاكس ، ترجمة سلسلة الألف كتاب : ٨١ .

(٤) « علاقة الوالدين بالطفل » د . محمد علي حسن ص ٢٠٣ .

يفرُّون إلى الشوارع والطرقات ، والجماعات المختلفة ، حيثُ يجدون حرية أوسع وأكبر ، الأمر الذي يعرِّضهم إلى الكثير من ألوان الانحرافات السلوكية المختلفة ، أو أن يمارسوا ألوانًا من السلوك المضاد للمجتمع ، يُعدُّ التشرد والإجرام أبرزها وأوضحها » (١) .

* * *

---

(١) « علاقة الوالدين بالطفل » د . محمد علي حسن ص ٢٠٥ .

المبحث الثالث

الآثار السلبية للشّدة في العملية التعليمية

يطرح ابن خلدون في « مقدمته » بعض الآثار التي تصيب العملية التعليمية نتيجة استخدام الشدة على المتعلمين ، فيقول : « فينبغي للمعلم في متعلمه أن لا يستبد عليهم في التأديب » (١) :

١ ـ لأن إرهاف (تجاوز) الحدِّ في التأديب الحسي مضرّ بالعلمية التعليمية والتربوية ، ومفسد لأخلاق الطفل ، فلا ينبغي لمربي الأطفال استخدام الشدة حرصًا منه على صون النفس عن مذلة التأديب ، علمًا بأن المقدار الذي عينه الشرع لذلك أملك له ، فإنه أعلم بمصلحته ... (٢) .

٢ ـ يعلِّم دروسًا غير مرغوب فيها ، كأن يكرهوا مادة بعينها أو مدرس المادة أو المدرسة ، من خلال التأثير الشديد للتأديب الحسي والقسوة في الأداء مما تؤثر تأثيرًا سيئًا مباشرًا في نفسية الطفل .

٣ ـ إن استخدام الشدّة في التأديب الحسي « تولِّد بينَ المعلم والمتعلم عداءً صامتًا ومستمرًا يظهر في الشعور حينًا ، ويختفي في اللاشعور في بعض الأحيان ، وليس ذلكَ من أهداف التربية في شيء ... » (٢) .

٤ ـ خطر التعود على الشدة يفقد العملية التربوية جميع الوسائل التربوية دفعة واحدة مثل : عدم استخدام الحوافز ، ووسائل الثواب بكاملها ، وعدم

---

(١) « مقدمة ابن خلدون » لعبد الرحمن بن خلدون ص ٤٦٤ .

(٢) « صفات المربي » لعلي الشويكي ص ٧٩ .

استخدام خطوات التأديب المعنوي ... لا يزجره ولا يؤثر فيه وجه عابس ، أو صوت غاضب ، أو حرمان من تشجيع .

٥ ـ ارتباط العملية التعليمية بخبرات غير مرغوب فيها (الشدِّة والقسوة) تؤدي إلى انقطاع الطفل عن المدرسة بسبب شدة التأديب الحسي الذي حصل عليه ، أو الذي ينتظره من مربيه ، أو من إداريي المدرسة ، كما يؤدي إلى سلبية التفاعل التربوي بين طرفي العملية والتعليمية .

٦ ـ الذين ينادون بضرب الأطفال قد لا يدركون أن استخدام هذا الأسلوب التربوي ، يجعل الطفل قليل الإحساس ، بطئ الاستجابة لا تؤثر فيه الأساليب التربوية الهادئة كالرفق واللين ، ويصبح عديم الاهتمام بغيره ، ولا يصغي لإرشادهم .

* * *

الباب الخامس

الثواب

ويشتمل على خمسة فصول :

الفصل الأول : تعريف الثواب .

الفصل الثاني : إشباع بعض حاجات الطفل .

الفصل الثالث : الاستجابة لميول الطفل وترضيته .

الفصل الرابع : الرِّفق واللِّين ، وفيه مباحث :

المبحث الأول : المراد بالرفق .

المبحث الثاني : الرفق عند علماء الفكر التربوي الإسلامي .

المبحث الثالث : صور من الرفق .

المبحث الرابع : المراد باللِّين .

الفصل الخامس : العدل بينَ الأطفال .

الفصل الأول
تعريف الثواب

قال اللَّه تعالى :

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيرًا يَرَهُ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

[سورة الزلزلة : ٧ ، ٨]

١ ـ الثواب في اللغة :

(الثواب) ، و(المثوبة) : جزاء الطاعة ، وهما مطلق الجزاء كذا نقله الأزهري ، وغيره ، ويعضده قوله تعالى : ﴿ **هل ثُوِّبَ الكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ (١) ، أي : جُوزُوا ؟ ؛ لأن ثوَّبه بمعنى أثابه (٢) .

والمثابة والثواب : الجزاء ، وأثابه اللَّه تعالى : فعل له ذلكَ (٣) ، فالثواب والثناء والشكر كلها ترفد مصبًا واحدًا .

٢ ـ الثواب في الحديث الشريف :

في حديث ابن التيهان « أثيبوا أخاكم » أي جازوه على صنيعه .

عن جابر بن عبد اللَّه قال : صنع أبو الهيثم بن التيهان للنبي ﷺ طعامًا ، فدعا النبي ﷺ وأصحابه ، فلما فرغوا قال : « **أثيبوا أخاكم** » قالوا : يا رسول اللَّه ! وما إثابته ؟ قال : « **إن الرجل إذا دُخل بيته فأُكل طعامه ، وشُرب شرابه ، فدعوا له ، فذلك إثابته** » (٤) .

---

(١) سورة المطففين آية : ٣٦ .

(٢) « مختار الصحاح » ص ٧٤ .

(٣) « المصباح المنير » ص ٧٨ .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ١٨٨/٤ (رقم ٣٨٥٣) كتاب الأطعمة ، باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام إذا أكل عنده ، واللفظ له ، وسنده ضعيف لأن الراوي ، عن جابر لم يسم ، وفي إسناده مدلس ، والحديث ضعفه الألباني « ضعيف الجامع الصغير » (رقم ١٣٩) ، وله شاهد من حديث ابن عمر لكنه ضعيف أيضًا . انظر : « سلسلة الأحاديث الضعيفة » (رقم ١٩٢٨) .

يقال : « أثابه ، يثيبه » ، والاسم « الثواب » ، ويكون في الخير ، والشر ، إلاَّ أنه بالخير أخص وأكثر استعمالاً (١) .

والثواب : ما يستحق به الرحمة ، والمغفرة من اللَّه تعالى ، والشفاعة من الرسول ﷺ .

وقيل : الثواب هو إعطاء ما يلائم الطبع (٢) .

إن إثابة المحسن على إحسانه ، وعقاب المسيء على إساءته مبدأ إسلامي لقوله تعالى : ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الإحْسَانِ إلاَّ الإحْسَانُ** ﴾ (٣) ، ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئةٍ سَيِّئةٌ مِثْلُهَا** ﴾ (٤) .

٣ ـ الثواب عند بعض علماء التربية :

يقول الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي : « الترغيب وعد يصحبه تحبيب وإغراء ، بمصلحة ، أو لذَّة ، أو متعة آجلة ، مؤكدة ، خيرّة ، خالصة من الشوائب ، مقابل القيام بعمل صالح ، أو الامتناع عن لذة ضارة ، أو عمل سيئ ابتغاء مرضاة اللَّه ، وذلك رحمة من اللَّه لعباده » (٥) .

---

(١) « النِّهاية في غريب الحديث » لابن الأثير ١/٢٢٧ .

(٢) « التعريفات » للجرجاني ص ٧٢ .

(٣) سورة الرحمن آية : ٦٠ .

(٤) سورة الشورى آية : ٤٠ .

(٥) « أصول التربية الإسلامية وأساليبها » لعبد الرحمن النحلاوي ص ٢٨٧ .

٤ ـ الثواب عند بعض علماء النفس :

« الثواب هو الأثر الطيب الذي يتبع الأداء أو الاستجابات المرغوب فيها ، ويؤدي إلى الشعور « بالرضا ، أو الارتياح » ، وتتمثل حالة « الرضا ، أو الارتياح » في سعي المتعلم للحصول على هذا المثير أو الاحتفاظ به » .

ويسمِّي علماء النفس الثواب : بالتعزيز ؛ « لأنه يعزز الاستجابات المرغوب فيها ويُؤدي إلى تكرار حدوثها »(١). وقد تتخذ المثوبة طابعًا ماديًا خارجيًا صريحًا ، وتتمثل في تقديم شيء ملموس عياني يُسمّى المكافأة ، أو الباعث ، أو المعزّز الموجب ، والتي تُشبِع لدى المتعلم دافعًا من نوع ما » (٢) .

* * *

---

(١) « علم النفس التربوي » د . آمال صادق ، د . فؤاد أبو حطب ص ٣٧٥ .

(٢) « المصدر السابق » ص ٣٧٦ .

الفصل الثاني

إشباع بعض حاجات الطفل

الحاجة : هي الافتقار إلى شيء ما ، إذا وجد حقق الإشباع الرضا والارتياح للكائن الحي ... ، والحاجة شيء ضروري ، إمَّا لاستقرار الحياة نفسها « حاجة فسيولوجية » ، أو من أجل الحياة بأسلوب أفضل « حاجات نفسية » ، أما الحاجة إلى الحب والمحبة ، فهي ضرورية للحياة بأسلوب أفضل ، وبدون إشباعها يصبح الفرد سيئ التوافق ، والحاجات توجه سلوك الكائن الحي سعيًا لإشباعها (١) .

إن إشباع حاجات الأطفال يقلل من مشكلات السلوك إلى أقصى حد ويصبح إشباع هذه الحاجات حجر الزاوية في معظم أساليب معاملة المربي للأطفال .

ولا شك أن وقوفنا على هذه الحاجات ، وفهمنا لطرق إشباعها سوف يساعدنا في التوصل إلى أفضل مستوى ؛ « لأن حاجات الفرد ومطالبه عبارة عن قوى دافعة تدفعه إلى القيام بأنواع مختلفة من السلوك لإشباع هذه الحاجات التي تصبح أهدافًا ، أو غايات » (٢) .

فالمربي إذا رأى الطفل قد أنجز ما كُلِّف به من أعمال ، أو واجبات ، أو تحسن في السلوك ، أشعره من خلال بعض العبارات التربوية بأن أخطاءه في مادته أخذت تتناقص ، أو تزول جزئيًا ، وهذه العبارات التربوية

---

(١) « تربية الأطفال في رحاب الإسلام » لمحمد حامد الناصر ، خولة عبد القادر درويش ص ١٩٢ .

(٢) « أصول التربية وعلم النفس » د . محمد رفعت رمضان ، د . محمد سليمان شعلان ص ٣٨ .

والاستحسان له تقوده إلى مزيد من الاستجابات نحو الأفضل ، وإلى مستوى من الأداء يتجاوز حدود طاقاته ، ويتعدى إمكاناته وقدراته مما يزيد الثقة بالنفس ويشبع حاجته إلى النجاح والتحصيل ، والحب والاحترام .

وقد أشار بعض المربين المسلمين إلى قيمة الإثابة في إشباع حاجة الطفل إلى الحب والنجاح ، فيقول ابن مسكويه : « يمدح لكل ما يظهر مِنه مِن خلق جميل ... وفعل حسن يكّرم عليه » (١) .

وإلى مثل هذا ذهب الإمام الغزالي ، وشمس الدين الأنبابي ، والفقيه القابسي ، وابن الحاج العبدري ، وغيرهم كثير ، وجميعهم كانَ هدفهم من تلك الإثابة أن يعرف « الطفل » وجه الحسن من القبيح ، فيدرج على اختيار الحسن » (٢) .

وقد استهدف المربون المسلمون في تربية الطفل تحقيق أفضل مصالحه ، والوصول بتربيته إلى أقصى ما تمكنه استعداداته وتحمل قدراته ، وكانت توجيهاتهم إلى مربي الطفل : « أن يعتمد حال الصبي ، وما هو مستعدّ له من الأعمال ، ومهيأ له منها فيعلم أنه مخلوق له » (٣) .

والمحاولات الأولى للطفل ، في أي مجال من المجالات ، إذا أدت إلى نجاح فإن هذا يشعره بالثقة في نفسه ، ويدفعه إلى تكرار المحاولة وتحسينها ،

---

(١) « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » لابن مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد) ص ٢٠ .

(٢) « المفصلة لأحوال المتعلمين ، وأحكام المعلمين » لأبي الحسن علي بن محمد بن خلف ، ملحقه بـ « التربية في الإسلام » د . أحمد فؤاد الأهواني ، ورقة ٥٨/ب .

(٣) « تحفة المودود بأحكام المولود » لابن قيم الجوزية المكتبة-القيمة .

والانتقال منها إلى عمل آخر ؛ ولذا يجب أن نضع الطفل في ظروف ينجح فيها .

وكما أشار بدر الدين ابن جماعة إلى هذه الإثابة « فمن رآه مصيبًا في الجواب ، ولم يَخَفْ عليه من شدة الإعجاب ، شكره ، وأثنى عليه بينَ أصحابه ؛ ليبعثه وإيّاهم على الاجتهاد في طلب الازدياد » (١) ، غير أن إشباع هذه الحاجة يقتضي تكليف الطفل بما يستطيع أداءه من الأعمال ، ولا يخرج عن حدود إمكاناته ، وذلك مبدأ يحرص عليه الإسلام في كل حالة أو تكليف ، قال اللّه تعالى : ﴿ **لا يُكَلّفُ اللّهُ نَفسًا إلاّ وسعَهَا** ﴾ (٢) .

لذا وجب على مربي الطفل ، إن رآه يجاهد لتحقيق أهداف تفوق إمكاناته ، أن يدعوه إلى الرفق بنفسه آنذاك ، ويقوم بتكليفه بما يستطيع القيام به ويوجهه إلى : « الرفق بنفسه » ، ولا يشير على الطالب بتعلُّم ما لا يحتمله فهمه ، أو سنه (٣) .

فالطفل إذا كُلِّف بأعمال تفوق قدرته ، وتتعدى نطاق استطاعته ، شعر بالعجز ، ويئس من مواصلة النشاط ، وأحجم عنه ، وفي هذا فقدان لثقته بنفسه ، وينبغي للمعلم أن يدرك هذه المعاني وهذه الحاجات ، وهو يتعامل مع الأطفال ، فلا يكثر عليهم الواجبات ، ولا يكلفهم بأمر لا يطيقونه ، أو قد يعصونه ، فيولِّد عندهم كراهية المدرس أولاً ، وكراهية

---

(١) « تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم » لابن جماعة ص ٥٤ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٦ .

(٣) « تذكرة السامع والمتكلم » ص ٥٥ .

المادة ، والمدرسة ثانيًا ، وعليه أن يسأل نفسه : هل يستطيع الطفل أن يكتب الواجب بسهولة ، أم أنه لا يستطيع فأسوقه إلى العصيان ، واللجوء إلى الكذب .

فالطفل أمانة عند مدرسية ، وقلبه الطاهر جوهرة ثمينة ، وعلينا أن نعرف كوامن نفسه ، ونعرف كيف نتعامل معه ، وبعد : « فإن الاهتمام بتلك الحاجات ، يجب أن يكون بصورة معتدلة ، دون إفراط ولا تفريط »⁽¹⁾ .

* * *

---

(١) « مدخل إلى التربية الإسلامية » لعبد الرحمن النحلاوي ص ٥٣ .

الفصل الثالث

الاستجابة لميول الطفل وترضيته

الاستجابة لميول الطفل وترضيته حتّى يرضى ، وذلك كلما كانَ أقرب إلى الصغر ، فالطفل الصغير لا بد من ترضيته وتنفيذ مطالبه ، وذلك لشعوره بالحاجة التي يطلبها ، فإذا تمت الاستجابة انشرحت نفسه ، وفرح ، وانطلق بحيوية فائقة ، وإذا لم يُلبَّ طلبه ازداد غيظًا ، وغضبًا ، وحنقًا » (١) .

والإسلام يحرص على أن يكون المعلم لطلابه كالأب لأولاده ، رحمة ، ونصيحة ، وتربية ، ورفقًا ...

ولقد وصف اللّه ﷻ رسوله ﷺ بقوله : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ مِنْ أنفسِكُم عَزِيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بالمُؤمنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (٢) .

ونعت النبي ﷺ نفسه بقوله : « **إنما أنا لكم بمنزلة الوالد الكريم أعلّمكم ...** » (٣) .

والرسول ﷺ هنا يقرر قاعدة تربوية عظيمة وجليلة في حل كثير من مشاكل الطفل ، وقد استجاب الصحابة ـ رضوان اللّه عليهم ـ لهذه القاعدة ، وغدوا إلى تطبيقها .

روى ابن عساكر (٤) ، عن واثلة بن الأسقع ﷺ أن رسول اللّه ﷺ

---

(١) « منهج التربية النبوية للطفل » لمحمد نور عبد الحفيظ سويد ص ٢٥٢ .

(٢) سورة التوبة آية : ١٢٨ .

(٣) « صحيح الجامع الصغير » لمحمد ناصر الدين الألباني ٢/٢٨٤ .

(٤) « البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف » لابن حمزة ٢/١٣٥ .

خرج إلى عثمان بن مظعون ، ومعه صبي صغير لم يلثمه ، فقال له : « **ابنك هذا ؟** » ، قال : نعم ، قال : « **تحبه يا عثمان ؟** » ، قال : إي واللَّه يا رسول اللَّه إني أحبه ! ، قال : « **أزيدك حبًا له ؟** » ، قال : بلى فداك أبي ، وأمي ، قال : « **إنه من ترضّى صبيًا صغيرًا من نَسْله حتّى يرضى ، ترضاه اللَّه يوم القيامة حتّى يرضى** » .

والآن نستمع إلى الحوار الهادئ والهادف بينَ أمير المؤمنين معاوية ﵁ ، ومؤدب ولده : الأحنف بن قيس ، حيثُ بيَّن الأحنف بن قيس أهمية ترضية الولد ، والاستجابة لميوله ، وإدخال السرور على نفسه ، والنصيحة الذهبية التي قدَّمها الأحنف لمعاوية ، ولكل مسلم وُلِّي أمر أبناء المسلمين أبًا كريمًا ، أو مربيًا رحيمًا .

قال يزيد بن معاوية : أرسل أبي إلى الأحنف بن قيس ، فلما وصل إليه قال له : يا أبا بحر ! ما تقول في الولد ؟ .

قال : « يا أمير المؤمنين ... ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، وبهم نصول على كل جليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، فيمنحوك ودَّهم ، ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلاً ، فيملُّوا حياتك ، ويودوا وفاتك ، ويكرهوا قربك .

فقال له معاوية : لله أنت يا أحنف ، لقد دخلت عليَّ وأنا مملوء غضبًا وغيظًا على يزيد .

فلما خرج الأحنف من عنده رضي عن يزيد ، وبعث إليه بمائتي ألف درهم ، ومائتي ثوب ، فأرسل يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب » (١) .

وهذا يدل على شعور يزيد بالرضا والسرور ، مما قدمه الأحنف لوالده من ترضيته ، وزرع الثقة بنفسه .

ألا فليأخذ الآباء والمربون العظة والعبرة في الملاطفة لأولادهم ، والاستجابة لميولهم ، وترضيتهم ، وحُسن المعاملة لهم ، والطريق الأقوم في تربيتهم وتوجيههم .

* * *

---

(١) « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي ٢/٢١٨ .

الفصل الرابع
الرفق واللين

وفيه مباحث :

المبحث الأول : المراد بالرفق .

المبحث الثاني : الرفق عند علماء الفكر التربوي الإسلامي .

المبحث الثالث : صور من الرفق .

المبحث الرابع : المراد باللّين .

المبحث الأول

المـراد بـالـرِّفـق

بين بعض أعلام اللغة (١) المراد « بالرفق » بذكر ضدِّه ، فقالوا : الرِّفق « ضدّ العنف » .

وذكر آخرون له تعريفات ، ومفاهيم .

فمنهم من قال : « الرِّفق : هو لين الجانب » (٢) .

ومنهم من قال : « الرِّفق : هو لين الجانب ، ولطافة الفعل » (٣) .

ومنهم من قال : « الرِّفق : لين الجانب ، وهو خلاف العنف » (٤) .

ونستفيد مما ذُكر أن : « الرفق » ضد العُنْف ، ويتضمن لين الجانب ، ولطافة القول والفعل ، والأخذ بالأيسر .

ومن صور الثواب المعنوي الرفق واللين في تربية براعمك ورعايتها ، وتقوية الصلة بها ، حتَّى يتم التفاعل التربوي على أحسن وجه ، ويكتمل التكوين العلمي والنفسي والخلقي على أنبل معنى !!

---

(١) انظر : « الصحاح » مادة « رفق » ١٤٨٢/٤ ، و« مختار الصحاح » مادة « ر ف ق » ص ١٩١ ، وانظر أيضًا : « الأخلاق الإسلامية وأسسها » للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، حيثُ يقول فيه : « الرفق هو ظاهرة خلقية يضادها العنف » ٣٣٧/٢ .

(٢) انظر : « غريب الحديث » للإمام أبي إسحاق الحربي ، باب رفق ٣٥٤/٣ .

(٣) « أساس البلاغة » للعلامة الزمخشري ، مادة « ر ف ق » ص ١٧١ .

(٤) « النِّهاية في غريب الحديث والأثر » لابن الأثير ، مادة « ر ف ق » ٢٦٤/٢ ، « لسان العرب المحيط » ، مادة « ر ف ق » ١٢٠١/١ .

ومن المؤكد لدى أصحاب العقول النيرة أنه إذا كانَ ثمة جفوة ما بينَ الطفل ومربيه ، أو بينَ الطالب وأستاذه ، فلا يمكن أن يتم تفاعل بينهما ولا تتحقق تربية .

لذا وجب على المربين والمدرسين خاصة أن يبحثوا عن الوسائل الإيجابية التي تحبب التلاميذ بهم ، حتّى تجعل التلاميذ يرغبون في المادة التي يقومون بتدريسها وتقوية الصلة والرفق بهم .

فالرفق صفة من أبرز الصفات الأخلاقية التي يجب على المسلم أن يتصف بها ، وإذا كانَ الرفق مطلوبًا في كل شيء ، فهو في حق الطفل أولى .

إن الرفق في التربية واجب لا تجوز الغفلة عنه ، قال ﷺ : « **إن اللّه رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف** » (١) .

والهدي المحمدي يجعل من الرفق زينة وجمالاً ، يحلي سلوك النّاس ، وها هو عليه السلام يدعو عائشة للرفق ، وهو نصح للأمة كلها ولا سيما أولئك الذين يتبوؤون مقاعد التربية والإرشاد ، فيقول ﷺ : « **يا عائشة ! ارفقي فإن الرفق لم يكن في شيء إلاَّ زانه ، ولا نزع من شيء إلاَّ شانه** » (٢) .

وكان ﷺ مثال الرفق واللطف مع النّاس جميعًا من الخادم حتّى الأمير .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٠٠٣ ، ٢٠٠٤ (رقم ٢٥٩٣) ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب فضل الرفق .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٠٠٤ (رقم ٢٥٩٤) كتاب البر والصلة والأدب ، باب فضل الرفق .

فها هو أنس ﷺ يقول : « خدمته ﷺ في السفر والحضر ، ما قال لي لشيء صنعته لِمَ صنعت هذا هكذا ؟ ولا لشيء لم أصنعه لِمَ لَمْ تصنع هذا هكذا ؟ » (١) .

وكان ﷺ رفيقًا بطلاب العلم ، وسائلي المعرفة ، فكان يجيب عن أسئلتهم بصدر رحب ، ويعيد الشرح لهم مرارًا حتَّى يفهموا (٢) .

كما كانَ عليه السلام يُقبل على سائليه ويتوجه إليهم بالجواب حتَّى يشعر السائل باهتمام الرسول ﷺ وعنايته به .

وبذلك أصبح إقبال المسؤول على السائل مستحبًا ، ومن الأصول المرعية في التربية الإسلامية (٣) .

إن التفاعل الذي ينبغي أن يتم في العملية التربوية بينَ المعلم وتلاميذه مهم جدًا لإنجاح عملية التعليم ، ويأتي التفاعل من حيوية المعلم ورفقه بتلاميذه ، وما يشيعه في الفصل من جو مريح يتسم بالرفق والحب بينه وبين تلاميذه .

* * *

---

(١) رواه البخاري ٥/٤٦٤ (رقم ٢٧٦٨) كتاب الوصايا ، باب استخدام اليتيم في السفر والحضر ، إذا كانَ صلاحًا له .

(٢) المرأة التي سألت الرسول عن غسلها من المحيض ، فقال لها : « خذي فرصة ممسكة فتتطهري بها ... » رواه البخاري ١/٤٣١ ، ٤٣٢ .

(٣) « التربية في السنة النبوية » أبو لبابة حسين ص ٥٨ ، ٥٩ .

المبحث الثاني

الرفق عند علماء الفكر التربوي الإسلامي

« ... إننا لا نحتاج أن نرفق بالطفل حين يتفوق في درسه وتحصيله ، ولا حين يبزُّ أقرانه في الفهم والاستجابة ، ولا حينما يكون ملبيًا لما يطلب منه ، مطيعًا لما يوجه إليه !! .

... لكننا نحتاج إلى تذكر الرفق حين يبدو على الأطفال ما نظنه غباءً وتقصيرًا في الفهم والتحصيل ... » (١) .

فيجب ـ والحال هذه ـ أن يعمل المربي على إنقاذهم مما هم فيه ، وإعدادهم إعدادًا فكريًا ، وروحيًا ، وعقليًا ، يجعلهم صالحين لنفع أنفسهم ، وأمتهم ، وليكن حرصه على إنقاذ طلبته مما هم فيه من الضعف العلمي ، أو إساءة أدب ، أو جفاء ، أو أخطاء في التعامل مع غيره .

كحرصه على إنقاذ أبنائه من ذلكَ كله .

والقابسي ينزل المعلم من الصبيان منزلة الوالد ، فيقول : « المعلم عوض لهم عن آبائهم » (٢) ، ممتثلاً قوله ﷺ : « **إنما أنا لكم بمنزلة الوالد الكريم أعلّمكم** » (٣) .

---

(١) « الرفق في التربية » د . سليم العوا ، عن مجلة المعرفة العدد ٣١ ، ص ١٣ .

(٢) « الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين » القابسي (أبو الحسن علي بن محمد بن خلف ، ملحقه بكتاب التربية في الإسلام) د . أحمد فؤاد الأهواني ، ورقة ٥٨/ب .

(٣) « صحيح الجامع الصغير » لمحمد ناصر الدين الألباني ٢/٢٨٤ .

والقابسي ينظر إلى الصبيان نظرة تلائم طفولتهم ؛ لذا نراه يوصي بأن على المعلم أن يلجأ مع الصبيان الذين يرتكبون الأخطاء في تعاملهم مع زملائهم ، أو مدرسيهم بالرفق بهم قائلاً : « ومن حُسن رعايته لهم أن يكون بهم رفيقًا » (١).

وهو « المأخوذ بأدبهم ، والناظر في زجرهم عما لا يصلح لهم ، والقائم على إكراههم على مثل منافعهم ، فهو يسوسهم في كل ذلكَ بما ينفعهم » (٢).

وقد أكد الخطيب البغدادي على خلق الرفق ، وطالب كلاً من المعلم والمتعلم بضرورة التحلي به ؛ لأنه « منبع كل خير ، ولأنه صفة من صفات اللّه العظمى » (٣).

وعن عائشة ـ رضي اللّه عنها ـ أن رسول اللّه ﷺ قال : « **يا عائشة ! إن اللّه رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على سواه** » (٤).

وقد أدرك الخطيب البغدادي أن من أنجح الأساليب التربوية « الرفق بالمتعلم » ، والأخذ بيده ، ومعاملته معاملة حسنة خاصة أن « شعور المتعلم

---

(١) « الرسالة المفصلة » للقابسي ، ورقة ٥٤/أ .

(٢) « الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين » للقابسي ، ورقة ٥٤/أ .

(٣) « الفقيه والمتفقه » للخطيب البغدادي ١٣٧/٢ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٠٣/٤ ، ٢٠٠٤ (رقم ٢٥٩٣) كتاب البر والصلة والأدب ، باب فضل الرفق .

بعطف معلمه عليه ، وبرفق معاملته له ، يكسبان المتعلم الثقة بالنفس ، ويشعرانه بالاطمئنان إلى معلمه ، فيساعد هذا الشعور على تحصيل العلم بسهولة أكثر » (١) .

وفي هذا المعنى يحث الخطيب البغدادي المدرس أو المربي إلى أن : « يرفق بمن جفا طبعه منهم ـ الأطفال ـ وأن يصبر عليهم ، ويسوسهم بالرفق واللين ، وحسن المداراة ، والاحتمال » (٢) .

يبين رسول اللّه ﷺ أن وجود الرفق في التعامل مع الأطفال يزيِّن العملية التربوية فيصل إلى محبة الطفل واستمالة قلبه إليه وحبه لمادته .

فقد روى الإمام مسلم عن عائشة ــ رضي اللّه عنها ــ عن النبي ﷺ أنه قال : « **إن الرفق لا يكون في شيء إلاَّ زَانه ، ولا نُزع من شيء إلاَّ شانه** » (٣) .

وقد فطن الخطيب البغدادي إلى أن التشهير بخطأ الطالب أمام زملائه ، قد يثير نفسية الطالب ويجعله يجاهر به ، ويلجأ إلى أسلوب التحدي والمواجهة ، لذلك نجده ينصح الوالد (المربي ، والمدرس) بتجنب أسلوب التعنيف والتشهير ، فيقول : « أن يكون توجيهه لمن أخطأ في لين ورفق من

---

(١) « المذهب التربوي عند الغزالي » لفتحية حسن سليمان ص ٣٣ .

(٢) « الفقيه والمتفقه » للخطيب البغدادي ١١٩/٢ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٠٤/٤ (رقم ٢٥٩٤) كتاب البر والصلة والأدب ، باب فضل الرفق .

غير عنف ، أو توبيخ »⁽¹⁾ .

وعلى المعلم أن يتجاوز عن الأخطاء الصغيرة التافهة ولا يقف عندها طويلاً ، إنما يمسها بالملاحظة والإرشاد ، فالمعلم والمربي من أولى النَّاس بالحرص على نيل دعاء النبي الكريم ﷺ ، وذلك لمن رَفِق بأمّته ، وهذا لون من الإثابة للمعلم والمربي .

عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت : قال رسول اللَّه ﷺ : « **اللهم من ولِّي من أمر أمتي شيئًا فشقَّ عليهم ، فاشقق عليه ، ومن ولِّي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم ، فارفق به** »⁽²⁾ .

ويرى بدر الدين بن جماعة ـ أحد أعلام الفكر التربوي الإسلامي ـ ، أن التلاميذ لا يؤثر فيهم إلاَّ المعلم الذي يرفق بهم ، ويشفق عليهم ، ويحبهم ، ويفرح بتعليمهم ، ويكلف نفسه مشقة في سبيل رعاية مصالحهم ، وتهذيب أخلاقهم وإرشادهم إلى ما ينفعهم⁽³⁾، وبهذا يقول : « الصبر على جفاء ربما وقع منه ونقص لا يكاد يخلو منه إنسان ، وسوء أدب في بعض الأحيان ، ويبسط عذره بحسب الإمكان ، ويوقفه مع ذلكَ على ما صدر منه بنصح وتلطف ، لا بتعنيف ولا تعسف ، قاصدًا بذلك حسن تربيته ،

---

(١) « الفقيه والمتفقه » للخطيب البغدادي ٢/١٣٦ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/١٤٥٨ (رقم ١٨٧٨) كتاب الإمارة ، باب الحث على الرفق بالرعية .

(٣) « فن التعليم عند بدر الدين جماعة » د . حسن إبراهيم عبد العال ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

أو تحسين خلقه ، وإصلاح شأنه » (١) .

ويرسم بدر الدين بن جماعة صورة المعلم الرفيق بتلاميذه ، الشفيق عليهم ، المحب لهم بأنه « يعاملهم بطلاقة الوجه ، وظهور البشر ، وحسن المودة ، وإعلان المحبة ، وإضمار الشفقة » (٢) ، ومن رفق المعلم بالتلاميذ « أن يزجر من تعدى أو ظهر منه لدد في بحثه ، أو سوء أدب ، أو ترك الإنصاف بعد ظهور الحق ، أو أكثر الصياح بغير فائدة ، أو أساء أدبه على غيره من الحاضرين أو الغائبين ، أو نام ، أو تحدث مع غيره ، أو ضحك أو استهزأ بأحد من الحاضرين ، أو فعل ما يخلُّ بأدب الطالب في الحلقة (الفصل) بشرط أن لا يترتب على ذلكَ مفسدة تربو عليه ... » (٣) .

وكتب شمس الدين الأنبابي أحد علماء الفكر التربوي الإسلامي - وهو من المتأخرين - في سياسة الصبيان فقال : « فإن خالف الطفل ذلكَ في بعض الأحوال مرة واحدة ، فينبغي أن يتغافل عنه ، ولا يهتك ستره ، فإن إظهار ذلكَ عليه ، ربما يفيده جسارة حتّى لا يبالي بالمكاشفة ... » (٤) .

وهكذا أجمع علماء الفكر التربوي الإسلامي على هذه النصائح بمعاملة الطفل برفق ولين ، والتغافل عما يظهر منه ، حتّى لا يدفع بالطفل إلى العناد

---

(١) « تذكرة السامع والمتكلم » لابن جماعة ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) « المرجع السابق » ص ٦٥ .

(٣) « المرجع السابق » ص ٤١ .

(٤) « رسالة في رياضة الصبيان وتأديبهم » لشمس الدين الأنبابي مخطوط ص ٤٣٢ ، المكتبة العامة بالقاهرة .

والجسارة ، والاجتراء على ما لم يكونوا يجرؤون عليه من قبل « والحكمة تقتضي أن يكون المعلم حازمًا من غير عسف ، ليِّنًا رفيقًا من غير ضعف ، فالحزم والرفق رضيعا لبان ، يجتمعان ولا يتنافيان » (١) .

* * *

---

(١) « مع المعلمين » لمحمد بن إبراهيم الحمد ص ٩١ .

المبحث الثالث
صور من الرفق

المعلم (المربي) بحاجة ماسة إلى التفاف التلاميذ حوله ، واستمالة القلوب إليه ، كي يُسمع ويُستجاب له ، ويتم بذلك التفاعل التربوي على أحسن وجه ، وأكمل صورة ، ولا يتم ذلكَ إلاَّ بالرفق .

وقد ورد أن السيدة عائشة ـ رضي اللّه عنها ـ ركبت بعيرًا فاستعصى عليها ، فجعلت تُردِّده ، فقال لها رسول اللّه ﷺ : « **عليك بالرفق** » (١) .

أخي المربي ... من هذا الحديث نرى أن المسلم مأمور بالرفق عند قيادة البعير ، ولو استعصى عليه بالقيادة وعدم السير ، فكيف لا يكون أبناؤنا أولى وأحق بالرفق من ذلكَ الحيوان البهيم .

فالطفل مهما يكن فهو عاقل يمتاز عن الحيوان بالنطق والإدراك ومعرفة العلل والأسباب ، ولو أن إدراكه لا يزال قاصرًا ، لا يصل إلى حد الكمال .

وروى الإمام مسلم عن عمرو بن سلمة رضي الله عنه قال : كنت غلامًا في حجر رسول اللّه ﷺ ، وكانت يدي تطيش في الصُحفة ، فقال لي رسول اللّه ﷺ : « **يا غلام ، سمِّ اللّه ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك** » (٢) .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٠٤/٤ (رقم ٢٥٩٤) كتاب البر والصلة والأدب ، باب فضل الرفق .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١٥٩٩/٣ (رقم ٢٠٢٢) كتاب الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب وأحكامها .

« ولا يدري كثير من المربين والمدرسين أن هذا الغلام واحد من رجال هذه الأمة ، إلاَّ أنه مستتر بثياب الصبا ، فلو كشف لنا عنه وهو كامن تحتها لرأيناه واقفًا في مصافِّ الرجال القوامين ، لكن جرت سنة اللَّه أن لا يتفق زوال تلك الأستار إلاَّ بالتربية » (١) ، بكافة وسائلها وأنواعها مع التدرج في استخدامها ، وهذا المبدأ أشربه أصحاب محمد ﷺ إشرابًا جعله يطبع حياتهم .

فهذا عمر بن الخطاب يعزل أحد ولاته :

دخل على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أحد عماله وولاته ، فوجد عمر مستلقيًا على ظهره ، وصبيانه يلعبون حوله ، فأنكر عليه سكوته على لعب الأطفال حوله .

فسأله عمر : كيف أنت مع أهلك ؟

فأجاب : إذا دخلت سكت الناطق (٢) .

قال له عمر : اعتزل عملنا ، فإنك لا ترفق بأهلك وولدك ، فكيف ترفق بأمة محمد ﷺ .

فعمر بهذا يعطينا درسًا في حُسن معاملة من هم في رعايتنا من الأبناء وأطفال المسلمين ، فعلى المربي ـ والحالة هذه ـ السعي إلى الرفق بهم ، وإدخال السرور عليهم ؛ ليتربوا تربية حسنة بعيدة عن الخوف والجبن .

---

(١) « السعادة العظمى » لمحمد الخضر ص ٩٠ .

(٢) « التربية الإسلامية وفلاسفتها » لمحمد عطية الإبراشي ص ٣٧ .

لأن من يفعل الشدة مع أسرته ، فهو مع أطفال المسلمين أكثر شدة وغلظة ، ورحم اللّٰه عمر ، فقد كانَ دائمًا خير قدوة ، وخير مثل للتفكير في الرعية وحسن معاملتها .

ولقد تنبه علماء الفكر التربوي الإسلامي إلى مضار هذه الأساليب التربوية التي تتبع أسلوب الشدة والقسوة في معاملة الأطفال ، فحذروا من استعمالها ، ونادوا بالرفق في تربية الأطفال ، وعلاج أخطائهم بروح الشفقة والرأفة والعطف والرحمة ، ومعرفة البواعث التي أدت إلى هفواتهم ، والعمل على تداركها ، وتفهيم الأطفال نتيجتها ، وهذا هو الطريق الأمثل في التربية .

* * *

المبحث الرابع
المراد باللّين

بيَّن عدد من أئمة اللغة المراد باللِّين بذكر ضده ، فقالوا : اللِّينُ : « ضد الخشونة » (١) .

وقد جاءت مشتقات هذه الكلمة في القرآن الكريم ، منها ما جاء في قوله تعالى ﴿ فبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ (٢) .

وقال الإمام ابن الجوزي أثناء تفسيره للآية : « قال قتادة : ومعنى ﴿ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ لان جانبك ، وحَسُنَ خلقك ، وكَثُر احتمالك » (٣) .

وقال الإمام البغوي في تفسير الآية : « ﴿ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ أي سهَّلت لهم أخلاقك وكَثُر احتمالك ، ولم تسرع إليهم بالغضب فيما كانَ يوم أحد » (٤) .

وقريب من هذا ما قاله العلامة الخازن في تفسير الآية » (٥) .

---

(١) انظر : « الصحاح » للعلامة الجوهري ، مادة (لين) ٢١٩٨/٦ ، و« المفردات في غريب القرآن » للإمام الراغب الأصفهاني ، مادة (لين) ص ٤٥٧ ، و« مختار الصحاح » للإمام محمد بن أبي بكر الرازي ، مادة (ل ي ن) ص ٤٤٦ ، و« لسان العرب » للعلامة ابن منظور الإفريقي ، مادة (لين) ٤٢٤/٣ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٥٩ .

(٣) « زاد المسير في علم التفسير » للإمام ابن الجوزي ٤٨٦/١ .

(٤) « تفسير البغوي » المسمى « معالم التنزيل » للإمام محمد البغوي ٣٦٥/١ .

(٥) « تفسير الخازن » المسمى « لباب التأويل في معاني التنزيل » للعلامة : علاء الدين علي محمد الشهير الخازن ٤٣٨/١ .

وقال الفخر الرازي في تفسير الآية : « اعلم أن لِينه ﷺ مع القوم عبارة عن حُسن خلقه مع القوم » (١) .

وعلى ضوء كلام هؤلاء المفسرين نستطيع أن نقول :

إن « اللِّين » يتضمن لين الجانب ،وحُسن الخُلق ، وكثرة الاحتمالات ، وعدم الإسراع بالغضب والتعنيف إذا بدر من الطفل أدنى خطأ (٢) .

فاللِّيونة بمعناها الواسع : تعني : القدرة على فهم الآخرين بشكل متكامل ، لا بمنظار ضيق ، وليس معناها الضعف والهوان ، وإنما التيسير الذي أباحه الشرع (٣) .

فعن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **ألا أخبركم بمن يُحرم على النَّار أو بمن تحرم عليه النَّار ؟ تحرم على كل قريب هينّ سهل** » (٤) .

واللّين : ليس معناه ترك الحبل على الغارب حتّى تصير الأمور فوضى ،

---

(١) « التفسير الكبير » المسمى « مفاتيح الغيب » للإمام فخر الدين الرازي ٦١/٩ .

(٢) « من صفات الداعية : اللين والرفق » د . فضل إلهي ٨/٧ .

(٣) « منهج التربية النبوية للطفل » لمحمد نور بن عبد الحفيظ سويد ص ٣٨ .

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه ٥٦٤/٤ (رقم ٢٤٨٨) كتاب صفة القيامة ، باب (٤٥) وابن حبان (١٠٩٦ ، ١٠٩٧) ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » ١١ ، ٢٣ ، وأحمد في مسنده ٤١٥/١ ، وأبو يعلى ٤٦٧/٨ ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢/٨٣/٣) ، والبيهقي في « الشعب » ٢٧٢/٦ (رقم ٨١٢٥) ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب ، وصححه الألباني في « السلسلة الصحيحة » ٦١٠/٢ (رقم ٩٣٨) .

إنما معناه فقط : ما عبّر عنه القرآن الكريم ، من عدم الفظاظة ، وغِلْظ القلب ، امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَو كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القلبِ لانفَضُّوا مِنْ حَولكَ** ﴾ (١) .

فاللِّين في موضعه ضروري في عملية التربية ، والحزم في موضعه كذلك ضروري على المستوى نفسه .

إنما المنهي عنه هو الفظاظة ، وغلظ القلب ؛ لأنها لا تأتي بخير وتؤدي إلى الانفضاض بدلاً من التقويم .

فعملية التربية مزيج من الحب والرفق والحزم ، ومعرفة بمواطن اللِّين ، ومواطن الحزم على قاعدة دائمة من الحب (٢) .

ونرى القابسي يتأمل النفس الإنسانية ، ويفحص سلوك النَّاس في المجتمع ، ومن أمثلة الحكم القائم على معرفة النفس الإنسانية ما جاء عن وجوب اللين في معاملة الصبيان وعدم العبس ، فقال :

« فكونه ـ المعلم ـ عبوسًا أبدًا من الفظاظة الممقوتة ، ويستأنس الصبيان بها فيجترئوا عليه » (٣) .

فعليك أخي المربي البعد عن العبس والفظاظة في وجه براعمك المؤمنة ؛

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٥٩ .

(٢) « منهج التربية الإسلامية » لمحمد قطب ، ص ٤٧ ـ ٤٩ .

(٣) « الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين » للقابسي ، ورقة ٥٤/أ ؛ ص ٤٩ .

لأن « التربية الرقيقة اللطيفة الحانية كثيرًا ما تفلح في تربية الأطفال على استقامة ، ونظافة ، واستواء »⁽¹⁾ .

وفي هذا المعنى يحث الخطيب البغدادي المدرس والمربي على « أن يُعوِّد لسانه لين الخطاب ، والملاطفة في السؤال والجواب »⁽²⁾ .

وأن « يرفق بمن جفا طبعه منهم ـ الأطفال ـ ، وأن يصبر عليهم ويسوسهم بالرفق ، واللِّين ، وحسن المداراة ، والاحتمال »⁽³⁾ .

من خلال دراستنا للرفق واللين في معاملة الطفل ، وإثابته بالرفق واللِّين نرى أن التربية القائمة على الرفق واللِّين في المعاملة ، والعناية ببيان أسباب السلوك ، وخطوات التعامل الكريم من المدرس ، من شأنه أن يجعل الطفل يتوجه نحو العمل الصالح من تلقاء نفسه ، دون حاجة إلى توبيخ ، أو عصًا يلوح بها .

إن هذه الدراسة عن الرفق واللِّين والتي جاءت من أجل معالجة بعض حالات الأطفال : بعضهم : كانَ يسعى جادًا لأن يكون من الأوائل في فصله ، فأخفق في بعض المواد ، أو لم يحالفه الحظ في الترتيب المتوقع ، أو الدرجة المتوقعة في مادة ما ، أو طفل يظهر عليه الغباء ، وضعف في الإمكانيات والقدرات ، فحصلا على نتائج غير مرضية ، وغير الذي يتوقعه المعلم ، أو الوالد ، أو الأهل جميعًا .

---

(١) « منهج التربية الإسلامية » لمحمد قطب ٢٣٢/١ .

(٢) « الفقيه والمتفقه » للخطيب البغدادي ١١٣/٢ .

(٣) « المرجع السابق » ١١٩/٢ .

فيجب ـ والحالة هذه ـ على كل من المربي والوالد إظهار المحبة والشفقة وأن يقابلا الطفل بهذه النتيجة بالرفق والاتزان ... وأن يقولا له قولاً لينًا ممزوجًا بالرفق وعدم الضجر ، بارك اللّه فيك ، ممتاز ، وفقك اللّه ... والمعالجة الحكيمة أن نقابل الطفل بنتيجته هذه برفق ولين ونقنعه بالحجة الدامغة ... والأخذ بوصية الإمام ابن الجوزي ــ رحمه اللّه تعالى ــ بقوله : « اعلم أن رياضة النفس تكون بالتّلطّف والتنقل من حال إلى حال ، ولا ينبغي أن يؤخذ بالعنف » (١) .

وبعد أن تنتهي فرحة النجاح ، أو توزيع الدرجات ــ بفترة لا بد من الجلوس معه ـ وعلى انفراد ـ وإظهار نقاط ضعفه وسببها من عدم التركيز في الفهم والكتابة ، أو الإسراع في الإجابة دون تمحيصها ، ثُمَّ بعدها يقدم العلاج المناسب بالمتابعة ، والمثابرة والتركيز بهذا الأسلوب نكون قد قدمنا للطفل الإثابة المناسبة في الوقت المناسب ، بالطريقة المناسبة ، بالرفق واللين ، فمن أولى بالرفق من تلك الثمرات الطيبة الرقيقة ، البريئة ، التي يتعامل المربون معها ؟ .

* * *

---

(١) « الطب الروحاني » لابن الجوزي (أبي الفرج عبد الرحمن بن علي) ص ٥٨ .

الفصل الخامس

العدل بينَ الأطفال

العدل : « هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم ، وهو الحكم بالحق ... » (١) .

وفي الشريعة : « عبارة عن الاستقامة على طريق الحق باجتناب ما هو محظور في دينه ... » (٢) .

إن من أهم خصائص المربي الجيد العدل في معاملة الأطفال ، وعدم التمييز بينهم ، والبعد عن الهوى في الحكم عليهم والتعامل معهم ؛ ذلكَ أنَّ قدرًا من الصحة النفسية يتوقف على نوع المعاملة التي يتلقاها من مربِّيه ؛ ولأن إشاعة العدل بينهم يبهج نفوسهم ، ويريح أفئدتهم ، وقد « عبَّر عدد كبير من التلاميذ بمرارة وحرارة من خلال إجاباتهم الحرَّة عن ميل المعلمين والمعلمات إلى هذا الطالب أو ذاك ، إمَّا لعلاقة شخصية بالطالب أو بأهله ، مما لا يؤول إلى أسباب موضوعية تدخل في صميم التقويم » (٣) .

وتبرز حالة الاستجابات المرغوبة لشعورهم بالمساواة من قبل المربِّي في مجالي الثواب والتأديب التربوي ، وامتثالاً لقوله تعالى : ﴿ **إنَّ اللَّهَ يأمرُكم**

---

(١) « لسان العرب » (أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الإفريقي) (رقم ٢٨٣٨) بتصرف .

(٢) « التعريفات » للجرجاني ص ١٤٧ .

(٣) « العلاقة بينَ الطالب والمعلم » د . محمود إسماعيل عمار ص ٨٣ .

بـالعَدلِ وَالإحْسَـانِ ﴾ (١) ، **﴿ وَأُمـرتُ لأعـدِلَ بَينكُـم ﴾** (٢) ، **﴿ وَإذَا حَكَمتُم بينَ النَّاسِ أنْ تحكمُوا بالعَدلِ ﴾** (٣)، **﴿ وَإذَا قُلتُم فاعْدِلُوا ﴾** (٤) .

هذا الأمر اليوميّ الرَّباني يجعل من المربي يقظًا في تعامله وتصرفاته يتحرى العدل ويقصده ، ويسعى إليه بينَ براعمه ، وفي أعماله كلها « ومن جميل ما يأخذ به المعلم نفسه خلق العدل مع الطلاب ، فمن العدل معهم : ألاَّ تأخذ فكرة عن طالب ، ثُمَّ تحصره بها ، فلا تقبل بعد ذلكَ منه عَدْلاً ولا صَرْفًا .

ومن العدل معهم : ألاَّ تسمع كلامًا عن طالب ، ثُمَّ تأخذه بالقبول ، دونما تمحيص » (٥) .

ومن العدل معهم : توزيع الأسئلة ، وطرحها خلال الحصة بالعدل ، وإعطاء فرصة للإجابة .

ومن العدل معهم : في إعطاء الدرجات اليومية ، والترتيب الفصلي ، وفي توزيع النظر إليهم بعيدًا عن الميول ، والأهواء ، والتقديرات الشخصية للطفل .

وجاء الاهتمام بالعدل في السنة النبوية بتوجيهات المربي الأول ،

---

(١) سورة النحل آية : ٩٠ .

(٢) سورة الشورى آية : ١٥ .

(٣) سورة النساء آية : ٥٨ .

(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٢ .

(٥) « مع المعلمين » لمحمد بن إبراهيم الحمد ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

والتطبيق العمليِّ لها محمد ﷺ وهو يحثنا على الالتزام بها في حياتنا كلها في المنشط والمكره ، في الثواب والتأديب مع الغني والفقير ، ومع الصغير والكبير .

عن النعمان بن بشير - رضي اللّه عنهما - قال : أعطاني أبي عطية ، فقالت عمرة بنت رواحة ، لا أرضى حتَّى تُشهد رسول اللّه ﷺ ، فأتى رسول اللّه ﷺ ، فقال : إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة ، فأمرتني أن أشهدك يا رسول اللّه ! قال : « **أعطيت سائر ولدك مثل هذا** ؟ » قال : لا ؟ ، قال : « **فاتقوا اللّه ؛ واعدلوا بينَ أولادكم** » ، قال : فرجع فردَّ عطيته (١) .

وفي رواية : « **ألا يسرك أن يكونوا إليك في البرِّ سواء** » ، قال : بلى ، قال : « **فلا إذًا** » (٢) .

وفي رواية : « **لا تشهدني على جور** ... » (٣) .

ولقد اهتم علماء الفكر التربوي الإسلامي بإقامة العدل بينَ المتعلمين

---

(١) أخرجه البخاري في الهبة ٥/٢٥٠ (رقم ٢٥٨٧) ، ومسلم في الهبة ، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة ٣/١٢٤١ (رقم ١٦٢٣) ، وأبو داود في البيوع ٣/٨١١ (رقم ٣٥٤٢) ، والترمذي في الأحكام ، باب النِّحل والتسوية بينَ الولد ، والنسائي في النحل (رقم ٣٧١١) ، وابن ماجة في الهبات ، باب الرجل ينحل ولده (رقم ٢٣٧٥) ، وأحمد ٤/٢٩٩ ، ٢٧٠ .

(٢) أخرجه مسلم في الهبات ٣/١٢٤٤ (١٦) (رقم ١٦٢٣) .

(٣) أخرجه مسلم في الهبات ٣/١٢٤٤ (١٦) (رقم ١٦٢٣) ، وأبو داود في البيوع ٣/٨١٢ (رقم ٣٥٤٢) .

من قبل المربي فنجد ابن جماعة ـ رحمه اللّه ـ يقدِّم النصيحة للمربين ، فيقول : « أن لا يظهر للطلبة تفضيل بعضهم على بعض عنده في مودة ، أو اعتناء مع تساويهم في الصفات من سنٍّ ، أو فضيلة ، أو تحصيل ، أو ديانة ، فإن ذلكَ يوحش منه الصدر ، وينفر منه القلب .

فإن كانَ بعضهم أكثر تحصيلاً ، أو أشد اجتهادًا ، أو أبلغ اجتهادًا ، أو أحسن أدبًا ، فأظهر إكرامه وتفضيله ، وبيَّن أن زيادة إكرامه لتلك الأسباب فلا بأس بذلك ؛ لأنه ينشط ويبعث على الانصاف بتلك الصفات » (١) .

كما نلاحظ ابن حزم ـ رحمه اللّه ـ يبين أن من أفضل نعم اللّه تعالى على عبده فيقول : « وجدت أفضل نِعم اللّه تعالى على المرء أن يطبعه على العدل وحبه ، وعلى الحق وإيثاره » (٢) .

وفي هذا نجد شوقي يحذِّر المعلم من عاقبة عدم العدل بينَ التلاميذ فيقول :

وإذا المعلم لم يكن عدلاً مشى ❁ ❁ ❁ روحُ العدالة في الشباب ضئيلاً

وفي الحديث : « **اعدلوا بينَ أولادكم ، اعدلوا بينَ أولادكم ، اعدلوا بينَ أولادكم** » (٣) .

---

(١) « تذكرة السامع والمتكلم » لابن جماعة ص ١٠٠ .

(٢) « الأخلاق والسير » لمحمد بن حزم ص ٣٧ .

(٣) أخرجه أبو داود في البيوع ٣/٨١٥ (رقم ٣٥٤٤) من حديث النعمان بن بشير ، والنسائي في النحل (رقم ٣٧١٧) ، وأحمد ٤/٢٧٥ ، والبخاري في « التاريخ » ٢/١ (رقم٧٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » ٦/١٧٧ ، وعزاه ابن القيم في « تحفة المودود » ص ٧٥ لابن حبان .

وروى عن رسول اللَّه ﷺ في الأمر بالعدل في العطية ، والمكافأة المادية والمعنوية ، قوله ﷺ : « **اعدلوا بينَ أولادكم في العطية** » (١) .

بل ذهب إلى أبعد من ذلكَ فأمر بالعدل حتَّى في القُبل بينَ الأولاد : « عن أنس ﷺ أن رجلاً كانَ جالسًا مع النبي ﷺ فجاء بني له فقبّله وأجلسه في حجره ، ثُمَّ جاءت بنيَّة فأخذها فأجلسها إلى جنبه ، فقال النبي ﷺ : « **فما عدلت بينهما** » (٢) .

وأخرج البزار عن أنس ﷺ أن رجلاً كانَ عند النبي ﷺ فجاء ابن له ، فقبَّله وأجلسه على فخذه ، وجاءت بنت له ، فأجلسها بينَ يديه ، فقال : رسول اللَّه ﷺ : « **ألا سويت بينهم** » (٣) .

« ولا خلاف بينَ أهل العلم ، في استحباب التسوية بينَ الأولاد وكراهية التفضيل ، قال إبراهيم : كانوا يستحبون أن يسووا بينهم حتَّى في القبل » (٤) .

وتحرص السنة المطهرة على ألاَّ يولد في حس الطفل شعور بعدم العدل والمساواة ، ورغَّبت في الالتزام بالعدل في كل شيء .

---

(١) أخرجه البخاري ٣/٢٠٦ كتاب الهبة وفضلها ، باب الهبة للولد .

(٢) عزاه ابن القيم في « تحفة المودود وأحكام المولود » ص ١٧٩ إلى البيهقي ، وفي « تحفة العروس » لمحمود مهدي الاستانبولي ص ٢٤٧ .

(٣) قال الهيثمي رواه البزار ، فقال : حدثنا بعض أصحابنا ولم يسمه ، وبقية رجاله ثقات ، « حياة الصحابة » ٢/٤٨٥ .

(٤) « المغني » لابن قدامة المقدسي ٥/٦٦٦ .

عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص ـ رضي اللّه عنهما ـ قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **إنَّ المقسطين عند اللّه على منابر من نور ، عن يمين الرحمن ﷻ ـ وكلتا يديه يمين ـ هم الذين يعدلون في حكمهم ، وأهليهم ، وما وُلُّوا ...** » (١) .

من هذه الباقة من الأحاديث النبوية الشريفة نلحظ مدى اهتمام الإسلام بهذا المبدأ الكريم في التربية ، مبدأ إقامة العدل بينَ الأطفال جميعًا ، وغرس الحبِّ والثقة بينهم جميعًا ، دون اعتبار لفقير ، أو غني ، أو شريف ، أو وضيع ، أو صغير ، أو كبير .

ومبدأ العدل بينَ الأطفال في جميع التصرفات مبدأ قامت عليه السموات والأرض ، ولم يغِب عن علماء الفكر التربوي الإسلامي .

فقد عقد « ابن سحنون » بَابًا في ذلكَ : ما جاء في العدل بينَ الصبيان ، وأورد فيه بإسناده عن الحسن قال : « إذا قُوطع المعلم على الأجرة فلم يعدل بينهم ـ أي الصبيان ـ كُتب من الظلمة » ، وقال في موضع آخر : « وليجعلهم بالسواء في التعليم الشريف والوضيع ، وإلاَّ كانَ خائنًا » (٢) .

---

(١) أخرجه مسلم ١٤٥٨/٣ (١٨) (رقم ١٨٢٧) كتاب الإمارة ، فضيلة الإمام العادل ، والنسائي ٢٢١/٨ في آداب القضاء ، وأحمد ١٦٠/٢ ، والبغوي في « شرح السنة » ٦٤/١٠ (رقم ٢٤٧٠) .

(٢) « آداب المعلمين والمتعلمين » لابن سحنون ، المطبوع في « نهاية كتاب المذهب التربوي عند ابن سحنون » ص ١١٥ . وكتاب « التربية في الإسلام » د . أحمد فؤاد الأهواني .

ويعتمد (القابسي) في تقرير العدل بينَ الأطفال على ما رواه ، عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ : « أيما مؤدب ولي ثلاثة صبية من هذه الأمة ، فلم يعلمهم بالسوية ، فقيرهم مع غنيهم ، وغنيهم مع فقيرهم ، حشر يوم القيامة مع الخائنين » (١) .

قال ابن حزم ـ رحمه اللّه ـ : « وجدت أفضل نعم اللّه تعالى على المرء أن يطبعه على العدل وحبِّه ، وعلى الحق وإيثاره » .

وقال أيضًا : « وأما من طبع على الجور واستسهاله ، وعلى الظلم واستخفافه فلييأس من أن يصلح نفسه ، أو يقوّم طباعه أبدًا ، وليعلم أنه لا يفلح في دين ولا في خلق محمود » (٢) .

ويبين الإمام النووي ــ رحمه اللّه تعالى ــ خطوات التعامل بالعدل بينَ الطلاب فيقول : « وينبغي أن يقدم في تعليمهم إذا ازدحموا الأسبق فالأسبق ، ولا يقدمه في أكثر من درس إلاَّ برضا الباقين » (٣) .

ويقول د . حسن إبراهيم عبد العال ، في حديثه عن فن التعليم عند ابن جماعة : إن فقدان صفة العدل في المعلم يعوق عملية التعليم ، نتيجة لما يسببه ذلكَ في قلوب الطلاب من نفور ووحشة وكراهية للمعلم والتعليم جملة .

---

(١) الحديث أورده ابن سحنون في كتابه « آداب المعلمين » ، باب ما جاء في العدل بينَ الصبيان ـ ملحق في كتاب « التربية في الإسلام » د . أحمد فؤاد الأهواني ص ٣٥٣ .

(٢) « الأخلاق والسير » ص ٣٧ .

(٣) « المجموع شرح المهذب » للإمام النووي ٣٣/١ .

وفي رأي « ابن جماعة » إذا شاء المعلم أن ينجح في تعليمه فإن عليه : « أن لا يظهر للطلبة تفضيل بعضهم على بعض عنده في مودَّة ، أو اعتناء مع تساويهم في الصفات من سنّ ، أو فضيلة ، أو تحصيل أو ديانة ، فإن ذلكَ ربما يوحش منه الصدر ، وينفر منه القلب » (١) .

كما ينصح المعلم أن « لا يقدِّم أحدًا في نوبة غيره ، أو يؤخره عن نوبته ، إلاَّ إذا رأى في ذلكَ مصلحة تزيد على مصلحة مراعاة النوبة » .

إن العدل والمساواة بينَ التلاميذ مطلب يُلح عليه ابن جماعة ، ويربأ بالمعلم أن يجعل الغِنَى والجاه سبيلاً لتفضيل بعض المتعلمين على بعض ، كما يضع - ابن جماعة - صورة طيبة للمساواة والعدل بينَ التلاميذ ، وعدم تفضيل بعضهم لغِنى ، أو جاه ، أو حسب ، بما يحكيه عن شريك المعلم ، فيقول : « حضر بعض أولاد الخليفة المهدي عند شريك ، فاستند أحدهم إلى الحائط وسأله عن حديث ، فلم يلتفت إليه شريك ، ثُمَّ عاد ، فعاد شريك لمثل ذلكَ ، قال : تستخفّ بأولاد الخلفاء ؟! قال : لا ، ولكن العلم أجلّ عند اللّه من أن أضيعه » (٢) .

---

(١) « فن التعليم عند ابن جماعة » د . حسن إبراهيم عبد العال ص ١٢٩ ، و« تذكرة السامع والمتكلم » لابن جماعة ص ١٠٠ .

(٢) « فن التعليم عند ابن جماعة » د . حسن إبراهيم عبد العال ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، وشريك هو : شريك عبد اللّه القاضي أحد الأئمة الأعلام ، قال الذهبي : « كانَ شريك حسن الحديث ، وإمامًا فقيهًا محدثًا مكثرًا ، مات سنة ١٧٧هـ ، وانظر « حاشية تذكرة السامع والمتكلم » ص ٨٨ .

ويبين ابن جماعة أن يُظهِر المعلم العدل حتَّى في التفاته إلى التلاميذ ونظره أثناء الشرح ولا يخص بعضهم دون الآخر ، بل يجب أن : « يكون نظر الشيخ (المعلم) إليهم جميعًا عن الشرح ، ولا يخصّ بعضهم في ذلكَ دون بعض » (١) .

وابن جماعة حريص على اتصاف المعلم بالعدل بينَ أبنائه الطلاب والتمسك به ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، حتّى يهيء بيئة صالحة للتعليم ، خالية من أسباب الحقد والضغينة ، وفي رأي ابن جماعة أن أصلح المعلمين هو الذي : « يلازم الإنصاف في بحثه وخطابه » (٢) .

وهو الذي يكسب تلاميذه الموضوعية في الحكم على الأشياء وذلك بأن « يذكّر الحاضرين ـ من تلاميذه ـ بما جاء في كراهية المماراة ، ولا سيما بعد ظهور الحق ﴿ **لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبْطِلَ البَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الُمجْرِمُونَ** ﴾ (٣) .

قال ابن قيم الجوزية : « إن الطالب المتعلم إذا سبق غيره إلى الشيخ ليقرأ عليه لم يقدم بدرسين إلاَّ أن يكون كل منهم يقرأ درسين » (٤) .

وقال الشيخ محمد بن عاشور ـ رحمه اللَّه ـ : « والعدل مما تواطأت على حسنه الشرائع الإلهية ، والعقول الحكيمة ، وتمدَّح بادعاء القيام به عظماء

---

(١) « تذكرة السامع والمتكلم » لابن جماعة ص ١٦١ .

(٢) « تذكرة السامع والمتكلم » لابن جماعة ص ٤٢ ، و« فن التعليم عند ابن جماعة » ص ١٣٠ .

(٣) سورة الأنفال آية : ٨ .

(٤) « الفكر التربوي عند ابن القيم » الحسن الحجاجي ص ٤٥٠ .

الأمم » (١) .

ولذا وجب علـى المربـي أن يتجنـب أسـباب التبـاغض والتحاسـد بـينَ أطفال الفصل الواحد ، وذلك بإقامة العدل بينهم ، وتوزيع محبته ، وحنانـه ، وعطفـه ، ونظراتـه عليهـم جميعًـا ؛ لأن الأطفـال يحسّـون ذلـكَ ويعونـه ، ويدركون مظاهر التفريق في المعاملة .

« فإن كانَ بعضهم أكثر تحصيلاً ، أو أشد اجتهادًا ، أو أبلغ اجتهـادًا ، أو أحسـن أدبًـا ، فـأظهر إكرامـه وتفضيلـه ، وبيَّـن أن زيـادة إكرامـه لتلـك الأسباب ــ فـلا بـأس بذلـك ــ ؛ لأنـه ينشِّـط ويبعـث علـى الاتصـاف بتلـك الصفات » (٢) .

إن هذه المعاملة بالعدل التي يتلقاهـا الطفـل مـن مربيـه وذلـك التفضيـل حسب اجتهاده ، وتحصيلـه العلمـي ، وحُسـن أدبـه وخلقـه ، يَضمـن فرصـة للطفل مواتية لكي ينمو نموًا سليمًا ، ويثري العملية التعليميـة بمواقـف تربويـة سليمة .

* * *

---

(١) « أصول النظام الاجتماعي في الإسلام » لمحمد الطاهر بن عاشور، ص ١١٦

الباب السادس
وسائل الثواب

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : وسائل الثواب اللفظية ، وفيه مباحث :

المبحث الأول : البشاشة وطلاقة الوجه .

المبحث الثاني : المدح والثناء التربوي :

١ ـ من صور المدح والثناء . **٢** ـ الأثر الحسن لاستخدام المدح والثناء التربوي .

المبحث الثالث : مبدأ تشجيع الأطفال :

١ ـ التشجيع عند علماء الفكر التربوي الإسلامي . **٢** ـ صور من التشجيع .

٣ ـ من وسائل التشجيع ، وفيه : أ ـ وسائل إيجابية لفظية .

ب ـ وسائل إيجابية غير لفظية . جـ ـ وسائل إيجابية أخرى .

د ـ حُسن النداء والكنى وفوائده . هـ ـ تجنب استخدام وسائل لفظية سلبية .

٤ ـ التشجيع بالدعاء .

الفصل الثاني : وسائل الثواب المادية ، وفيه مباحث :

المبحث الأول : المكافأة المادية .

المبحث الثاني : شواهد وصور من المكافآت المادية التربوية .

المبحث الثالث : أهمية المكافأة عند سلفنا الصالح .

الفصل الثالث : أثر الثواب ، وفيه مباحث :

المبحث الأول : أثر الثواب الإيجابي في التعلم .

المبحث الثاني : أثر الثواب السلبي في التعلم ، ونتائجه .

الفصل الأول
وسائل الثواب اللفظية

وفيه مباحث :

المبحث الأول : البشاشة وطلاقة الوجه .

المبحث الثاني : المدح والثناء التربوي :

١ ـ من صور المدح والثناء .

٢ ـ الأثر الحسن لاستخدام المدح والثناء التربوي .

المبحث الثالث : مبدأ تشجيع الأطفال :

١ ـ التشجيع عند علماء الفكر التربوي الإسلامي .

٢ ـ صور من التشجيع .

٣ ـ من وسائل التشجيع ، وفيه :

- أ ـ وسائل إيجابية لفظية .
- ب ـ وسائل إيجابية غير لفظية .
- جـ ـ وسائل إيجابية أخرى .
- د ـ حُسن النداء والكنى وفوائده .
- هـ ـ تجنب استخدام وسائل لفظية سلبية .

٤ ـ التشجيع بالدعاء .

المبحث الأول
البشاشة وطلاقة الوجه

إن ابتسامة رضىً من مربٍّ ... وكلمة مدح وثناء ، وطلاقة وجه ، تشحذ الهمة ، وتقوي العزيمة والصلة ما بينَ المربي وتلميذه ؛ لأنها تؤدي إلى تقوية السلوك الذي نرغب في تقويته عند التلاميذ ، فابتسامة المربي التي تتلو هذا النمط السلوكي تكون معزّزًا إيجابيًا ، وتؤدي إلى زيادة احتمال تكرار حدوثه مستقبلاً (١) .

لهذا وجه العلامة ـ بدر الدين بن جماعة ـ خطابًا لكل مربٍّ ... « أن يرحب بالطلبة إذا لقيهم ، وعند إقبالهم عليه ويكرمهم إذا جلسوا إليه ، ويؤنسهم بسؤاله عن أحوالهم ، وأحوال من يتعلق بهم ، بعد رَدِّ سلامهم » وليعاملهم بطلاقة الوجه ، وظهور البشر ، وحسن المودة ، وإعلان المحبة ، وإضمار الشفقة ، وقد بينَ السبب في ذلكَ إذ يقول : « لأن ذلكَ أشرح لصدره ، وأطلق لوجهه ، وأبسط لسؤاله ، ويزيد في ذلكَ لمن يرجى فلاحه ، ويظهر صلاحه » (٢) .

ويجب أن يتذكر المدرس أن التلاميذ مختلفون في أمزجتهم ، وطباعهم ، وميولهم ، ويتفاوتون في سرعة استجاباتهم .

وقد ذكر الخطيب البغدادي بعض المواقف الطريفة ، التي تظهر روح

---

(١) « علم النفس التربوي » د . عبد المجيد نشواتي ص ٢٨١ .

(٢) « تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم » لابن جماعة ص ٦٥ .

المودة والتعاطف والألفة بينَ المعلم وطلبته ، والتي تظهر في الوقت نفسه الدعابة الذكية عند سلفنا الصالح فقال : « إن غلام حماد بن زيد سأله : يا أبا إسماعيل ! حدثك عمرو ، عن جابر أن النبي ﷺ نهى عن الخبز ؟ قال : فتبسم حماد ، فقال يا بنيَّ : إذا نهى رسول اللّٰه عن الخبز ؟ فمن أيش هذه النَّاس ! إنما نهى عن الخبر » (١) .

فحين يتجاوب الثغر مع طلاقة اللسان ، وظهور البشر ، وإعلام المحبة ، يدرك الطفل صدق مودة مربيه ، ويتم التفاعل التربوي على أحسن وجه ، لأن الابتسامة لا تقوم بوظيفة المعزز ، إلاَّ إذا أدت إلى تقوية السلوك المرغوب فيه ، فالشعور والمداعبة والمزاح ضروري في تربية الطفل حتَّى يستجيب الطفل استجابة طيبة ، ولكن مع الأسف نجد أن كثيرًا من المدرسين لظروف اجتماعية ، أو لإرهاق العمل ، أو لمجرد الطبع ، لا يضحكون في وجوه أبنائهم ... ولا تظهر البسمة على وجوههم .

الفرح والسرور يلعب في نفس الطفل شيئًا عجيبًا ، ويؤثر في نفسه تأثيرًا قويًا ، فالأطفال ـ وهم براعم البراءة والصفاء ـ يحبون الفرح ، بل هم أداة الفرح للكبار ، ويحبون الابتسامة أن يشاهدوها على وجوه الكبار .

وبالتالي فإن تحريك هذا المؤثر في نفس الطفل سيورث الانطلاق والحيوية في نفسه ، كما يجعله على أهبة الاستعداد لتلقي أي أمر ،

---

(١) « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي ١/٢٩٢ .

الخبر : بفتح الخاء ، وكسرها ، والكسر أفصح ، من المخابرة ، وهي : كراء الأرض ببعض ما يخرج منها .

أو ملاحظة ، أو إرشاد .

وكان ﷺ ، يدخل الفرح والسرور إلى نفوس الأطفال ، لما للسرور من براعة في إسعاد الطفل ، وما للفرح من قوة في التأثير (١) .

ولنا في رسول اللّه ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة ، وهو المربي الأول ، فقد كانَ يقول عن نفسه عندما سأله الصحابة ﷺ : إنك تداعبنا ، قال : « **إني لا أقول إلاّ حقًا** » (٢) .

فكان ﷺ يمزح ويضحك مع أصحابه ، ولكنه ما كانَ يكذب من أجل المزاح ، بل كانَ صادقًا حتّى في مزاحه ، وهذا يمثل قمة الاستقامة والمثالية ، ومن أمثلة مزاحه ، أنه جاء رجل إليه ﷺ يطلب منه ناقة يركبها ، فقال رسول اللّه ﷺ : « **إني حاملك على ولد الناقة** » .

فقال الرجل : يا رسول اللّه ! ما أصنع بولد الناقة ؟

فقال ﷺ : « **وهل تلد الإبل إلاّ النوق ؟** » (٣) .

---

(١) « منهج التربية النبوية للطفل » محمد نور عبد الحفيظ سويد ص ٣٤٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ، واللفظ له ٣١٤/٤ (رقم ١٩٩٠) كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في المزاح ، وقال عقبة : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه أحمد في مسنده ٣٤٠/٢ ، وصححه الألباني في « صحيح الترمذي » ١٩٢/٢ ، وانظر : « السلسلة الصحيحة » (رقم ١٧٢٦) .

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ، واللفظ له ٣١٤/٤ (رقم ١٩٩١) كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في المزاح ، وقال ـ عقبة ـ : هذا حديث حسن صحيح غريب ، والبخاري في « الأدب المفرد » ٣٥٩/١ .

إن هذه الوقفات حريٌّ بالمربين أن يستلهموها ، فينفتحوا على تلاميذهم ويبتسموا معهم ، ويضحكوا ويمزحوا ، ولكن لا يقولوا إلاَّ حقًا ، حتَّى يحبهم تلامذتهم .

ونرى الخطيب البغدادي يأمر المعلم بالتبسُّط مع طلابه وممازحتهم ، والضحك في وجوههم ، لتقريب المسافة النفسية بينهم ، ويزيل حواجز الرهبة والخجل الذي يحول دون تعليمهم .

* من ضوابط الضحك ، والممازحة :

وضع الخطيب البغدادي ضوابط للضحك ، والممازحة ، فقال : « إنما يستجاز من المزاح يسيره ونادره ، وطريفه ، الذي لا يخرج عن حدِّ الأدب ، وطريقة العلم » (١) .

كما بيَّنَ ضوابط الضحك المذموم وبين أسبابه ...

فقال : « أما متصلهُ ، وفاحشه ، وسخيفه ، وما أوغر منه الصدر ، وجلب الشَّر فإنه مذموم ، وكثرة المزاح والضحك تضع من القدر ، وتزيل المروءة ... » (٢) .

* * *

---

(١) « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي ١/١٥٦ .

(٢) « المرجع السابق » .

المبحث الثاني
المدح والثناء التربوي

يُسَرُّ التلاميذ كثيرًا بمدح أستاذهم وثنائه على إجاباتهم ، أو تفوقهم ، أو تحسن في سلوكهم ، ولهذا المدح أساس في علم النفس التعليمي ، وهو ما يعرف بقانون الأثر ، أو النتيجة ، أو اللذة والألم .

فثناء المعلم على تلميذه يشعره بمقدار نجاحه ، ويستحثه على اطراد النجاح ، فالثناء والاطراد لا يغير من السلوك فحسب ، بل يُحسِّن ويزيد من الثقة بالنفس .

فهذا أبو هريرة ﷺ يطرح سؤالاً على رسول اللَّه ﷺ : مَنْ أسعد النَّاس بشفاعتك ؟ فقال ﷺ : « **لقد ظننت أن لا يسألني أحد عن هذا الحديث أوَّلَ منك لما علمت من حرصك على الحديث** »(١) .

فتخيل معي أخي القارئ موقف أبي هريرة ﷺ وهو يسمع هذا الثناء ، وهذه الشهادة من رسول اللَّه ﷺ .

وقد أولى الخطيب البغدادي هذا النوع من أساليب تعزيز التعلم عناية مناسبة فوجه المعلمين إلى استخدام الشكل المناسب منه ، كعبارات المديح

---

(١) رواه البخاري ٢٣٣/١ (رقم ٩٩) كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث ٤٢٦/١١ (رقم ٦٥٧٠) كتاب الرقاق ، باب صفة الجنَّة والنَّار ، وأحمد ٣٠٧/٢ ، ٣٧٣ ، ٥١٨ ، وابن أبي عاصم في السنة ٣٩٤/٢ (رقم ٨٢٩) ، والبغوي في « شرح السنة » ١٦٥/١٥ (رقم ٤٣٣٦) ، وابن خزيمة في التوحيد ، ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

والتشجيع مثل : أصبت ، وأحسنت ، وما إليها »⁽¹⁾ .

وفي ذلكَ يقول : « إذا أجاب المسؤول بالصواب ، فعلى الفقيه (المعلم) أن يعرف إصابته ، ويهنّيه بذلك ؛ ليزداد في العلم رغبة ، وبه مسرة »⁽²⁾ .

فعلى المربي - والحالة هذه - أن يتعرف على مستويات طلابه وأحوالهم فيحسن لمن أصاب ، وذلك بالمدح والثناء عليه علانية ، وأمام زملائه ؛ وذلك لرفع معنوياته ، والإكثار من أمثاله من بين زملائه الذين يرغبون في المنافسة معه .

أشار المربون المسلمون إلى قيمة مدح الفرد والثناء عليه إذا أصاب في عمله ، أو أنجز ما كُلف به ، يقول ابن مسكويه : « ويمدح هو إذا ظهر شيء جميل منه ، ثُمَّ يُمدح لكل ما يظهر منه من خلق جميل ، وفعل حسن يكرَّم عليه »⁽³⁾ .

وفي هذا الصدد يقول بدر الدين ابن جماعة : « فمن رآه مصيبًا في الجواب و لم يخفْ عليه شدة الإعجاب شكره وأثنى عليه بينَ أصحابه ؛ ليبعثه وإياهم على الاجتهاد في طلب الازدياد ... »⁽⁴⁾ .

---

(١) « الفقيه والمتفقه » للخطيب البغدادي ١٣٤/٢ .

(٢) « المرجع السابق » ١٣٣/٢ .

(٣) « الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين » لأبي الحسن القابسي ، ورقة (٥٨ - ب) .

(٤) « تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم » لابن جماعة ص ٥٤ .

والمربي بإظهار الإعجاب بتفوق أحد التلاميذ وتحسن سلوكه ومستواه وشُكْرِه والثناء عليه ، إنما يلجأ إلى الاستثارة الدافعة للنشاط والتي عبَّر عنها ابن جماعة « الاجتهاد في طلب الازدياد » وبذلك يتمكن المتعلم من إحداث تعلمٌ جيد .

ويقول ابن الجزَّار القيرواني : « إن من الأطفال من إذا مُدح تعلَّم علمًا كثيرًا ... » (١) .

لا شك إن لمدح الطفل أثرًا فعالاً في نفسه ، فيحرِّك مشاعره وأحاسيسه ، فيسارع الطفل إلى تصحيح سلوكه وأعماله ، وترتاح نفسه ، وتزهو لهذا الثناء ، وتتحرك نفسه نحو الاستجابة والتطبيق (٢) ، إذن فأسلوب المدح ضروري في عملية التربية لتدعيم السلوك الإيجابي بالثناء على المحسن ، كأن يثني على إجابة صحيحة ، أو تحسين في السلوك ، أو على طالب أمين ، أو على دفتر ، أو واجب منظم ومرتب ، أو حل تمرين رياضي .

١ ـ من صور المدح والثناء التربوي :

يحتاج التلاميذ الصغار إلى المدح والثناء أكثر من غيرهم ، وكم يسر الطفل إذا منحه المربي نجمة ذهبية على دفتره ، أو نوّه بجدِّه واجتهاده ، أو منحه درجة عالية في مادته ، أو على حسن سلوكه وسيرته .

---

(١) « سياسة الصبيان وتدبيرهم » لابن الجزار القيرواني ، ورقة (٢٤ ـ أ) .

(٢) « منهج التربية النبوية » لمحمد نور عبد الحفيظ سويد ص ٣٤٩ .

ومن صور المدح والثناء في الأحاديث النبوية اقتطفنا بعض هذه الجمل التربوية :

* روى الترمذي ، عن أسامة بن زيد ـ رضي اللّه عنهما ـ ، عن رسول اللّه ﷺ قال : « **من صُنِع إليه معروف ، فقال لفاعله : جزاك اللّه خيرًا ، فقد أبلغ في الثناء** »(١) .

* روى سفيان بن عيينة قال : « كانَ أبي صيرفيًا بالكوفة ، فركبه الدَّيْن فحملنا إلى مكة ورجعنا إلى المسجد ؛ لصلاة الظهر ، وصرت إلى باب المسجد ، إذا شيخ على حماره ، فقال لي : يا غلام ! أمسك عليّ هذا الحمار ؛ حتّى أدخل المسجد ، فأركع ، فقلت : ما أنا بفاعل ، أو تحدثني .

قال : وما تصنع أنت بالحديث ؟

واستصغرني ، فقلت حدثني ، فقال : حدثني جابر عن عبد اللّه ، وحدثنا ابن عباس فحدثني بثمانية أحاديث ، فأمسكت حماره ، وجعلت أتحفظ ما حدثني به ، فلما صلى وخرج ، قال : ما نفعك ما حدثتك به حبستني ، فقلت : حدثتني بكذا ، وحدثتني بكذا ، فرددت عليه جميع ما حدثني به ، فقال : « بارك اللّه فيك » . تعال غدًا إلى المجلس ، فإذا هو

---

(١) أخرجه الترمذي ٤/٣٣٣ (رقم ٢٠٣٥) كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في المتشبع بما لم يعطه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن جيد غريب . وأخرجه النسائي ، وابن حبان ، وصححه السيوطي كما في « فيض القدير » ٦/١٧٢ (رقم ٨٨٢٠) ، وأخرجه الطبراني في « الصغير » ٢/١٤٨ ، ١٤٩ ، وذكره الديلمي في « فردوس الأخبار » ٣/ ٦٣٠ (رقم ٥٩٧٣) .

عمرو بن دينار (١) .

وحبذا لو استخدمها المربي في خطواته التربوية ، وخاصة في الصفوف الدنيا من المرحلة الابتدائية ، أن يكتب المدرس للطفل هذه الجملة التربوية « جزاك اللّٰه خيرًا » على دفتره ، للمرة الأولى ، فإذا أحسن وكرر الاستجابة أضاف إلى هذه الجملة اسم الطالب نفسه مثال : جزاك اللّٰه خيرًا يا أحمد...، وهكذا ، وأن تكون في مكانها المناسب ، وزمنها المناسب ، وباعتدال من غير تجاوز ولا تبجيل ، تؤتي ثمارها في كل حين .

وعن أبي بردة بن أبي موسى ــ رضي اللّٰه عنهما ــ قال : شهدت أبا موسى وهو في بيت أم الفضل فعطست ، فشمتها ، وعطستُ ، فلم يشمتني ، فلما جئت إلى أمي أخبرتها .

فلما جاء أبو موسى قالت له : عطس عندك ابني ، فلم تشمته ، وعطست امرأة ، فشمتها ؟!

فقال : إن ابنك عطس فلم يحمد اللّٰه ، فلم أشمته ، وإنها عطست فحمدت اللّٰه فشمَّتها ، سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول : « **إذا عطس أحدكم فحمد اللّٰه فشمِّتوه ، وإذا لم يحمد اللّٰه ، فلا تشمتوه** » ، قالت : أحسنت أحسنت (٢) .

---

(١) « من أصول الحديث » لعجاج الخطيب ص ١٦ .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ٤/٢٦٥ ، وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وأقرّه الذهبي .

وأخرج الإمام أحمد من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ كانَ يلقى رجلاً فيقول له : « يا فلان كيف أنت ؟ » فيقول : « **بخير أحمد اللَّه** » .

فيقول له النبي ﷺ : « **جعلك اللَّه بخير** » (١) .

وحدَّث صفوان بن عسال المرادي قال : أتيت رسول اللَّه ﷺ وهو متكئ في المسجد على برد له ، فقلت له يا رسول اللَّه ! إني جئت أطلب العلم ، فقال : « **مرحبًا بطالب العلم ، إنَّ طالب العلم لتحفه الملائكة وتظله بأجنحتها ...** » (٢) .

فعلى المربي أن يجعل من هذه الأحاديث النبوية ، مشعلاً للهداية ، وجملاً تربوية على لسانه ، يحقق بها المنهج التربوي الذي يجب أن يسلكه المربون مع أبنائهم كلما التقى بأحدهم ، أو ببعض منهم قدّم لهم بعض هذه الأدعية التربوية ؛ ليحفظوها ، ويتربوا عليها ، مثل :

« جزاك اللَّه خيرًا » ، « أثابك اللَّه » ، « زادك اللَّه علمًا » ، « زادك اللَّه علمًا وتوفيقًا » ، « بارك اللَّه فيك » .

إرضاءً لله ، وتربية لهذا الجيل الذي يعمل معه ، ولخير ورفعة وعزة هذه الأمة ، ليعيد لها الخيرية والقيادة والريادة بينَ الأمم ؛ امتثالاً لقوله تعالى :

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/٢٤١ .

(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » ٨/٦٤ (رقم ٧٣٤٧) ورجاله رجال الصحيح ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١/١٣١ ، باب طالب العلم ، وإظهار البشر له .

﴿ كُنْتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَت للنَّاسِ ﴾ (١) .

ولقد أصبح واضحًا لدينا أن الإثابة في العملية التربوية إذا أجيد تطبيقها ؛ تؤدّي تدريجيًا إلى تكوين الضمير الحي ، وإلى إنماء الشخصية القوية المطمئنة إلى ما تأتيه من الأعمال .

والرسول ﷺ يرغب في ذلكَ ، فيقول : « **إذا مُدح المؤمن في وجهه ، ربا الإيمان في قلبه** » (٢) .

٢ ـ الأثر الحسن لاستخدام كلمات المدح ، والثناء التربوي :

اتفق علماء التربية في الإسلام كما مر معنا سابقًا أمثال : ابن سحنون والقابس ، وابن مسكويه ، والخطيب البغدادي ، وشمس الدين الأنبابي ، وابن جماعة ، وابن جزار القيرواني ، وغيرهم على خطوط واضحة في مدح الأطفال ، والثناء على أفعالهم المحمودة ، فقالوا :

« ويمدح لكل ما يظهر منه من خلق جميل ، وفعل حسن ، ويكرم عليه » (٣) .

« ويجازي عليه بما يفرح به ، ويمدح به بينَ النَّاس » (٤) .

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١١٠ .

(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ٥٩٧/٣ ، والطبراني في « الكبير » ١/١٧٠ ، ١٧١ (رقم ٤٢٤) ، وقال الهيثمي في « المجمع » ١١٩/١ في سنده « ابن لهيعة » ، وبقية رجاله وثقوا .

(٣) « تهذيب الأخلاق » لابن مسكوية ص ٢٠ .

(٤) « مدخل الشرع الشريف على المذاهب » لابن الحاج العبدري ٢٩٦/٤ .

« إن من الأطفال من إذا مُدح تعلَّم علمًا كثيرًا » (١) .

« لا تؤدبه إلاَّ بالمدح ، ولطيف الكلام » (٢) .

« فمن رآه مصيبًا في الجواب ، ولم تخف عليه شدة الإعجاب ، شكره وأثنى عليه بينَ أصحابه ... » (٣) .

لقد بنى لنا الآباء والأجداد قواعد تربوية ، يحتاج إليها كل مربٍّ صادق وغيور ، يريد لهذا الجيل صلاحًا ، ولهذه الأمة خيرًا ، فيأخذ منها النصائح والعبرَّ ، فالكلمة الطيبة صدقة ، والأثر الحسن لها :

١ ـ انعدام الاضطرابات السلوكية عند الطفل .

٢ ـ الكلمة الطيبة تنهض بالطفل وتمنحه الحرية .

٣ ـ الكلمة الطيبة تزيد في استجابته وتعاونه .

٤ ـ الكلمة الطيبة تثبت التعلم والسلوك ، وتشجع على تجدده واستمراره (٤) ؛ لقول النبي ﷺ : « **إذا مُدح المؤمن في وجهه ، ربا الإيمان في قلبه** » (٥) .

فطبيعة النفس البشرية تحب الثناء ، والشكر ، والمدح .

---

(١) « سياسة الصبيان وتدبيرهم » لابن مسكويه ، ورقة ٢٤/أ .

(٢) « التربية في الإسلام » د . أحمد فؤاد الأهواني .

(٣) « تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم » لابن جماعة ص ٥٤ .

(٤) « المشكلات السلوكية عند الأطفال » د . نبيه الغبرة ص ١٣ ، ٥٣ .

(٥) سبق تخريجه ص ٢٤٧ .

جاء في وصية سحنون الفقيه لمعلم ابنه :

« لا تؤدبه إلاَّ بالمدح ، ولطيف الكلام ، وليس هو ممن يؤدب بالضرب والتعذيب » (١) ؛ لأن تربية الطفل الجيدة « تقوم على إنشاء التوازن بينَ تشجيعه على إبراز شخصيته ، وإعطائه الحرية الكافية من ناحية ، وتدريبه على التكيف مع المحيط الذي يعيش معه من ناحية أخرى » (٢) .

* * *

---

(١) « التربية في الإسلام » لأحمد فؤاد الأهواني .

(٢) « دافعية الإنجاز وقياسها » لإبراهيم قشقوشي ، وطلعت منصور .

المبحث الثالث

مبدأ تشجيع الأطفال

إن اسلوب التشجيع هو من الأساليب التربوية الإيجابية الناجحة في تربية الطفل ، لأن العملية التربوية بصفة خاصة تحتاج إلى تشجيع كثير ومستمر ، ذلكَ أنها عملية مجهدة ، ولا بد من متابعة الطفل في أعماله التعليمية والتربوية ، وتقديم العون له ، وجعله يعيش في جو دافئ عطوف بحكمة وصبر ، ورحابة صدر ، فكم من طفل نشطت مواهبه ، وشحذت هممه ، بكلمة تشجيع من معلم أو عطف من إداري .

عن أُبيٍّ بن كعب ﵁ قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **يا أبا المنذر : أتدري أي آية من كتاب اللّه معك أعظم ؟** » . قال : قلت : اللّه ، ورسوله أعلم ! قال : « **يا أبا المنذر : أتدري أي آية من كتاب اللّه معك أعظم ؟** » . قال : قلت : ﴿ **اللّهُ لا إلهَ إلاّ هو الحيُّ القَيومُ** ﴾ . قال : فضرب في صدري ، وقال : « **واللّه ! ليهنك العلم أبا المنذر** » (١) .

« إن الأمر قد لا يعدو كلمة ثناء ، أو عبارة تشجيع تنقل الطالب مواقع ومراتب في سلم الحرص والاجتهاد ، والنفس أيًا كانَ شأنها تميل إلى الرغبة في الشعور بالإنجاز ، ويدفعها ثناء النّاس المنضبط خطوات أكثر » (٢) ؛ لأن التشجيع الحسي ، أو المعنوي - خير - وعنصر ضروري من

---

(١) أخرجه مسلم ٥٥٦/١ (رقم ٨١٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل سورة الكهف ، وآية الكرسي ، وأحمد ١٤٢/٥ .

(٢) « المدرس ومهارات التوجيه » محمد بن عبد اللّه الدويش ص ٣٣ .

عناصر التربية لا غنى عنه ، ولكن بدون إفراط ، وإلى أمد معين ، وفي حدود معينة .

١ ـ التشجيع عند بعض علماء الفكر التربوي الإسلامي :

يحتاج كل فرد ، والطفل على وجه الخصوص ، إلى التحصيل والإنجاز فهو يسعى دائمًا عن طريق الاستطلاع والاستكشاف ، والبحث وراء المعرفة الجديدة ، حتَّى يتعرف على البيئة المحيطة به ، وحتى ينجح في الإحاطة بالعالم من حوله ، وهذه الحاجة أساسية في توسيع مدارك الطفل وتنمية شخصيته .

وهو لهذا محتاج بصفة دائمة إلى تشجيع الكبار من حوله ، كلما استطاع أن يقوم بعمل له قيمته ، ونجاح الطفل في إنجاز عمل ما يدفعه إلى النجاح ، ويكسبه الثقة في قدراته على العمل والإنجاز .

ويذهب علماء الفكر التربوي الإسلامي إلى أن تشجيع الطفل ، وإن كانَ يشبع حاجته إلى التحصيل والنجاح ، إلاَّ أنه ينبغي أن يكون بقدر معقول ، وهذا ما عناه العلامة الفقيه (القابسي) بقوله في حالة تشجيع المربي للطفل ، فيقول : « يغبطه بإحسانه في غير انبساط إليه ، ولا منافرة له » (١)

وقد أولى ابن مسكويه الإثابة اهتمامًا كبيرًا باعتبار أن أثرها أقوى في تحسين التعلم ، فطلب من المعلمين أن يثيبوا طلابهم ، إذا كانوا يستحقون

---

(١) « الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين » لأبي الحسن علي بن محمد بن خلف ، ورقة ٥٨/ب .

الإثابة أو المكافأة ، فيقول : « ويمدح هو (الطفل) إذا ظهر شيء جميل منه ، ثُمَّ يمدح لكل ما يظهر من خلق جميل وفعل حسن ، يكرم عليه » (١) .

ويقول الإمام النووي ـ أحد علماء الفكر التربوي الإسلامي ـ : « إن المعلم ، أو المربي إن وجد الطفل قد أحسن الفعل أكرمه ، وأثنى عليه ، وأشاع ذلكَ ، ما لم يَخَفْ فساد حاله بإعجاب ، أو نحوه » (٢) .

إن استحسان المربي وتشجيعه باعتباره تدعيمًا للعملية التربوية يجدي في رأي الإمام النووي وأمثاله من المربين المسلمين ، عند من يبعثه المدح والثناء والتشجيع إلى مزيد من النجاح والاجتهاد (٣) .

كما يؤكد العلامة بدر الدين بن جماعة : على قيمة الإثابة والتشجيع على الإنجاز في إشباع حاجة الطفل إلى النجاح فيقول : « إذا فرغ الشيخ (المعلم) من شرح درس ، فلا بأس بطرح مسائل تتعلق به ، يمتحن بها فهمهم ، وضبطهم لما شرح لهم ، فمن ظهر استحكام فهمه له بتكرر الإصابة في جواب شكره » (٤) .

كما يبين بدر الدين بن جماعة أثر هذه الإثابة بالشكر في دفع المتعلم إلى مزيد من الإصابة والنجاح ، وتقوية رغبته في التحصيل والإنجاز ، كما يبين

---

(١) « تهذيب الأخلاق » لابن مسكويه ص ٢٠ .

(٢) « المجموع شرح المهذب » ١/٣٣ .

(٣) « التربية الإسلامية وتحديات العصر » د . عبد الغني عبود ، حسن إبراهيم عبد العال ص ٤٣٩ .

(٤) « تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم » لابن جماعة ص ٥٤ .

أثرها في مجتمع الطلاب ، إذ يبعثهم على الاجتهاد سعيًا للحصول على تقدير المعلم ، ورضائه فيقول : « يطالب (المعلم) طلبته في بعض الأوقات بإعادة المحفوظات ويمتحن ضبطهم لما قدّم لهم من القواعد المهمة ، والمسائل الغريبة ، و لم يخف عليه الإعجاب ، شكره وأثنى عليه بينَ أصحابه » (١) .

وبهذا يكون الإعجاب والشكر أمام الزملاء دافعًا للتعلم ، لا للطالب المثالي فحسب ، بل لكل طالب من طلاب الفصل .

ولعل ما ذكره العلامة بدر الدين بن جماعة ، عن الإعجاب والشكر من بينَ ألوان التدعيم للعملية التربوية ، وأنه ليس بالضرورة أن يكون تدعيم التعلم استحسانًا ملموسًا كالهدية مثلاً .

ولقد ثبت لدى بعض علماء النفس أن : « أفضل أنواع المعززات التي يمكن للمعلمين استعمالها عند تعاملهم ، هو القبول والاستحسان » (٢) .

وأيًا كانَ نوع التدعيم ، فإن بدر الدين بن جماعة يحرص على أن يعبّر المعلمون عن سرورهم لإنجاز التلميذ ، وقيامه بما وكّل له ، وهو ما عناه بقوله : « شكره وأثنى عليه بينَ أصحابه » ليحقق هذا التدعيم أهدافه التربوية ؛ ولذا لزم المعلم إن رأى « بعضهم أكثر تحصيلاً ، وأشد اجتهادًا ، أو أبلغ اجتهادًا ، أو أحسن أدبًا ، فأظهر إكرامه وتفضيله » ، وبيّن أن زيادة إكرامه لتلك الأسباب ؛ لأنه « ينشط ويبعث على الاتصاف بتلك

---

(١) « المرجع السابق » .

(٢) « الدروس التي تتعلمها التربية من علم النفس » برسيغال سيمون ، ترجمة عبد الرحمن صالح عبد الله ، مراجعة د . أحمد حسن عبد الرحيم ص ٣٨ .

الصفات » (١) .

ولقد جاءت أبحاث علم النفس الحديثة لتؤكد ما ذهب إليه العلاّمة بدر الدين بن جماعة ، فأثبت أن استحسان المعلم مصدر أساسي للتدعيم بالنسبة للتلاميذ ، ومراحل التعليم المختلفة بصفة عامة .

كما أثبت أن الشخص عادة ما يستحب بصورة أحسن إذا ما وجد تشجيعًا أما إذا ما وجد تثبيطًا لهمته فعادة ما ينهار أداؤه .

ويقول ابن الحاج العبدري ـ أحد علماء الفكر التربوي الإسلامي ـ في كتابه « المدخل » لابن الحاج : « مهما ظهر من الصبي من خلق جميل ، وفعل محمود ، فينبغي أن يكرم عليه ، ويجازى عليه ، بما يفرح به ، ويمدح بينَ أظهر النَّاس » (٢) .

بهذا عرف علماء الفكر التربوي الإسلامي قيمة الإثابة للصغير على كل فعل حميد ، وعلى كل جهد مبذول من الطفل في تحقيق ما كلف به ، وقد نبه المربون المسلمون إلى أهمية التشجيع للطفل في تعديل سلوكه ، وتشجيع الاستجابات المحببة للثواب عند الطفل .

٢ ـ *صور من التشجيع :*

إن المنافسة والمسابقة ، وطرح الأسئلة ، وتقديم الهدايا ـ المعنوية والحسية ـ أسلوب من أساليب الإثابة في تشجيع الأطفال على القيام بعمل

---

(١) « دافعية الإنجاز وقياسها » إبراهيم قشقوش ، وطلعت منصور ص ٢١٥ .

(٢) « مدخل الشرع الشريف على المذاهب » لابن الحاج العبدري ٤/٢٩٦ .

ما وإنجازه ، يستخدمه المربي في أوقات مناسبة ، وظروف مناسبة ، يُنشِّط بها نفوس الأطفال ، ويرتفع بمنسوب همتهم ونشاطهم ، فيشعر الطفل بالسعادة والمحبة ، فيسارع إلى تقديم كل طاقاته ، ويبذل كل ما في وسعه للوصول إلى الفوز ورضى مدرسه ومربيه .

ومن صور التشجيع :

* ما أخرجه أحمد : عن عبد اللّه بن الحارث ﷺ قال : « كانَ رسول اللّه ﷺ يصفّ عبد اللّه ، وعبيد اللّه ، وكُثَيْرًا من بني العباس ﷺ ، ثُمَّ يقول : « **من سبق إليَّ ، فله كذا ، وكذا** » .

قال : فيستبقون إليه ، فيقعون على ظهره وصدره ، فيقبِّلهم ، ويلزمهم » (١) .

ومن صور تشجيع الأطفال ما نراه من اهتمام عمر بن الخطاب وتشجيعه للأطفال أن يتحدثوا ، ويقدموا آراءهم ، وأفكارهم .

* عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه سأل أصحاب النبي ﷺ فقال : « فيم ترون أنزلت ﴿ **أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب** ﴾ ؟ » . فقالوا : اللّه أعلم . فغضب عمر فقال : قولوا : نعلم ، أو لا نعلم . فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين ! فقال عمر : « قل يابن أخي ، ولا تحقّر نفسك » . فقال ابن عباس : ضربت مثلاً لعمل . فقال عمر : أي عمل ؟ فقال : لعمل . فقال عمر : « رجل غني يعمل الحسنات ،

---

(١) أخرجه أحمد في « مسند » ٢١٤/١ .

ثُمَّ بعث اللَّه له الشياطين فعمل بالمعاصي حتّى أغرق أعماله كلها » (١) .

فليكن شعار المربين والمدرسين في تشجيع الطفل على الدراسة والتعليم ... « قل يا بنيَّ ولا تحقِّر نفسك » .

« فعلينا أن نشجع الطفل على استعمال محاكمته الخاصة حيثُ أمكن ذلكَ ، ولكن هذا لا يتم إلاَّ بالتوجيه والقيادة ؛ ولأن تربية الطفل الجيدة تقوم على إنشاء التوازن بينَ تشجيعه على إبراز شخصيته ، وإعطائه الحرية الكافية من ناحية ، وتدريبه على التكيف مع المحيط من جهة أخرى » (٢) .

وهذه التوجيهات التربوية نهدف من خلالها إلى إقامة البناء السليم للنفس ، وتحديد خط السير الصحيح الذي ينبغي أن يسير عليه المربي في توجيهاته التربوية .

٣ ـ *من وسائل التشجيع :*

أ ـ وسائل إيجابية لفظية :

تقوم على مشاركة التلميذ فيما يشعر ويحس به ، ومن ذلكَ بعض العبارات التربوية التي تصدر من المربي والتي تعبرّ عن فهم مشاعر التلاميذ ، وغرضها : رفع الروح المعنوية للتلميذ المجتهد ، وحثه على الاستمرار والاجتهاد ؛ وأخذه بيد الخامل ويكون باستخدام عبارات المديح والتشجيع

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ٢٨٣/٢ كتاب التفسير ﴿ سورة البقرة ﴾ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٢) « المشكلات السلوكية عند الأطفال » د . نبيه الغبرة ص ٥٣ ، ٥٤ .

والثناء مثل :

« بارك اللَّه فيك » ، « وفقك اللَّه » ، « جزاك اللَّه خيرًا » ... ، وأحيانًا مع إضافة اسم الطالب إليها مثل : « بارك اللَّه فيك يا أحمد ... » .

ومثل : « أحسنت » ، « ممتاز » ، « جيد جدًا » ، « جيد » ، « إجابة صحيحة تستحق عليها التقدير » ، « هذا صحيح » ، « موفق » ، « زادك اللَّه علمًا » .

ب ـ وسائل إيجابية غير لفظية :

قد يطرح أحد التلاميذ فكرة مبادأة منه ، أو قد يأتي التلميذ في إجابته بعدة أفكار تتصف بالجدة وتدل على ذكاء ، وفكر منظم ، وعندئذ يظهر المعلم قبوله لهذه الأفكار ، ورضاه عن صاحبها ، أو يظهر الإعجاب بالابتسام ، أو هزِّ الرأس بالموافقة على الإجابة ، أو بغمضات العين ، أو بكتابة الإجابة على السبورة وتكون بلون مميز ، أو الاستماع بطريقة ودية توحي بالاهتمام ...

وقد يطرح أحد التلاميذ فكرة صحيحة ، ولكنها ناقصة ، ولا بأس من أن يتنبَّاها المربي ، ويضيف إليها بمشاركة بقية زملائه ، أو بمشاركته هو ، إن لم يضف زملاؤه بحيث يظل الفضل يرجع إلى صاحبها الأصلي الذي بدأ بها .

جـ ـ وسائل إيجابية أخرى :

مثل : كتابة الترتيب حتَّى العاشر ، منحه درجة مرتفعة ، أو تقليده

نجمة ، أو لصقها على واجبه أو دفتره ، أو التنويه به أمام زملائه بالفصل ، أو في طابور الصباح أمام كل تلاميذ المدرسة ، أو تسجيل اسمه في لوحة المتفوقين للمادة ، أو على مستوى الفصل .

د ـ من وسائل التشجيع : حسن النداء ، والكنى :

إن النفس الإنسانية على استعداد تام للتأثير بما يُلقي إليها من كلمات ، لكن ذلكَ الاستعداد كما هو للخير ، فهو استعداد أيضًا للشر ، فإذا أردنا أن نصلح جنوح الأحداث ، فإن أعظم وسيلة بعد القدوة الصالحة ، هي استخدام حُسن النداء والكنى التي يحبها لنفسه ، والتي يحب أن يُعرف بها بينَ أقرانه

ويحسن بنا ـ نحن المربين ـ أن نكني الصغار ، أسوة برسول اللّه ﷺ وهو المعلم والمربي الأول لهذه الأمة ... إذ أنه لما قدم المدينة ، وأنس بن مالك ابن عشر سنين ، قدَّمته أُمه ـ أم سليم ـ إلى رسول اللّه ﷺ ، وكنّاه : أبا حمزة ، ونلاحظ من سيرته ﷺ أنه كانَ ينوع أسلوب خطابه مع الأطفال ، لإثارة انتباه الطفل ، ووضعه في حالة استعداد لتلقي الكلام ، فتارة يخاطب الطفل باسمه فيداعبه بقوله : « **يا أبا عمير ، ما فعل النغير** » (١) .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ٥٩٨/١٠ (رقم ٦٢٠٣) ، ومسلم في كتاب الأدب ١٦٩٢/٣ (٣٠) (رقم ٢١٥٠) ، وأبو داود في الأدب ٢٥١/٥ (رقم ٤٩٦٩) ، والترمذي في باب البر والصلة ٣١٤/٤ (رقم ١٩٨٩) ، وابن ماجه ١٢٢٦/٢ ، والبغوي في « شرح السنة » ٣٤٧/١٢ ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

والنغير : تصغير النغر ، وهو طائر صغير .

وتارة يخاطبه بطفولته ، فيناديه : « **يا غلام ... إني أعلمك كلمات ، يا غلام ، سمِّ اللّه تعالى ، وكل بيمينك** » (١) .

وكثيرًا ما يناديه بنداء العاطفة : « **يا بنيَّ ...** » (٢) .

« **يا بُنيَّ ، إذا أكلت ، فسمِّ اللّه ، وكل بيمينك** » (٣) .

وعن أنس بن مالك قال : قال لي رسول اللّه ﷺ : « **يا بُنيَّ ، إذا دخلت على أهلك فسلِّم ...** » (٤) .

قال الإمام النووي ـ رحمه اللّه تعالى ـ :

« وفي هذين الحديثين جواز قول الإنسان لغير ابنه ممن هو أصغر سنًا منه ، يا بنيَّ .. ويا بُنيَّ مصغرًا ، ويا ولدي ، ومعناها التلطف ، وأنك عندي بمنزلة ولدي في الشفقة ، وكذا يقال له ولمن هو في سن المتكلم يا أخي بقصد التلطف » (٥) .

---

(١) أخرجه مسلم ١٥٩٩/٣ (رقم ٢٠٢٢) كتاب الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما .

(٢) أخرجه مسلم ١٦٩٣/٣ (رقم ٢١٥١) كتاب الآداب ، باب جواز قوله لغير إبنه ، يا بني ، واستحبابه للملاطفة .

(٣) أخرجه أحمد في « المسند » ٢٦/٤ .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ٥٦/٥ (رقم ٢٦٩٨) كتاب الاستئذان ، باب ما جاء في التسليم إذا دخل بيته ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب .

(٥) « شرح صحيح مسلم للإمام النووي ١٢٩/٧ (رقم ١٤) كتاب الآداب ، باب جواز قوله لغير ابنه يا بنيَّ واستحبابه للملاطفة .

وكان ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة ، ويقول : « **يا زوينب ، يا زوينب مرارًا** » (١) .

وعن علي ﵁ قال : استأذن عمار على النبي ﷺ فعرف صوته ، فقال : « **مرحبًا بالطيب المطيب** » (٢) .

قال بدر الدين بن جماعة : « ينبغي أن يخاطب كلاً منهم ، ولا سيما الفاضل المتميز بكنيته ونحوها من أحب الأسماء إليه ، وما فيها من تعظيم له وتوقير » (٣) .

فعن عائشة - رضي اللّه عنها - كانَ رسول اللّه ﷺ يكني أصحابه إكرامًا لهم . « كنى رسول اللّه ﷺ عليًا : أبا تراب » .

فعن سهل بن سعد الساعدي قال : جاء رسول اللّه ﷺ إلى بيت فاطمة ، فلم يجد عليًا في البيت ... ، فقالَ رسول اللّه ﷺ لإنسان : « **انظر أين هو ؟** » ، فجاء فقال : يا رسول اللّه هو راقد في المسجد ، فجاء رسول اللّه ﷺ يمسح التراب عنه ، ويقول : « **قم أبا تراب ، قم**

---

(١) أخرجه الضياء المقدسي كما في « الجامع الصغير » للسيوطي ، وهو في « صحيح الجامع » (رقم ٥٠٢٥) ، وذكره الألباني في صحيحه (رقم ٢١٤١) .

(٢) أخرجه الترمذي ٦٢٦/١ ، باب (٣٥) مناقب عمار بن ياسر (رقم ٣٧٩٨) ، وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه ٣٠/١ (رقم ١١٩ ــ ١٤٦) ، « المشكاة » (رقم ٦٢٢٦) « السلسلة الصحيحة » ٤٦٦/٢ ، الحاكم في « مستدرك » (رقم ٣٨٨٣) ، وصححه ، ووافقه الذهبي .

(٣) « تذكرة السامع والمتكلم » لابن جماعة ص ٦٥ .

أبا تراب ... » (١) .

وكنى أُبي بن كعب أبا المنذر ، وغيرهما من الصحابة ـ رضوان اللَّه عليهم أجمعين ـ عن أُبي بن كعب قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **يا أبا المنذر : أتدري أي آية في كتاب اللَّه أعظم ... ؟** » قال : قلت : اللَّه ورسوله أعلم ... (٢) .

نلاحظ من الأحاديث السابقة أنه ﷺ يعلم جيدًا أن الأطفال لا يدركون الدنيا بعقولهم وأفهامهم ، بل يدركونها بعيونهم ، بما يشاهدونه من الملاطفة ، والحب ، والمخالطة .. (٣) ، لهذا كانَ ﷺ يأسر قلوب الصغار والكبار على حدٍّ سواء .

فعلى المربي أن يسلك مع براعمه طريقًا مبسطًا ، وأن يخاطبهم بألفاظ سهلة ، ونداءات مناسبة ، تناسب قدرة الناشىء العقلية ، وقدرته على استيعاب ما يكنى به ... (٤) ، وكذلك الألقاب المحمودة مثل يا بطل ... يا غلام .

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب نوم الرجال في المسجد ٥٣٥/١ فضائل أصحاب النبي ، وفضائل علي بن أبي طالب ، والأدب ، باب التكني بأبي تراب ، ومسلم في « فضائل الصحابة » (رقم ٢٤٠٩) .

(٢) أخرجه مسلم ٥٥٦/١ (رقم ٨١٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل سورة الكهف ، وآية الكرسي .

(٣) « كيف نربي أطفالنا » لمحمد مهدي الاستانبولي ص ٨٤ .

(٤) « الأولاد وتربيتهم في الإسلام » لمحمد بن مقبل بن محمد مقبل ص ٧١ .

هـ ـ ولهذه التكنية آثار نفسية رائعة ، وفوائد تربوية عظيمة وتتلخص بالآتي :

ـ تنمية شعور التكريم والاحترام في نفسية الولد ، ومن ذلكَ قول الشاعر :

أكنيه حين أناديه لأكرمه ❋❋❋ ولا ألقبه والسوأة اللقب

ـ تنمية شخصيته وإشعاره أنه بلغ مرتبة الكبار ، وسن الاحترام .

ـ ملاطفته بمناداته بهذه الكنية الحبيبة إليه ، وتعويده أدب الخطاب للكبار ، ولمن كانَ في سنه من الصغار (١) .

ـ إشباع حاجته إلى التقدير الاجتماعي ، ودعم ثقته بنفسه ، وإدخال السرور عليه ، واليوم فإن الطفل في أكثر معاقل التربية عندنا ــ للأسف ــ لا يسمع من أكثر مربيه إلاَّ الكلمات المؤذية والتي تجرح نفسيته أولاً ، وتربيه على البذاءة ثانيًا .

فإذا طرح سؤالاً لم يستمعوا إليه ؟ وإذا أخطأ ضحكوا منه ، وانهالوا عليه بوابل من الكلمات التي لا تليق به ، ولا بالمعقل التربوي الذي جاء إليه ، ولا بالمربي الذي وضُع بينَ يديه .

و ـ تجنب استخدام الوسائل اللفظية السلبية :

مثل بعض العبارات التي تصدر من المعلم حينما لا يستجيب التلميذ إلى

---

(١) « تربية الأولاد في الإسلام » عبد اللّه علوان ٨٢/١ .

ما يريده المعلم بطريقة صحيحة ، أو حينما لا يحالفه الحظ في الإجابة على سؤال مطروح من المعلم ، أو حينما لا يستطيع كتابة كلمة ، أو جملة بشكل صحيح ، أو أنه قام بحركة مع زملائه داخل الفصل أو خارجه ، هذا من جانب التلميذ ، أما من جانب المعلم عندما يكون في حالة غضبية ، أو حالة نفسية ، أو مرضية .

ففي كلتا الحالتين ، يقوم المعلم بإصدار بعض الكلمات التي لا تليق به كمرب ومعلم للأجيال ، ولا بالتلميذ الذي يعتبره جوهرة نفيسة بينَ يديه يتعامل معه بأمانة .

من هذه الكلمات : « تشبيه بالحيوانات ، أو وصفه بما يعاب به كالغباء ، أو إسكاته بكلمة مؤذية كقوله : اخرس » .

فهذه الكلمات وغيرها لا تصدر من مربٍّ ، يعرف أنه يتعامل مع أطفال ، ويعرف أن مهمته بناء الإنسان وتكوينه جسميًا ، وروحيًا ، ونفسيًا ، وعقليًا ، كما أنه يعرف أن هذه الكلمات وغيرها ، لها أثر سيئ وقاسٍ على نفسية التلاميذ .

ألا فليعلم المربي أن هذا الطفل الذي بينَ يديه مخلوق لطيف ـ مفكر ـ وفيه من الغرائز والميول ما يؤهله ؛ ليكون إنسانًا راقيًا .

٤ ـ التشجيع بالدعاء :

من الأمور التي ينبغي أن يعلمها المربون في تأديب طلابهم على خصال الخير ، هو اتباع أسلوب التشجيع بالكلمة الطيبة أحيانًا والدعاء له إذا أحسن

وأصاب بعمله مثل بعض الكلمات :

« بارك اللّه فيك » ، « وفقك اللّه » ، « زادك اللّه علمًا » ، « جزاك اللّه خيرًا » ، « جعلك اللّه من أهل الخير ، والصلاح » ، « اللهم علّمه الحكمة » .

فإن سماع أو كتابة هذه الكلمات على مسامع التلميذ ــ خاصة الضعيف ، أو المنحرف سلوكيًا ـ تزيد شحنة العاطفة وقودًا ، وتتمكن الرحمة والرأفة من قلب المربي ... فيتضرع إلى اللّه تعالى ، ويبتهل إليه في إصلاح هذا المتعلم ومستقبله ، وتكون سببًا في إصلاحه بالدعاء إليه .

كما فعل الرسول ﷺ ـ فدعا للأطفال ـ فبارك اللّه لهم ، وهذه باقة من أقواله ﷺ .

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « ضمني رسول اللّه ﷺ إلى صدره ، وقال : « **اللهم علّمه الحكمة** » .

وفي رواية : « **علّمه الكتاب** » (١) .

وبفضل دعوة رسول اللّه ﷺ أصبح ابن عباس حِبْر الأمة وترجمان القرآن .

* وهذه أم سليم ـ والدة أنس ـ تطلب من رسول اللّه ﷺ الدعاء لأنس فيدعو له : عن أنس رضي الله عنه قال : قالت أم سليم : يا رسول اللّه خادمك أنس

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٦/٧ (رقم ٣٧٥٦) كتاب فضائل الصحابة ، باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما .

ادع اللّه له ، فقال : « **اللهم أكثر ما له وولده ، وبارك فيما أعطيته** » (١) .

* وفي رواية البخاري : جاءت بي أم سليم إلى رسول اللّه ﷺ وقد أزرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه ، فقالت : يا رسول اللّه هذا أُنيس ابني أتيتك به يخدمك ، فادع اللّه له .

فقال : « **اللهم أكثر ماله ، وولده** » فواللّه إن مالي لكثير ، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المئة اليوم .

* وعن أبي خلدة ـ رحمه اللّه تعالى ـ قال : قلت لأبي العالية سمع أنس من رسول اللّه ﷺ قال : « خدمه عشر سنين ، ودعا له النبي ﷺ وكان له بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين ، وكان فيها ريحان يجيء منه ريح المسك » (٢) .

الدعاء واللجوء إلى اللّه في إصلاح الطفل واستقامته ، فاللّه هو المالك ، وأمور الخلق ، وأقدارهم بينَ يديه يصرفها كيف يشاء ، والدعاء أكرم شيء على اللّه ، وهو أشرف العبادات ، بل هو العبادة نفسها ، فما أفضل وأحسن

---

(١) أخرجه البخاري ١١/١٤٠ (رقم ٦٣٣٤) ، ١١/١٤٩، ١٨٦ (رقم ٦٣٤٤ ، ٦٣٧٨ ، ٦٣٧٩ ، ٦٣٨٠ ، ٦٣٨١) كتاب الدعوات ، باب قوله تعالى : ﴿ **وصلِّ عليهم** ﴾ ، وباب دعوة النبي ﷺ لخادمه بطول العمر وكثرة المال ، باب الدعاء لكثرة المال والولد مع البركة ، ومسلم في ١/٤٥٨ (رقم ٦٦٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب جواز الجماعة في النافلة ، ٤/١٩٢٨ (رقم ١٩٢٩) (رقم ٢٤٨٠ ، ٢٤٨١) ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أنس بن مالك ﷺ .

(٢) أخرجه الترمذي ٥/٦٤١ (رقم ٣٨٣٣) كتاب المناقب ، باب مناقب لأنس ابن مالك ﷺ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

أن يستغل المربي هذه المنزلة والكرامة من الله ﷻ بأن يدعو لأطفاله بالكلمة الطيبة ، نرجو من الله صلاحهم وهدايتهم وتوفيقهم .

* * *

الفصل الثاني
وسائل الثواب المادية

وفيه مباحث :

المبحث الأول : المكافأة المادية .

المبحث الثاني : شواهد وصور من المكافآت المادية التربوية .

المبحث الثالث : أهمية المكافأة عند سلفنا الصالح .

المبحث الأول

المكافأة المادية

يحاول كل طفل أن يسترعى انتباه الآخرين ، وأن يجذب الأنظار والقلوب نحوه ، وغايته من ذلكَ الحصول على تقديرهم ومكافآتهم ، فإذا لم يجد استجابة تمرَّد ، وربما أدى ذلكَ إلى ارتكاب بعض الأخطاء والأشياء التي تضره ، وهذا أمر طبيعي ؛ لقوله ﷺ : « **كل ابن آدم خطاء وخير الخطَّائين التوابون** »⁽¹⁾ .

ويقصد في ذلكَ الإنسان الكبير ، فكيف بالطفل الصغير ، وقد رُفع عنه القلم والتكليف لماذا ؟ لأن نموه العقلي لم يكتمل بعد ولم يميز ، وفي بعض البلدان يسمون الأطفال « الجهال » ، فهذا الجاهل الذي عَذَرَه اللّه إذا وقع منه خطأ هل نتركه ...؟ .

طبعًا لا ، لا بد من العلاج ، وكلمة العلاج تسوقنا إلى مثال طبي ، لو جُرحت يد أحد من النَّاس يداويها بالدواء الابتدائي الأسهل ، فإن بَرِئَ فذاك ، وإن زادت يرتقِ بالدواء .

ونحن بعد أن قمنا بإحضار بعض صور للثواب المعنوي في تربية الطفل فإن أجدى فالحمد لله ، وإلاَّ وجب البحث عن وسائل إيجابية في تحبيب

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ٥٦٨/٤ (رقم ٢٤٩٩) كتاب صفة القيامة ، والرقائق والورع ، باب (٤٩) ، وقال الترمذي هذا حديث غريب ، وأخرجه ابن ماجه في سننه ١٤٢٠/٢ (رقم ٤٢٥١) كتاب الزهد ، باب ذكر التوبة ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (رقم ٤٣٩١) .

الطفل بمدرسيه ، وتقوية الصلة بينهم ، وذلك بالارتقاء في تقويم الثواب ، امتثالاً لوصية رسولنا وقدوتنا محمد ﷺ ، إذ يقول : ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو هريرة مرفوعًا : « **أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سرورًا ، أو تقضي عنه دينًا ، أو تطعمه خبزًا** »(١) .

ومن أفضل الأعمال للطفل تلبية حاجة الفطرة البشرية لديه بما يفرحه : ويتم ذلكَ بصور متعددة منها :

* تشجيع الطفل بالهدية :

ينبغي حين نود غرس العادات الطيبة ، ونرفع من مستواه العلمي والأدبي ، لا بد من مكافأة الطفل على إحسانه ، وتدريبه على فعل الخير ، امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ **هَلْ جزاءُ الإحْسَانِ إلاَّ الإحْسَان** ﴾(٢) .

حقًا إن الهدية لمكافأة جميلة ، وتعبير رمزي عن الحب والود والوفاء ، ويحرص المربون على تقديم الهدايا لطلابهم في كل موقف إيجابي ، أو أثناء إجابة صحيحة قام بها ، أو تحسين في سلوكه ، تلبية لحاجة الفطرة البشرية بما يبعث في نفس الطفل جانبًا من الارتياح الوجداني ، وقد ثبت أن الاعتماد على الحوافز التي تثير نشاط المتعلم في بدء تعلّمه أمر له قيمته إذا كانَ قيامه بهذا النشاط الضروري (بناء على تحفيزه) يكسبه شيئًا يرغب فيه ، أو يجنبه

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا « قضاء الحوائج » ص ٩٨ ، وحسن الألباني إسناده في « سلسلة الأحاديث الصحيحة » (رقم ١٤٩٤) .

(٢) سورة الرحمن آية : ٦٠ .

شيئًا يكرهه .

قد تكون الهدية المفيدة باعثًا من بواعث النشاط للطفل ، وتفجر فيه ينابيع الطموح والتنافس الموجه والعزيمة ، وتحرِّك فيه الجدَّ والاجتهاد والإخلاص والاستقامة .

وللهدايا أثر طيب في النفس البشرية عامة ، وفي نفوس الأطفال أكثر تأثيرًا ، وأكبر وقعًا ، وقد سنَّ رسول اللَّه ﷺ قاعدة للحب بينَ النَّاس ، فنصح (١) الأمة بقوله : « **تهادوا تحابوا** » (٢) .

وعن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت : « كانَ رسول اللَّه ﷺ يقبل الهدية ، ويثيب عليها » (٣) .

والرسول ﷺ يبين لنا عمليًا هذا الركن القوي في بناء عاطفة الطفل ، وتحريكها ، وتوجيهها .

أخرج مسلم عن أبي هريرة ؓ أن رسول اللَّه ﷺ كانَ يؤتى بأول الثمر فيقول : « **اللهم بارك لنا في مدينتنا ، وفي ثمارنا ، وفي مدّنا ، وفي**

---

(١) « الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي » سالك أحمد معلوم ط/١ ١٤١٣هـ .

(٢) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (رقم ٥٩٤) ، وابن عدي في « الكامل » ١٠٤/٤ ، والبيهقي في « السنن الكبرى » ١٦٩/٦ كتاب الهبات ، باب التحريض على الهبة والهدية صلة بينَ النَّاس ، والحديث إسناده صحيح ، صححه الحافظ في « التلخيص » ٧٠/٣ ، والألباني في « صحيح الجامع » (رقم ٣٠٠١) ، وانظر : « الإرواء » (رقم ١٦٠١) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤٩/٥ (رقم ٢٥٨٥) كتاب الهبة ، باب المكافأة في الهبة ، وأبو داود في سننه ٨٠٦/٣ (رقم ٣٥٣٦) كتاب البيوع والإجارة ، باب في قبول الهدايا .

صاعنا ، بركة مع بركة ، ثُمَّ يعطيه أصغر من يحضره من الولدان » (١) .

وليكن شعارنا ـ نحن المربِّين ـ في تعاملنا مع الأطفال : بهذه الجملة التربوية : « تحلَّ بهذا يا بنيَّ ... » ، أو « تحلَّي بهذا يا بنيَّة » .

وحبذا لو قدَّم المربي قطعة من الحلوى للطفل ومعها هذه الجملة التربوية عندما يستجيب لأمر تربوي ، أو يقوم بفعل يستحق فيه المكافأة على عمله ، كما نلحظ ذلكَ في أسلوب رسول اللَّه ﷺ في تعامله مع الأطفال وإثابتهم :

روى أبو داود عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت : « قدمت هدايا من النجاشي فيها فص حبشي ، فأخذ رسول اللَّه ﷺ بعود أو ببعض أصابعه معرضًا عنه ، ثُمَّ دعا أمامة بنت أبي العاص من بنته زينب فقال : تحلَّي بهذا يا بنيَّة » (٢) .

تحلَّ بهذا يا بنيَّ ... بهذه الجملة التربوية تقدِّم المكافأة ، أو المثوبة لطفلنا ؛ لإرواء بعض حاجاته ، ودفعها إلى الاتجاه الصحيح ؛ لأن الإسلام يهتم بالطفل اهتمامًا كبيرًا ، ويحث المربِّين على معاملة الطفل معاملة طيبة ، تتصل بأبعاده الجسمية ، والنفسية ، والخلقية .

فالمكافأة أو المثوبة : « هي التي تتخذ طابعًا ماديًا خارجيًا صريحًا ، وتتمثل في تقديم شيء ملموس عيني يسمى « المكافأة » ، أو « الباعث » ،

---

(١) أخرجه مسلم ٢/١٠٠٠ (رقم ١٣٧٣) كتاب الحج ، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٦/١٠١ (رقم ٦٢١) ، وابن ماجه (رقم ٣٦٤٤) ، وابن سعد في « الطبقات » ٨/٤٠ .

أو « المعزِّز » ، أو « الموجب » والتي تشبع لدى المتعلم دافعًا من نوع ما .

ومن ذلكَ المكافأة ، والجوائز المالية ، والمادية بصفة عامة ، والمداليات ، والدرجات ، والتقديرات المدرسية ، والترتيب ، والمدح اللفظي ، وغيرها ؛ مما يجعل الطفل يشعر بالرضا والارتياح »(١) .

* * *

---

(١) « علم النفس التربوي » د . آمال صادق ، د . فؤاد أبو حطب ص ٣٧٦ .

المبحث الثاني

شواهد من المكافآت المادية التربوية

لا خلاف في أهمية الثواب في حياة النَّاس عامة ، ودوره في التوجيه وتعديلِ السلوك ، وللمكافآت دور إيجابي في تعزيز التعليم الهادف واستثارة المعلم ؛ لبذل مزيد من الجهد ، وقد لوحظ أن التعزيز يبلغ أقصى فاعليته كلما كانت الإثابة قريبة زمنًا من الاستجابة التي يراد تعلمها .

ومن هذه الصور ، ما يروى عن عمرو بن سلمة ، قال : كنا بحاضر يمر بنا النَّاس إذا أتوا النبي ﷺ فكانوا إذا رجعوا مرّوا بنا ، فأخبرونا أن رسول اللَّه ﷺ قال كذا وكذا وكنت غلامًا حافظًا ، فحفظت من ذلكَ قرآنًا كثيرًا ، فانطلق أبي وافدًا إلى رسول اللَّه ﷺ في نفر من قومه فعلَّمهم الصلاة ، فقال : « **يؤمكم أقرؤكم** » ، وكنت أقرأهم ؛ لما كنت أحفظ ، فقدموني ، فكنت أؤمهم وعليَّ بردة لي صغيرة صفراء ، فكنت إذا سجدت تكشفت عني ، فقالت امرأة من النساء واروا عنَّا عورة قارئكم ، فاشتروا لي قميصًا عمانيًا ، فما فرحت بشيء بعد الإسلام فرحي به » (١) .

إن الفرحة بهذه المكافأة المادية هي فرحة مشتركة مع كل من يقدم له هدية ، فعلينا نحن المربين أن ندرك أبعاد هذا الموقف ، وأن نتعلم كيف نُشعر الطفل بمكانته ومنزلته ، بهذا نُصعِّد حاجته إلى التقدير ، ونجعلها تروى باستمرار من معين لا ينصب .

---

(١) « سنن أبي داود ١/١٥٩/١٦٠ ، باب من أحق بالإمامة حديث (رقم ٥٨٥) .

* وهذا صلاح الدين الأيوبي ــ رحمه اللَّه ــ وهو في خضم المعركة يتجول في المعسكر ، فيجتاز على صغير بينَ يدي أبيه وهو يقرأ القرآن ، فاستحسن قراءته فقرَّبه وجعل له حظًا من خاص طعامه ، ووقف عليه وعلى أبيه جزءً من مزرعته (١) .

وللتشجيع دور كبير في نفس الطفل ، وفي تقدم حركته الإيجابية البنَّاءة وفي كشف طاقاته الحيوية ، وأنواع هواياته .

أخرج الإمام أحمد ، عن عبد اللَّه بن الحارث ﵁ قال : كانَ رسول اللَّه ﷺ يصفّ عبد اللَّه ، وعبيد اللَّه وكثيرًا من بني العباس ﵃ ، ثُمَّ يقول : « **من سبق إليَّ ، فله كذا ، وكذا** » ، قال : فيستبقون إليه ، فيقعون على ظهره وصدره ، فيقبلهم ، ويلزمهم (٢) .

ويستطيع المربي تحديد أي أسلوب للتشجيع المادي أو المعنوي يناسب الموقف الذي يكون فيه الطفل ، وتنويع الأساليب التربوية في تربية الطفل مطلب أساسي ومهم إذ : « ينادي المربون باستخدام أساليب التشجيع المادي مع الأطفال في بداية الأمر إلى أن يكسب الطفل إدراك المعنى ، فيصبح للمديح والشكر أثر يفوق الهدايا والجوائز ، وعمومًا فإن الجمع بينَ الأسلوبين مع الأطفال صغار السن أجدى » (٣) .

* * *

---

(١) « النوادر السلطانية » (سيرة صلاح) الدين للبنداري ص ٩ .

(٢) أخرجه أحمد في « المسند » ٢١٤/١ .

(٣) « أصول التربية الإسلامية » لمحمد الخطيب ، وآخرون ص ١٢٠ .

المبحث الثالث
أهمية المكافأة عند سلفنا الصالح

قدَّر سلفنا الصالح أهمية ترغيب الأبناء وثوابهم عند حُسن استجابتهم ، فكانوا يتألَّفون أبناءهم على طلب العلم فيمنحونهم الهدايا ، ليغروهم بالتعليم ، ومن ذلكَ ما رواه النضر بن الحارث قال : سمعت إبراهيم ابن أدهم يقول : قال لي أبي : « يا بني اطلب الحديث ، فكلما سمعت حديثًا وحفظته ، فلك درهم ، فطلبت الحديث على هذا » (١) .

وذكر التوحيدي أن أبا حنيفة « أسلم ابنه حمادًا إلى المعلم ، فعلَّمه ﴿ سورة الفاتحة ﴾ ، فوهبه أبو حنيفة خمس دراهم ، وكان الكبش يشترى بدرهم ، واستكثر المعلم هذا السخاء إذ لم يعلِّمه إلاَّ الفاتحة .

فقال أبو حنيفة : لا تستحقر ما علمت ولدي ، ولو كانَ معنا أكثر من ذلكَ ، لدفعناه إليك تعظيمًا للقرآن »

إن لفتة هادفة من المربي لأطفاله مشفوعة ببصيرة حازمة وعقل حصيف ، ورعاية كريمة ، سوف تكون عونًا للطفل ، فكم من طفل نشطت مواهبه بكلمة تشجيع وعطف من مرب ، أو مكافأة رمزية .

وتقديرًا لأهمية المكافأة من الناحية التربوية ، راح الصحابة ـ رضوان اللَّه عليهم أجمعين ـ يدفعون أطفالهم إلى اللعب ويشجعونهم عليه .

---

(١) « منهج التربية النبوية للطفل » محمد نور عبد الحفيظ سويد ص ١٣٣ ، عن كتاب « أصول الحديث » لعجاج الخطيب ص ١٠٠ .

وفي الأثر عن إبراهيم بن يزيد النخعي قَالَ : كانَ أصحابنا يُرخِصون لنا في اللعب كلها غير الكلاب ، « قَالَ أبو عبد اللّه : يعني الصبيان » (١) .

وكان زبيد اليامي يقول للصبيان : « من صلّى منكم ، فله خمس جوزات » .

ويقول ابن الجوزي : « ينبغي أن يتلطف بالصبي » (٢) .

يحتاج الطفل دائمًا إلى دفء القبول ، وإلى الاستجابات الودودة معه ، سواء ما يكون منها ذا طبيعة جسمية ، أو نفسية ، وتهتم التربية الإسلامية بإشباع تلك الحاجة للطفل ؛ ليشعر بأنه مرغوب فيه ، غير منبوذ ، أو مضطهد أو مكروه ، ذلكَ لأن فكرة الفرد عن نفسه إنما تشتق من فكرة الآخرين عنه (٣) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن نرى الأسوة والقدوة من رسول البشرية محمد ﷺ وهو يقوم بتقديم الحوافز التشجيعية المادية والمعنوية لمن كانَ مستهزئًا أو كارهًا له :

روى أبو محذورة فقال : « خرجت في نفر عشرة فكنا في بعض الطريق حين قفل رسول اللّه ﷺ من حنين ، فأذّن مؤذّن رسول اللّه ﷺ للصلاة ،

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، باب لعب الصبيان بالجوز . انظر : « صحيح الأدب المفرد » للألباني (رقم ٥٤٥) ص ٤٩٤ .

(٢) « مجلة الخفجي » ص ٣٢ ، جمادى الثانية ١٤٠٩هـ .

(٣) « التربية الإسلامية وتحديات العصر » د . عبد الغني عبود ، د . حسن إبراهيم عبد العال ص ٤٣١ .

فسمعنا صوت المؤذّن ، ونحن متنكبون فصرخنا نحاكيه ونستهزئ به ، فسمع رسول اللّه ﷺ الصوت ، فأرسل إلينا ، إلى أن وقفنا بينَ يديه ، فقال : أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع ؟! فأشار القوم كلهم إليَّ وصدقوا ، فأرسلهم وحبسني ، ثُمَّ قال : « **قم فأذّن بالصلاة** » .

فقمت ولا شيء أكره إليَّ من رسول اللّه ﷺ ، ولا مما يأمرني به ، فقمت بينَ يديه ، فألقى عليَّ رسول اللّه التَّأذِين هو بنفسه فقال : قل اللّه أكبر ، اللّه أكبر ، فذكر الأذان ، ثُمَّ دعاني حين قضيت التأذين ، فأعطاني صُرَّة فيها شيء من فضة ، ثُمَّ وضع يده على ناصيتي ، ثُمَّ قال رسول اللّه ﷺ : « **بارك اللّه فيك ، وبارك اللّه عليك** » (١) .

وذهب كل شيء كانَ في نفسي لرسول اللّه ﷺ من كراهة ، وعاد ذلكَ كله محبة لرسول اللّه ﷺ .

* * *

---

(١) « الاستيعاب » على حاشية « الإصابة » لابن حجر العسقلاني ٤/١٧٩ ، ١٨٠ .

الفصل الثالث
أثر الثواب

وفيه مباحث :

المبحث الأول : أثر الثواب الإيجابي في التعلم .

المبحث الثاني : أثر الثواب السلبي في التعلم ، ونتائجه .

المبحث الأول

أثر الثواب الإيجابي في عملية التعلم

« من أهم آثار الثواب ما يولده في المتعلم من حالات انفعالية سارة : فالثواب عادة ما يجعل الطفل يشعر بالرضا ، أو اللذة ، أو السرور ، كما أنه يؤدي إلى تقوية الدوافع التي تعمل على تنشيط السلوك وتوجيهه ، فمثلاً إذا كانَ الدافع المعرفي يثاب عليه دائمًا في السياق المدرسي ، فإننا نتوقع زيادة مستمرة في قوته .

كما أن الثواب الفارق بينَ المواد المدرسية داخل المدرسة ، قد تؤدي إلى تخصص الدافع المعرفي ، وعلى هذا نجد أحد الأطفال قد ينمي فيه دافعًا معرفيًا نحو الرياضيات ، وطفل آخر نحو القراءة .

وقد تكون للثواب آثار قصيرة المدى يمكن استنتاجها من الأثر الوجداني والذي يؤثر في الحالة الدافعية ، وبالتالي ينتج الوظائف المعروفة للمتغيرات الدافعية ... فالثواب هنا يؤدي إلى زيادة الاحتمال النسبي لحدوث الاستجابة .

ومن الثواب القصير المدى : أن وعي الطفل بالنجاح والذي يشبع بعض دوافعه يؤدي إلى تنشيط جهود التعلم اللاحقة ، وذلك لزيادة ثقة الطفل بنفسه ، وتشجيعه على المغامرة والمثابرة ، فالثواب هنا يزيد دافعية الطفل للاستفادة مما تعلَّم .

أما عن الآثار المعرفية : فإنه يخبر الطفل بمدى ملاءمة استجاباته وأنشطته .

فالثواب : يساعد على توضيح طبيعة العمل ، كما يجعل للتعلم معنى ، وذلك بالربط بينَ مجموعة من الاستجابات وأهداف معرفية معينة ، وبدون هذا الارتباط بهدف ، يصبح السلوك غير موجه »⁽¹⁾ .

* * *

---

(١) « علم النفس التربوي » د . آمال صادق ، د . فؤاد أبو حطب ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

المبحث الثاني

أثر الثواب السلبي في التعلم

أكدت تجارب كثيرة فعالية الثواب في التربية ، إلاَّ أننا نشير إلى بعض الآثار السلبية للمبالغة في استخدام الثواب بأسلوب تربوي ثابت ، وخاصة حين يكون الثواب على هيئة مكافأة خارجية مادية صريحة :

١ ـ الثواب الذي يتخذ صورة مكافأة يحددها الراشدون ــ المعلمون والآباء ـ وترتبط صناعيًا بالنشاط ؛ ولذلك قد تُعَّد إذا بُولِغ فيها نوعًا من الرَّشوة ، وقد تقود إلى الانقياد والرضوخ للسلطة لا إلى الابتكار ، أو النشاط الذاتي ، وقد تكوِّن لدى الطفل اتجاهًا نفسيًا من نوع : ماذا سيعود عليَّ من هذا العمل ؟ أي أن النشاط تصبح له قيمته فقط بما يتلوه من مكافأة ، وتظهر معظم مشكلات الغش في الاختبارات عندما تتغلب المكافأة الخارجية على عمليات الحصول عليها ، وتصير القاعدة في السلوك هي « الغاية تبرر الوسيلة » بحيث يسعى المتعلم للحصول على المكافأة بأيسر السُبل ، وهكذا يمكن أن يصبح جيل المتعلمين جيلاً مريضًا بعلل أخلاقية وبيلة .

٢ ـ الثواب حين يتخذ صورة مكافأة يكون تنافسيًا في طابعه ، بمعنى أنه في الوقت الذي تجد فيه شخصًا ، أو عدة أشخاص تشبعهم المكافأة التي يحصلون عليها ، فإن كثيرين قد يتعرضون للإحباط ، وإذا كانت لدينا جائزة واحدة ، وعدد كبير من المتسابقين ، فلا بد لنا من مواجهة مشكلات الذين يخسرون ، ويصبح السؤال هو : هل فوز الفائز يستحق ما يدفع فيه من ثمن

على حساب ما يشعر به الخاسرون من إحساس بالفشل وخيبة للأمل ؟ (١) .

٣ ـ لما كانَ الثواب يقتضي التنافس للحصول عليه ، فقد يؤدي الفشل في الوصول إليه إلى الحقد والحسد ، وفساد العلاقات الاجتماعية بينَ أفراد الجماعة ، كما يشجع الثواب الوصولية في التلميذ ، أو اللاعب ، أو يجعله يستمرئ الخنوع والخضوع ، ما دام المدرس ، أو المدرِّب صاحب الكلمة في المنح ، والمنع (الثواب ، والعقاب) .

فقد يخنع له التلميذ ويتملقه ، وبذلك تقتل فيه التلقائية والابتكارية والفاعلية تبعًا لذلك (٢) .

ومن الآثار السلبية لاستخدام الثواب فقط في العملية التربوية ، والاعتماد على التربية بالمثوبة وحدها دون التربية باستخدام التأديب التربوي .

وهذا ما تنادي به « حركة التربية التقدمية » ومصدرها الولايات المتحدة الأمريكية ، والتي جعلت من الطفل مركز العملية التربوية ودعت إلى التسامح معه « وعدم استخدام العقاب في تربية الطفل كما في انكلترا ، والمانيا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وإلى إلغاء الضرب نهائيًا كما في فرنسا ، وإيطاليا ، وبلجيكا » (٣) .

---

(١) « علم النفس التربوي » د . آمال صادق ، د . فؤاد أبو حطب ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ .

(٢) « علم النفس التربوي الرياضي » د . سعد جلال ، د . محمد علاوي ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٣) « إدارة الصفوف » لأحمد سامح الخالدي ص ٥٦ ، وما بعدها .

وإن التربية عندهم ـ كما يقولون ـ ترتبط بخبرات سعيدة ـ غير محدثة للقلق ـ وتقوم على التعزيز الإيجابي فقط ، والذي يعتبره العالم الأمريكي ثورنديك ، ومن بعده سكنر ، المفتاح السحري لحل كل مشاكل التعليم... ، ومشاكل تربية الطفل .

وكان من نتائج هذه النظرية التي اعتمدت على الثواب فقط وإلغاء خطوات التأديب التربوي بشقيه المعنوي ، والحسي ما نطرحه الآن من صيحات الخطر والنذير من قبل رؤساء هذه الدول ، والتي طُبقت بها هذه النظرية التربوية ، ورأوا ، بل وذاقوا ثمرة هذه النظرية ، وكان من ثمارها هذه الصيحات ، المؤلمة ، الموقظة ، الهادفة « أن نشأت أجيال مائعة ، لا تصلح لجديات الحياة ، ومها مها » ، أجيال منحلة مائعة ، متفلتة من المسؤولية ، متعطشة للفساد والإجرام .

وهذا ما حدا بالرئيس الأمريكي السابق « كينـدي » بأن يصرّح عام ١٩٦٢م بالتصريح التالي : « إن مستقبل أمريكا في خطر ؛ لأن شبابها مائع منحل ، غارق في الشهوات ، لا يقدِّر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وإن من بينَ كل سبعة شبَّان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ؛ لأن الشهوات والتفلت من قيود المسؤولية ، والأخلاق أفسدت عليهم لياقتهم الطبية ، والنفسية ... » (١) .

وجاء في تقارير « البوليس السري الأمريكي بشيكاغو » ـ وقد نشرت

---

(١) من كتاب « الثورة الجنسية » لجورج بالوشي .

في ثلاثة عشر مجلدًا ـ ما يلي :

« إن هذه الحرية الفاسدة ، وحضارة الخنافس ، لم تفسد فقط نظام الأسرة في أمريكا ، ولكنها أيضًا قد جلبت لأمريكا ثقافة لا يمكن معالجتها بالبوليس ، والقضاء ... » (١) .

هذا فضلاً عن العصابات الإجرامية المنتشرة في أمريكا هنا وهناك ، وكلها خطر على الأنفس ، وخطر على الأموال ، وخطر على الأعراض ، وخطر بشكل عام على الأمن والاستقرار ، كل ذلكَ للتهاون في العقاب ، والاتجاه في التربية نحو اللين والتسامح (٢) .

إن استخدام الثواب بلا ضوابط ، والمبالغة في الإباحة والتدليل ، ومنع استخدام التأديب التربوي في وقته المناسب ، وضمن ضوابطه الشرعية أوجد جيلاً متسيبًا ضائعًا منذ الطفولة .

ولهذا « تعاني الإنسانية اليوم من ضياع الطفولة : إما بسبب المبالغة في الإباحة والتدليل ، وانعدام الضوابط في معاملة الأطفال ، وإما بسبب الإفراط في الشهوات ، وانعدام ضوابط الغرائز انعدامًا أضاع ملايين الأطفال غير الشرعيين » (٣) .

وكان للتربية الغربية الحديثة ـ التي تعتمد على الثواب فقط ـ كأسلوب

---

(١) « تربية الأولاد في الإسلام » لعبد اللّه ناصح علوان ١/٢٨٢ .

(٢) « المرجع السابق » ٢/٧٥٨ .

(٣) « أصول التربية الإسلامية » لعبد الرحمن النحلاوي ص ١١ .

تربوي نصيب لا يستهان به من المسؤولية عن هذا الضياع ،والبؤس ،والشقاء

وكان من نتائج الوازع التربوي في الجيل الأمريكي ما يصوِّره : « بنجامين سبوك » فيقول : « وعندي هذا التردد والتذبذب في تربية الأطفال ، وهذه المراعاة الوجلة القلقة لرغباتهم ونزواتهم ، تعتبر إحدى النواحي لما يشار إليه عادة « ظاهرة التدليل والإباحة » ، وهي غالبًا ما تواكب النزعة إلى السماح للأطفال بأن يكونوا غير مهذبين ، وعصاة لآبائهم وأمهاتهم ، أو نائحين شارقين بالدمع لأقل إثارة ، أو مهملين فيما يخصّهم من أشياء ، أو فيما يمتلكه غيرهم ، أو شديدي الهياج والعدوان ، والإثارة في لعبهم ولهوهم » (١).

ومن النتائج السلبية للاعتماد على الثواب - كما في نظرية ثورنديك - ما قاله الكاتب الفرنسي « أندريا موروا » في كتاب « أسباب انهيار فرنسا » : « ومن أهم أسباب انهيار فرنسا في الحرب العالمية الثانية هو تفسخ الشعب الفرنسي ؛ نتيجة لانتشار الرذيلة بينَ أفراده » (٢) .

وهذا ما حدا بالجنرال « ديغول » في أعقاب تسلمه زمام السلطة في فرنسا لأن يستدعى رئيس شرطة باريس ويقول له : « أغلق لي هذه المواخير ، وأوكار الخنافس في عاصمتي » (٣) .

وفي سنة ١٩٦٢م صرّح « خروشوف » كما صرّح كنيدي .. « بأن

---

(١).« المرجع السابق » ص ١١ .

(٢) « المرجع السابق » ص ٧٠٦ .

(٣) « تربية الأولاد في الإسلام » لعبد اللّٰه ناصح علوان ٩٤٣/٢ ، ٩٤٤ .

مستقبل روسيا في خطر ، وأن شباب روسيا لا يؤتمن على مستقبلها ؛ لأنه مائع ، منحل ، غارق في الشهوات »⁽¹⁾ .

ونحن حين نجمع تلك الصيحات وإنذارات الخطر إنما نجمعها لتكون عبرة لأولى الأبصار ، لنرى من خلالها صيحات الأمم التي اكتوت بنار هذه النظرية ، وهي تعطينا نتائج ما وصلت إليه بهذه الصيحات ...

علّنا نأخذ منها ـ الدروس والعبر ـ ونعود لتطبيق التجربة التربوية التي طبقها سلفنا الصالح ـ رضوان اللّه عليهم أجمعين ـ في تربية الأجيال المسلمة ـ ، والتي جعلت الطفل مركز العملية التربوية ، وجعلت من وسائل تربيتها ـ الثواب والتأديب التربوي ـ بشقيه المعنوي والحسي ، وضمن خطوات ، وقواعد تربوية شرعية مدروسة ، تربي عليها فنشأ جيل إسلامي تربوي فريد .

جيل يعرف واجبه نحو خالقه ، ودينه ، ومجتمعه الذي يعيش معه .

جيل يتحمل المسؤولية ، ويعرف مكانه ، ومهمته ، وحدوده .

جيل فتح اللّه به القلوب والأبصار ، قبل الدِّيار والأمصار .

جيل يُسأل ما الذي جاء بك ؟ فيجب ... ابتعثنا اللّه ... !!!

إنه ... جيل ريادة الأمم ... ، وقيادة العالم ... ـ بإذن اللّه تعالى ـ .

* * *

---

(١) « المرجع السابق » ١/٢٧٨ .

الخاتمة

وختامًا ، الحمد لله الذي أبان للعباد منهج التربية القويمة في قرآنه المجيد ، وأوضح للعالمين مبادئ الخير والهدى ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ؛ الذي بعثه اللّٰه للإنسانية مؤدِّبًا ، ومربيًا ، وعلى آله ، وصحبه الطيبين الأطهار ، الذين أعطَوا الأجيال المتعاقبة نماذج فريدة في تربية الأبناء ، وتكوين الأمم ، وعلى من نهج نهجهم ، واقتضى أثرهم بإحسان إلى يوم الدين ...

وبعد ، فمن خلال أبواب ، وفصول هذا البحث « **قبسات من التأديب التربوي عند المسلمين** » عشت أوقاتًا سعيدة في البحث في بطون الكتب والمراجع ؛ باحثًا عن مبادئ وقواعد تربوية قدَّمها لنا ــ علماء الفكر التربوي الإسلامي ـ خلال تجربتهم التربوية الرائدة ، التي وضع أصولها لنا من الناحية العلمية القرآن الكريم ، ومن الناحية العملية الرسول الكريم محمد ﷺ الذي كانَ صورة حيَّة لما يدعو إليه ، والتطبيق العملي لوحي السماء ، ووضع أمام المربين طرقًا واضحة المعالم ؛ لتأديب الطفل أقتطف منها هذه الباقة :

عن أبي موسى ، عن أبيه ، عن جده فيما روي عن رسول اللّٰه ﷺ : أنه قال : « **ما نحل والد ولدًا من نِحل ، أفضل من أدب حسن** ... »(١) .

عن الحارث بن النعمان قال : سمعت أنس بن مالك يحدث ، عن

---

(١) أخرجه الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في أدب الولد ٢٩٨/٤ ، وفي سنده مجهول ، وضعيف ، وصححه الحاكم ، وردّه الذهبي عليه بقوله : بل مرسل ضعيف ، وقال الترمذي : غريب مرسل « جامع الأصول » ٤١٦/١ الحاشية .

رسول اللّه ﷺ قال : « **أكرموا أولادكم ، وأحسنوا أدبهم** ... » (٢) .

وعن جابر بن سمرة ، قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **لأن يؤدِّب الرجل ولده خير من أن يتصدَّق بصاع** » (٣) .

من خلال هذه الباقة من الأحاديث النبوية التي تحث على تأديب الطفل تبين لنا أننا أمة التربية ، والتعليم .

أمة التراث ، والحضارة ، والتقدم .

أمة القيادة ، والريادة بهذا الدين القويم .

أمة العطاء ، والبناء ، والسؤدد .

أمة ربَّت أجيالاً متعاقبة فتح اللّه بها القلوب والأبصار ، قبل البلاد والأمصار .

فكيف بها الآن وهي تعيش هذه الغفلة والبعد عن المنهج التربوي الأصيل ؟ حتّى أصبحت أمة تأخذ مناهج تربية أجيالها من هنا وهناك ... تطبّقه في محاضنها التربوية ، كأنها أمة بلا تراث ولا حضارة ... ، وحتى أصبح كثير من المربين والمشتغلين بأمور التربية ـ واأسفاه ـ يعرفون أسماء وتاريخ علماء التربية في الغرب ، وأقوالهم ! وقد لا يعرفون اسمًا واحدًا من

---

(٢) أخرجه ابن ماجه ١٢١١/٢ (رقم ٣٦٧١) كتاب الأدب ، باب بر الوالد والإحسان إلى البنات ، في « الزوائد » في إسناد الحارث بن النعمان ، وإن ذكره ابن حبان في « الثقات » ، فقد لينه أبو حاتم .

(٣) رواه الترمذي ، كتاب البِّر والصلة ، باب ما جاء في أدب الولد ٢٩٧/٤ .

أسماء علماء الفكر التربوي الإسلامي ، ولا من آرائهم التربوية وأفكارهم ... وهذا ما يدلّ على التبعية أولاً ، والضياع ، وفقدان الذات ثانيًا .

هذا الكتاب إن هو إلاَّ غرسة من غراس التأديب التربوي عند المسلمين ، وإن هو إلاَّ فرع من فروع تلك الشجرة الطيبة : « **التربية في الإسلام** » ، وأسلوب من الأساليب التربوية ـ الثواب ، والعقاب ـ ، والذي أطلقنا عليه في بحثنا هذا « **التأديب التربوي عند المسلمين** » .

آمل أن يجد الإخوة المربون في هذا الكتاب القواعد التربوية التي تساعدهم على أن يختاروا الأفضل في التأديب ، والمعالجة ؛ للوصول في نهاية المطاف إلى إصلاح الطفل ، وتهذيبه ، وتأديبه .

وإذا كنا مخلصين ، وصادقين في تربية أجيالنا على المنهج التربوي الإسلامي ، واستعادة مجدنا وعزّنا ، وعودة القيادة والريادة لأبناء أمتنا ... ، فلا بدَّ من العودة إلى النبع الأصيل الذي صَلُحت به هذه الأمة أول مرة ، ولا تصلح الآن إلاَّ به .

وعلى الإخوة المربين أن يشمّروا عن ساعد الجِد والاجتهاد ، ويعطوا لتربية براعمهم حقًا في الثواب والتأديب والتهذيب ، فإذا فعلوا ذلكَ فإنهم يكونون قد اضطلعوا بمسؤولياتهم ، وقاموا بواجباتهم ، وبرّؤوا ذمتهم أمام اللَّه ، واستنفذوا الجهد ، ودفعوا بعجلة التقدم التربوي إلى الأمام ، وعندئذ يفرح المؤمنون بالجيل المؤمن ، والمجتمع المسلم ، وتنهض الأمة من سباتها بمسؤولياتها في القيادة والريادة ... وما ذلكَ على اللَّه بعزيز ....

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين .

من أعلام الفكر التربوي الإسلامي

من أعلام الفكر التربوي الإسلامي

١ ـ عبد الملك بن حبيب .

هو : عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي القرطبي ، أبو مروان .

عالم الأندلس ، وفقيهها في عصره ، أصله من طيطلة ، ثُمَّ من بني سُليم ، أو من مواليهم ، ولد في إلبيرة ، وسكن قرطبة ، وزار مصر ، ثُمَّ عاد إلى الأندلس ، كانَ عالمًا بالتاريخ والأدب ، رأسًا في فقه المالكية ، له تصانيف كثيرة ، قيل تزيد عن ألف منها : « حروب الإسلام » ، « طبقات الفقهاء والتابعين » ، « طبقات المحدثين » ، « تفسير موطأ مالك » ، « مصابيح الهدى » ، « الفرائض » ، « مكارم الأخلاق » ، « الورع » ، وغيرها كثير ، كانَ ابن لبابة يقول : عبد الملك بن حبيب عالم الأندلس (١) .

وقال ابن الفرضي : كانَ فقيهًا (من المالكية) نحويًا ، شاعرًا ، إخباريًا ، نسابة ، متصرف في فنون العلم ، وقال الصرفي في « تاريخه » : كانَ ابن حبيب كثير الجمع معتمدًا علَى الأخذ بالحديث ،وقال ابن عبد البر: هو أول من أظهر الحديث بالأندلس (٢) . توفي بقرطبة سنة ٢٣٩هـ (٣) .

---

(١) « الأعلام » للزركلي ١٥٧/٤ .

(٢) « تذكرة الحفاظ » للذهبي ٥٣٧/٢ ، ٥٣٨ .

(٣) ولزيادة التفصيل عنه ينظر : « معجم البلدان » ٣٢٣/١ ، « تاريخ علماء الأندلس » ٢٢٥/١ ، « الديباج المذهب » ص ١٥٤ ، « ميزان الاعتدال » ١٤٨/٢ ، « لسان الميزان » ٥٩/٤ ، « نفح الطيب » ٣٣١/١ .

من كتبه التربوية :

١ ـ « مصابيح الهدى » .

٢ ـ « مكارم الأخلاق » .

٣ ـ « الورع » .

* * *

٢ ـ ابن سحنون .

هو : محمد بن عبد السلام « سحنون » بن سعيد بن حبيب التنوخي ، أبو عبد اللَّه .

فقيه مالكي مناظر ، كانَ مفتي القيروان ، ومن أهلها ، تفقه على أبيه ، كانَ الغالب عليه الفقه والنظر ، ومعرفة اختلاف النَّاس ، والرد على أهل الأهواء ، والذبِّ عن مذهب مالك .

توفي بالساحل ، ونقل فدفن فيها سنة ٢٥٦هـ (١) .

من كتبه التربوية :

« آداب المعلمين » .

* * *

---

(١) ولزيادة التفصيل عنه ينظر : « معالم الإيمان » ٧٩/٢ ، « رياض النفوس » ٣٤٥/١ ، « الفهرس التمهيدي » ص ٢٢٧ ، « تذكرة الحفاظ » ٢٠٠/٢ ، « الديباج » ٢٣٤ ـ ٢٣٧ .

٢ ـ ابن أبي الدنيا .

هو : عبد اللّه بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا القرشي ، الأموي مولاهم ، البغدادي ، أبو بكر .

حافظ للحديث ، مكثر من التصانيف ، أدَّب الخليفة المعتضد العباسي في حداثته ، ثُمَّ أدّب ابنه المكتفي (١) .

قال ابن أبي حاتم : كتبت عنه مع أبي ، وهو صدوق ، وقال الخطيب : أدَّب غير واحد من أولاد الخلفاء .

قال ابن كامل : هو مؤدب المعتضد .

ومن أقوال الرشيد مع أولاده : قال : كيف محبتك لمؤدبك ؟ قلت : كيف لا أحبه ، وهو أول من فتق لساني بذكر اللّه (٢) .

له مصنفات اطلع الذهبي على ٢٠ كتابًا منها ، ثُمَّ ذكر أسماءها كلها ، فبلغت ١٦٤ كتابًا .

توفي في بغداد سنة ٢٨١هـ .

---

(١) « الأعلام » للزركلي ٤/١١٨ .

(٢) « تذكرة الحفاظ » شمس الدين الذهبي ٢/٦٧٧ ، ٦٧٨ .

ولزيادة التفاصيل ينظر : « تهذيب التهذيب » ٦/١٢ ، « فوات الوفيات » ١/٢٣٦ ، « فهرست ابن النديم » ١/١٨٥ ، « سير أعلام النبلاء » للذهبي ، الطبقة الخامسة عشرة ، « تاريخ بغداد » ١٠/٨٩ « طبقات بن أبي يعلى » ١/١٩٢ ، ومختصره ص ١٣٩ ، « فهرسة ابن خير » ص ٢٨٢ ، « دائرة المعارف الإسلامية » ١/٧٢ .

من كتبه التربوية :

١ - « **الفرج بعد الشدة** » .

٢ - « **مكارم الأخلاق** » .

٣ - « **كتاب العيال** » .

* * *

٣ - ابن الجزار .

هو :أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد ، أبو جعفر القيرواني ، ابن الجزَّار . طبيب ، مؤرخ من أهل القيروان .

كانَ من أهل الحفظ ، والتطلع ، والدراسة للطب ، وسائر العلوم ، وكان طبيبًا ، ابن طبيب .

قال سلمان بن حسان : كانَ قد أخذ لنفسه مأخذًا عجيبًا في سمته وهديه ، وتعدده ، ولم يحفظ عنه بالقيروان زلة قط ، ولا أخلد إلى لذة ، كانَ يشهد الجنائز والعرائس ، ولا يأكل فيها ، ولا يركب قط إلى أحد من رجال إفريقية ، ولا إلى سلطانهم .

له تصانيف كثيرة . توفي سنة ٣٩٥هـ (١) .

---

(١) « الأعلام » للزركلي ٨٥/١ ، ٨٦ .

ولزيادة التفصيل ينظر :« إرشاد الأريب » ٨١/١، « طبقات الأمم » ص ٩١ ، ٩٢ ، « بغية الوعاة » ص١١٧، « كشف الظنون » ٩٤٦/٢، « معجم الأدباء » ص١٣٦،١٣٧ ، « عيون الأنباء » لابن أبي أصيبعه ص ٤٨١ ، ٤٨٢ ، « الوافي بالوفيات » ٢٠٨/٦ ، ٢٠٩ .

من كتبه التربوية :

« سياسة الصبيان وتدبيرهم » .

* * *

٤ ـ ابن القابسي .

هو : علي بن محمد بن خلف المعافري القيرواني ، أبو الحسن ابن القابسي ، عالم المالكية بأفريقية في عصره

كانَ تقيًا ، ورعًا ، حافظًا للحديث ، وعلله ، ورجاله ، وكان إمامًا في علم الحديث ، ومتونه ، وأسانيده .

وجميع ما يتعلق به ، وكتبه في نهاية الصحة ، وكان يضبطها ثقات أصحابه ، وعليه كانَ يعتمد قرَّاء أهل القيروان نسبته إلى « المعافرين » من قرى قابس . توفي بالقيروان سنة ٤٠٣هـ (١) .

من كتبه التربوية :

« الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين » .

* * *

---

(١) « الأعلام » للزركلي ٣٢٦/٤ .

ولزيادة التفاصيل ينظر : « وفيات الأعيان » ٣٢٠/٣ (رقم ٤٤٦) ، « معالم الإيمان » ١٦٨/٣ ، « نكت الهميان » ص ٢١٧ ، « شذرات الذهب » لابن العماد ١٦٨/٣ ، « تذكرة الحفاظ » ١٠٧/٣ .

٥ ـ ابن مسكويه .

هو : أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه ، أبو علي .

مؤرخ بحَّاث ، أصله من الريِّ ، وسكن أصفهان ، أولع بالتاريخ ، والأدب ، والإنشاء ، وكان قيِّمًا على خزانة كتب ابن العميد .

توفي في أصفهان سنة ٤٢١هـ (١) .

من كتبه التربوية :

« تهذيب الأخلاق ، وتطهير الأعراق » .

* * *

٦ ـ الماوردي .

هو : علي بن محمد بن حبيب البصري ، الشافعي ، أبو الحسن الماوردي ، ولي القضاء في بلدان كثيرة .

كانَ إمامًا في الفقه ، والأصول ، والتفسير ، بصيرًا بالعربية .

قال الخطيب : كانَ ثقة من وجوه الفقهاء الشافعيين .

قال ابن خيرون : كانَ رجلاً عظيم القدر ، متقدمًا عند السلطان ، أحد الأئمة ، من أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة .

---

(١) « الأعلام » للزركلي ٢١١/١ .

ولزيادة التفاصيل ينظر : « إرشاد الأريب » ٤٩/٢ ، « القفطي » ص ٢١٧ ، « الامتاع المؤانسة » ٣٢/١ ، ١٣٦ ،« الفهرس التمهيدي » ص ٢٩١ ، ٤٦١ ، « الذريعة » ٦٦/٤ .

ولد في البصرة ، وتوفي فيها سنة ٤٥٠هـ (١) .

من كتبه التربوية :

« أدب الدنيا والدين » .

* * *

٧ ـ الخطيب البغدادي .

هو : الحافظ أبو بكر ، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي ، المعروف بـ « الخطيب البغدادي » .

صاحب التصانيف وخاتمة الحفَّاظ ، كتب الكثير وتقدم في هذا الشأن ، وبذَّ أقرانه ، جمع وصنَّف وصحح وعلل وجرَّح ، وعدَّل وأرَّخ وأوضح (٢) ، وقد ذكر السمعاني في « الأنساب » أنه صنَّف قريبًا من مئة مصنف ، صارت عمدة لأصحاب الحديث (٣). كانَ يقرأ على النَّاس الحديث ، وكان جهوري

---

(١) « الأعلام » للزركلي ٣٢٧/٤ ، « طبقات الشافعية الكبرى » للسبكي ٣٠٣/٣ .

لزيادة التفاصيل ينظر : « الأنساب » للسمعاني ٣٢٦/١، « الشذرات » ٢٨٥/٣ ، « مفتاح السعادة » ١٩٠/٢ ، « الفهرس التمهيدي » ص ١٩٥ ، « آداب اللغة » ٣٣٣/٢ .

(٢) « سير أعلام النبلاء » للذهبي ٢٧٠/١٨ ، « تذكرة الحفاظ » ١١٤٥/٣ ، ١١٤٦ .

(٣) « الأعلام » للزركلي ١٧٢/١ .

لزيادة التفاصيل ينظر : « الأنساب » للسمعاني ٢٠٣/٢ ، « آداب اللغة » ٣٢٤/٢ ، « تاريخ دمشق » ١٢/٧/٢ ، « الكامل في التاريخ » ٦٨/١٠ ، « البداية والنهاية » ١٠١/١٢ ـ ١٠٣ ، « طبقات الحفاظ » (٤٣٤ ــ ٤٣٦) ، « شذرات الذهب » ٣١١/٣ ، ٣١٢ ، « تهذيب ابن عساكر » ٣٩٨/١ ـ ٤٠٠ ، « معجم الأدباء » ٢٤٨/١ ، « النجوم الزاهرة » ٨٧/٥ ، « اللباب » ٤٣٥/١ ، « الفهرس التمهيدي » ١٦٥ ، ٣٧٠ ، « وفيات الأعيان » ٩٢/١ (رقم ٣٤) ، « طبقات الشافعية » ١٢/٣ .

الصوت يسمع صوته من أرجاء الجامع كلها فصيح اللفظ ، عارفًا بالأدب .

قال ابن ماكولا : كانَ أحد الأعيان ممن شهدناه معرفة وحفظًا وإثباتًا ، وضبطًا لحديث رسول اللَّه ﷺ ، وتفننًا في علله ، وأسانيده ، وعلمًا بصحيحه ، وغريبه ، وفرده ، ومنكره .

قال ابن السمعاني :كانَ مهيبًا وقورًا ثقة متحريًا حجة ، حسن الخط ، كثير الضبط ، فصيحًا ختم به الحفاظ .

توفي سنة ٤٦٣هـ .

من كتبه التربوية :

١ ـ « **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع** » .

٢ ـ « **الفقيه والمتفقه** »

٣ ـ « **شرف أصحاب الحديث** » .

* * *

٨ ـ ابن عبد البرِّ .

هو : الإمام العلاَّمة أبو عمر ، يوسف بن عبد اللَّه بن محمد بن عبد البرِّ النمري الأندلسي ، القرطبي المالكي .

طلب العلم ، وتكاثر عليه الطلبة ، جمع وصنَّف ، ووثق وضعف ، من كبار حفاظ الحديث ، مؤرخ أديب يقال له : حفَّاظ المغرب ، ولد بقرطبة

ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس ، وشرقها ، وليَّ قضاء لشبونة (١) .

كانَ إمامًا ، دِّينا ، ثقة ، متقنًا ، علاّمة متبحرًا .

قال ابن حزم : التمهيد لصاحبنا أبي عمر لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله ، فكيف أحسن منه . كانَ أولاً ظاهريًا ، ثُمَّ صار مالكيًا ، مع ميل كثير إلى فقه الشافعي .

قال الحميدي : أبو عمر فقيه ، حافظ ، مكثر ، عالم بالقراءات ، وبالخلاف ، وبعلوم الحديث ، والرجال ، قديم السماع ، يميل في الفقه إلى أقوال الشافعي - رحمه اللَّه - (٢) .

قال ابن خلكان : إمام عصره في الحديث ، والأثر ، وما يتعلق بهما .

قال أبو الوليد الباجي : لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر بن عبد البرَّ في الحديث دأب في طلب العلم ، وتفنن فيه ، وبرع براعة فاق فيها من تقدمه من رجال الأندلس .

توفي بشاطبة سنة ٤٦٣هـ (٣) .

---

(١) « الأعلام » للزركلي ٢٤٠/٨ .

(٢) « سير أعلام النبلاء » للذهبي ١٦٣/١٨ - ١٧٠ .

(٣) « تذكرة الحفاظ » ١١٢٨/٣ - ١١٣٢ .

ولزيادة التفاصيل ينظر : « بغية الملتمس » ص ٤٧٤ ، « وفيات الأعيان » ٣٤٨/٢ ، « آداب اللغة » ٦٦/٣ ، « الصلة » ص ٦١٦ ، « الكتبخانة » ٢١٣/٤ ، « الآصفية » ٢٣٦/٤ ، « جمهرة الأنساب » ص ٢٨٥ ، « الديباج » ص ٣٥٧ ، « الشذرات » ٣١٤/٣ - ٣١٦ .

من كتبه التربوية :

« جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغي في روايته وحمله » .

* * *

٩ ـ الغزالي .

هو : زين الدين ، أبو حامد ، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي .

الفقيه الشافعي ، صاحب التصانيف ، تفقه ببلده أولاً ، ثُمَّ تحوَّل إلى نَيْسابور في مرافقة جماعة من الطلبة ، شرع في التصانيف وشاع أمره ، فولاه نظام الملك الوزير تدريس نظامية بغداد (١) ، ونظامية نيسابور ودَّرس بها ... ووظف أوقاته على وظائف الخير بحيث لا يمضي لحظة إلاَّ في طاعة من التلاوة ، والتدريس ، والنظر في الأحاديث خصوصًا البخاري (٢) .

توفي سنة خمس وخمسمائة للهجرة .

من كتبه التربوية :

١ ـ **« إحياء علوم الدين »**

٢ ـ **« ميزان العمل » .**

---

(١) « سير أعلام النبلاء » للذهبي ٣٢٢/١٩ ـ ٣٤٦ ، « الشذرات » ١٢/٤ .

(٢) « اللباب » ٣٧٩/٢ ، « الكامل » لابن الأثير ٤٩١/١٠ .

ولزيادة التفاصيل ينظر : « وفيات الأعيان » ٢١٦/٤ ـ ٢١٩ ، « البداية والنهاية » ١٧٣/١٢ ، ١٧٤ ، « النجوم الزاهرة » ٢٠٣/٢ ، « معجم المؤلفين » ٢٦٦/١١ ـ ٢٦٩ .

١٠ - ابن الجوزي .

هو : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، القرشي ، البغدادي الحنبلي ، أبو الفرج (١) .

علاّمة عصره في التاريخ ، وإمام وقته في الحديث ، والوعظ ، والفقه الحنبلي ، تفرَّد بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه ، وفي طريقته ، وشكله وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأمور الحسِّية . وبالجملة كانَ أستاذًا فردًا في الوعظ وغيره ، وقد حضر مجلس وعظه الخلفاء ، والوزراء ، والملوك ، والأمراء ، والعلماء ، والفقهاء ، وأقل ما كانَ يجتمع في المجلس عشرة آلاف ، وربما اجتمع فيه مائة ألف ، أو يزيد .

قال موفق الدين المقدسي : كانَ ابن الجوزي إمام أهل عصره في الوعظ وصَنَّف في فنون العلم تصانيف حسنة ، وكان صاحب فنون ، وكان يدّرس الفقه ، ويصنف فيه ، وكان حافظًا للحديث ، حتَّى أن أبا الفرج قال عن نفسه : ولا يكاد يذكر لي حديث إلاّ ويمكنني أقول : صحيح ، أو حسن ، أو محال ، ولقد أقدرني اللّه على أن أرتجل المجلس كله من غير ذكر محفوظ (٢) له في كل علم مشاركة ، ولكنه كانَ في التفسير من الأعيان ، وفي

---

(١) « الأعلام » للزركلي ٣/٣١٦ ، ٣١٧ .

(٢) « تذكرة الحفاظ » للذهبي ٤/١٣٤٢ - ١٣٤٧ .

ولزيادة التفاصيل ينظر : « وفيات الأعيان » ١/١٤٠ (رقم ٣٧٠) ، « البداية والنهاية » ١٣/٢٨ - ٣٠ ، « مفتاح السعادة » ١/٢٠٧ ، « ذيل الروضين » (٢١) ، « دائرة المعارف الإسلامية » ١/١٢٥ ، « الشذرات » ٤/٣٢٩ - ٣٣١ .

الحديث من الحفاظ ، وفي التاريخ من المتوسعين ، ولديه فقه كاف .

له نحو ثلاث مئة مصنف نسبته إلى « مشرعة الجوز » من محالها ، توفي في بغداد سنة ٥٩٧ هـ .

من كتبه التربوية :

١ ـ « **صيد الخاطر** » .

٢ ـ « **منهاج القاصدين** » .

* * *

١١ ـ النّوّوي .

هو : يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني النّووي الشافعي ، أبو زكريا ، محي الدين .

مولده ، ووفاته في نوى « من قرى حوران بسوريا » ، وإليها نسبته ، تعلَّم في دمشق ، وأقام بها زمنًا طويلاً (١) كانَ حافظًا للحديث وفنونه ، ورجاله ، وصحيحه ، وعليله ، رأسًا في معرفة المذهب .

قال شمس الدين الحنبلي : كانَ إمامًا ، بارعًا ، حافظًا ، متقنًا ، أتقن علومًا جمة ، وصنَّف التصانيف الجمة ، كانَ شديد الورع ، والزهد .

قال ابن ناصر الدين : هو الحافظ ، القدوة ، الإمام ، شيخ الإسلام ، كانَ فقيه الأمة ، وعلم الأئمة .

---

(١) « الأعلام » للزركلي ١٤٩/٨ ، ١٥٠ .

وقال الأسنوي : كانَ عليه سكينة ووقار في البحث مع الفقهاء ، وُليَّ مشيخة دار الحديث بدمشق .

قال ابن العطار : كانَ قد صرف أوقاته كلها في أنواع العلم والعمل بالعلم ، كانَ واسع الاطلاع في الحديث ، والفقه ، واللغة (١) .

ولد في نوى سنة ٦٣١هـ ، ومات فيها سنة ٦٧٦هـ .

من كتبه التربوية :

١ ـ **« رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين »** .

٢ ـ **« التبيان في آداب حملة القرآن »** .

٣ ـ **« الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار »** .

* * *

١٢ ـ ابن الإخوة .

هو : محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد ابن الإخوة ، القرشي ، ضياء الدين المحدِّث ، حدّث هو ، وأبوه ، وأخوه .

---

(١) « تذكرة الحفاظ » للذهبي ١٤٧٠/٤ ـ ١٤٧٤ .

ولزيادة التفاصيل ينظر : « طبقات الشافعية » للسبكي ١٦٥/٥ ، « النعيمي » ٢٤/١ ، « النجوم الزاهرة » ٢٧٨/٧ ، « آداب اللغة » ٢٤٢/٣ ، « مفتاح السعادة » ٣٩٨/١ ، « التيمورية » ٣٠٧/٣ « ابن الفرات » ١٠٨/٧ ، « الآصفية » ٥٢١/١ ، ١٣٨/٢ ، « الشذرات » ٣٥٤/٥ ـ ٣٥٦ .

توفي سنة ٧٢٩هـ (١) .

من كتبه التربوية :

« معالم القربة في أحكام الحسبة » .

* * *

١٣ ـ ابن جماعة .

هو : محمد بن إبراهيم بن سعد اللَّه بن جماعة الكناني الحموي الشافعي ، بدر الدين ، أبو عبد اللَّه .

ولد في حماة ، وليَّ الحكم والخطابة بالقدس ، ثُمَّ القضاء في مصر ، فقضاء الشام ، ثُمَّ قضاء مصر ، وكان من خيار القضاة ، سمع الكثير ، واشتغل ، وأفتى ، ودرّس ، جُمع له بينَ القضاء ، والخطابة ، ومشيخة الشيوخ .

كانَ من العلماء بالحديث ، وسائر علوم الدين . باشر تدريس القيمرية بدمشق ، والمدرسة العادلية مدة طويلة ، ودرّس بالصالحية ، والناصرية ، وجامع ابن طولون ، والكاملية ، كل هذا مع الرياسة ، والديانة ، والصيانة ، والورع ، وكف الأذى .

قال الذهبي : كانَ قوي المشاركة في الحديث عارفًا بالفقه وأصوله ، ذكيًا ، فطنًا ، مناظرًا ، متقنًا ، له مشاركة حسنة في علوم الإسلام مع دين

---

(١) « الأعلام » للزركلي ٣٤/٧ ، وينظر : « الدرر الكامنة » ٢٨٥/٤ (رقم ٤٣١٠) .

وتعبد ، وأوصاف حميدة ، وأحكام محمودة .

قال القطب : من بيت علم وزهادة ، وكانت فيه رياسة ، وتودد ، ولين جانب ، وحسن أخلاق ، ومحاضرة حسنة ، كانَ حسن التربية من غير عنف ، ولا تخجيل ، توفي بمصر سنة ٧٣٣هـ (١)

من كتبه التربوية :

« تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم » .

* * *

١٤ـ ابن الحاج العبدري .

محمد بن محمد بن محمد ابن الحاج ، أبو عبد اللّه العبدري المالكي الفاسي (٢) .

فاضل ، تفقه في بلاده . نزيل مصر ، سمع ببلاده ، ثُمَّ قدم الديار المصرية وحجَّ ، وسمع الموطأ من الحافظ تقي الدين عبيد الأسعردي ، وحدَّث به ، صار ملحوظًا بالمشيخة والجلالة بمصر (٣) .

---

(١) « الأعلام » للزركلي ٢٩٧/٥ ، « الدرر الكامنة » ٣٦٧/٣ (رقم ٣٣٦٦) ، « الشذرات » ١٠٥/٦ ، ١٠٦ .

ولزيادة التفاصيل ينظر : « فوات الوفيات » ١٧٤/٢ ، « البداية والنهاية » ١٦٣/١٤ ، « الفهرس التمهيدي » ص ٥٥٥ ، « النجوم الزاهرة » ٢٩٨/٩ ، « دائرة المعارف الإسلامية » ١٢١/١ .

(٢) « الأعلام » للزركلي ٣٥/٧ .

(٣) « الدرر الكامنة » ٣٥٥/٤ (رقم٤٤٩٠)، ولزيادة التفاصيل ينظر : « بغية الوعاة » ص٩٧ .

توفي بالقاهرة عن نحو ٨٠ عامًا ، وكانت وفاته سنة ٧٣٧هـ .

من كتبه التربوية :

« مدخل الشرع الشريف على المذاهب »

* * *

١٥ ـ ابن قيّم الجوزيّة .

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن حريز الزرعي الدمشقي ، الفقيه الحنبلي ، أبو عبد اللّه ، شمس الدين .

من أركان الإصلاح الإسلامي ، وأحد كبار العلماء ، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتّى كانَ لا يخرج من شيء من أقواله ، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه ، وهو الذي هذّب كتبه ، ونشر علمه ، وسجن معه في قلعة دمشق .

ولد في دمشق سنة ٦٩١هـ . وفي « روضة المحبين » مقدمة الناشر فيها تحقيق نسبته « الزرعي » إلى « زرع » حوران ، وتسمى اليوم « أزرع » (١) .

قال القاضي برهان الدين الزرعي عنه : « ما تحت أديم السماء أوسع

---

(١) « الأعلام » للزركلي ٥٦/٦ ، « الشذرات » ١٦٨/٦ ـ ١٧٠ .

ولزيادة التفاصيل ينظر : « الدرر الكامنة » ٢١/٤ ـ ٢٣ ، « جلاء العينين » ص ٢٠ ، « بغية الوعاة » ص ٢٥ ، « معجم المطبوعات » ص ٢٢٢ ، « البداية والنهاية » ٢٣٤/١٤ ، « آداب اللغة » ٢٤٥/٣ ، « النجوم الزاهرة » ٢٤٩/١٠ ، « فهرس المؤلفين » ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

علمًا منه ، درّس بالصدرية ، وأمَّ بالجوزية مدة طويلة » .

قال ابن رجب : شيخنا تفقه في المذهب ، وبرع ، وأفتى ، ولازم الشيخ تقي الدين ، وأخذ عنه ، وتفنن في علوم الإسلام ، وكان عارفًا بالتفسير لا يجارى فيه ، وبأصول الدين ، وبالحديث ، ومعانيه ، وفقهه ، ودقائق الاستنباط منه ، توفي سنة ٧٥١هـ .

من كتبه التربوية :

١ ـ « **أعلام الموقعين عن رب العالمين** » .

٢ ـ « **تحفة المودود في أحكام المولود** » .

٣ ـ « **مدارج السالكين بينَ منازل إياك نعبد وإياك نستعين** » .

* * *

١٦ ـ ابن خلدون .

هو : عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، ابن خلدون أبو زيد ، وليّ الدين الحضرمي ، الأشبيلي ، من ولد وائل بن حجر .

الفيلسوف المؤرخ ، العالم الاجتماعي ، البحاثة .

كانَ فصيحًا ، صادق اللهجة ، طامحًا للمراتب العالية (١) ، وليَّ قضاء

---

(١) « الأعلام » للزركلي ٣/٣٣٠ .

ولزيادة التفاصيل ينظر : « الضوء اللامع » ٤/١٤٥ ، « نيل الابتهاج » ص ١٧ ، « تعريف الخلف » ٢/٢١٣ ، « المعارف الإسلامية » ١/١٥٢ ، « نفح الطيب » ٤/٤١٤ ، « العبر » ٧/٣٧٩ ، « آداب زيدان » ٣/٢١٠ .

المالكية بالقاهرة .

قال لسان الدين بن الخطيب في « تاريخ غرناطة » عنه : رجل فاضل جم الفضائل ، رفيع القدر ، أسيل المجد ، وقور المجلس عالي الهمة ، قوي الجأش ، متقدم في فنون عقلية ونقلية ، كثير الحفظ ، صحيح التصور .

توفي بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ .

من كتبه التربوية :

« العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر » .

* * *

١٧ ـ المغراوي .

أوجز ابن القاضي ترجمة هذا الشيخ الجليل في سطور قليلة :

هو : محمد بن أحمد بن أبي جمعة المغرَّاوي ، الملقب : بشقرون .

وينعيه الكتاني في كتابه سلوة الأنفاس المغرّاوي ، الوهراني ، وكأنه يرتب تنقله بينَ أطراف المغرب الكبير ، ثُمَّ يفضي عليه صفة الفقيه العالم ، العلاَّمة الأستاذ المقرئ المتكلم الحافظ الضابط المطَّلع ، له تصانيف كثيرة .

توفي بفاس في حدود سنة تسع وعشرين وتسعمائة للهجرة (١) .

---

(١) « المغراوي وفكره التربوي » لعبد الهادي التازي ص ١٧ ، ١٨ .

من كتبه التربوية :

« جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بينَ المعلمين وآباء الصبيان » .

* * *

١٨ - ابن حجر الهيتمي .

هو : أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري ، شهاب الدين ، شيخ الإسلام ، أبو العباس .

فقيه باحث مصري ، مولده في محلة أبي الهيثم (من إقليم الغربية بمصر) ، وإليها نسبته .

توفي بمكة المكرمة سنة ٩٧٤هـ (١) .

من كتبه التربوية :

١ - **« تحرير المقال في آداب وأحكام يحتاج إليها مؤدبو الأطفال »** .

٢ - **« المنهج القويم في مسائل التعليم »** .

* * *

---

(١) « الأعلام » للزركلي ٢٣٤/١ .

ولزيادة التفصيل ينظر : « النور السافر » ص ٢٨٧ ، « آداب اللغة » ٣٣٤/٣ ، « الفهرس التمهيدي » ص ٥٥٥ ، « دائرة المعارف الإسلامية » ١٣٣/٢ ، « خلاصة الأثر » ١٦٦/٢ .

١٩ ـ ابن عَرْضُون .

هو : أحمد بن الحسن بن يوسف ، أبو العباس بن عرضون .

قاض ، من فقهاء المالكية ، مغربي من أهل شفشاون .

توفي سنة ٩٩٢هـ (١) .

من كتبه التربوية :

١ ـ **« اللائق لعلم الوثائق »** .

٢ ـ **« آداب الزواج وتربية الولدان »** .

* * *

تم بحمد الله

---

(١) « الأعلام » للزركلي ١١٢/١ .

ولزيادة التفصيل ينظر : « اليواقيت الثمينة » ص ١٨ ، « معجم المطبوعات » ص ١٨٠ ، « سلوة الأنفاس » ٢٦٨/٢ .

فهرس

١ - فهرس المراجع .

٢ - فهرس الموضوعات .

فهرس المراجع

ـ أ ـ

١ ـ **آباء وأبناء** ، د / فاروق حمادة ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٨هـ .

٢ ـ **آداب المعلمين** ، لأبي عبد اللّٰه محمد بن سحنون ، تقديم وتحقيق الدكتور محمود عبد المولى ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٦٩م .

٣ ـ **الآداب الشرعية والمنح المرعية** ، لشمس الدين أبي عبد اللّٰه محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، ١٣٩١هـ .

٤ ـ **اتجاهات في أصول التدريس** ، أ / محمد سليمان شعلان ، د / سعاد جاد اللّٰه ، أ / محمد محمود رضوان ، دار الفكر العربي ، ط١ ، ١٩٨١م .

٥ ـ **إحياء علوم الدين** ، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٦ ـ **الأخلاق الإسلامية وأسسها** ، للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دمشق ، ط/ دار القلم ، ط١ ، ١٣٩٩هـ .

٧ ـ **الأخلاق والسير** ، لمحمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم .

٨ ـ **إدارة الصفوف** ، لأحمد سامح الخالدي .

٩ ـ **أدب الدنيا والدين** ، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، تحقيق مصطفى السقا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ .

١٠ ـ **الأدب في الدين** ، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، تحقيق عبد اللّٰه أحمد أبو زينة ، دار الشروق ، بيروت .

١١ ـ **الأدب المفرد** ، لأبي عبد اللّٰه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

١٢ ـ **أساس البلاغة** ، للعلامة جار اللّٰه الزمخشري ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٢هـ .

١٣ ـ **أسس الصحة النفسية** ، لعبد العزيز القوصي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٤ ، عام ١٣٨٦هـ .

١٤ ـ **أسس علم النفس العام** ، لمحمود الزيادي ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، ط١ ، عام ١٩٧٢م .

١٥ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة** ، لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد علي العسقلاني ، المعروف بابن حجر ، وبهامشه الاستيعاب ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ .

١٦ ـ **أصول التربية الإسلامية** ، لمحمد شحادة الخطيب ، وآخرون ، دار الخريجي ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٥هـ .

١٧ ـ **أصول التربية الإسلامية وأساليبها** ، لعبد الرحمن النحلاوي ، دار الفكر ، دمشق ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ .

١٨ ـ **أصول التربية وعلم النفس** ، د/ محمد رفعت رمضان ، د/ محمد سليمان شعلان ، د/ خطّاب عطية علي ، دار الفكر العربي ، ط٤ .

١٩ ـ **أصول علم النفس** ، د/ أحمد عزت راجح ، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر ، الأسكندرية ، ط٩ ، ١٩٧٢م .

٢٠ ـ **أصول علم النفس العام** ، لعبد الحميد الهاشمي ، دار الشروق ، جدة .

٢١ ـ **أضواء على الشخصية والصحة العقلية** ، لعثمان لبيب فراج ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٠ .

٢٢ ـ **الأطراف السنية لمجمع الزوائد والمطالب العالية** ، لعمر بن غرامة ، دار الطحاوي ، الرياض .

٢٣ ـ **الأعلام** ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط٨ ، ١٩٨٩م .

٢٤ ـ **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، لناصر الدين أبو سعيد عبد اللّه بن عمر ابن محمد الشيرازي البيضاوي ،(٥ ج ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ، بيروت) .

٢٥ ـ **الأولاد وتربيتهم في الإسلام** ، لمحمد بن مقبل بن محمد المقبل ، مؤسسة الممتاز للطباعة ، الرياض ، ط٢ ، ١٤١١هـ .

ـ ب ـ

٢٦ ـ **البداية والنهاية** ، الحافظ ابن كثير الدمشقي ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان .

ـ ت ـ

٢٧ ـ **تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال** ، لسليمان إسحاق عطية ابن حجر الهيتمي ، مكتبة الأنجلوا المصرية ، القاهرة ،١٩٧٨م .

٢٨ ـ **تحفة المودود بأحكام المولود** ، لابن قيم الجوزية ، المكتبة القيمة ، القاهرة ١٣٩٧هـ .

٢٩ ـ **تذكرة الحفاظ** ، لشمس الدين محمد الذهبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

٣٠ ـ تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، لابن جماعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، طبعة مصورة عن طبعة دار المعارف بالهند ، عام ١٣٥٤هـ .

٣١ ـ التربية الإسلامية وتحديات العصر ، د/ عبد الغني عبُّود ، د/ حسن إبراهيم عبد العال ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٠م .

٣٢ ـ التربية الإسلامية وفلاسفتها ، أ/محمد عطية الأبراشي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ، ط٥ ، ١٩٨٦م .

٣٣ ـ التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ، لعبد الرحمن النحلاوي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٢هـ .

٣٤ ـ تربية الأطفال في رحاب الإسلام ، لمحمد حامد الناصر ، خولة عبد القادر درويش ، مكتبة السوادي للتوزيع ، جدة ، ط١ ، ١٤١١هـ .

٣٥ ـ تربية الأولاد في الإسلام ، لعبد اللّه علوان ، دار السلام للطباعة والنشر ، بيروت وحلب ، ط٣ ، ١٤٠١هـ .

٣٦ ـ التربية عند العرب ، مظاهرها واتجاهاتها ، لمحمد فوزي العنتيل ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

٣٧ ـ التربية في الإسلام ، د/ أحمد فؤاد الأهواني ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، عام ١٩٨٣م .

٣٨ ـ التربية في السنة النبوية ، لأبي لبابة حسين ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط٢ ، ١٩٦٤م .

٣٩ ـ التعليم عند الإمام النووي غايته ، وأصوله النفسية ، حسن عبد العال ، المجلة التربوية الإسلامية ، العدد الأول ، الجمعية التربوية الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

٤٠ ـ **التعريفات** ، الشريف علي محمد الجرجاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

٤١ ـ **تفسير التحرير والتنوير** ، لمحمد الطاهر بن عاشور ، الدار التنوسية للنشر ، تونس ١٩٨٤م .

٤٢ ـ **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراض** ،لابن مسكويه ،دار الحياة ، بيروت .

- ج -

٤٣ ـ **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع** ، للحافظ الخطيب البغدادي ، تحقيق د/ محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، الرياض ١٤٠٣هـ .

٤٤ ـ **جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بينَ المعلمين وآباء الصبيان** ، لأحمد جمعة المغراوي ، تقديم ، وتحقيق د/ عبد الهادي التازي ، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط١ ، عام ١٤٠٧هـ .

٤٥ ـ **الجامع الصحيح** ، سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق ، أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- ح -

٤٦ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ، لأبي نعيم أحمد بن عبد اللّه الأصبهاني ، دار البيان للتراث ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٥ ، ١٤٠٧هـ .

ـ د ـ

٤٧ ـ **دافعية الإنجاز وقياسها** ، لإبراهيم قشقوش ، وطلعت منصور ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٩م .

٤٨ ـ **الدروس التي تتعلمها التربية من علم النفس** ، برسيغال سيمون ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٤هـ .

٤٩ ـ **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** ، لأحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة ، مصر ، شارع الجمهورية ، ط٢ ، ١٣٨٥هـ .

- ر -

٥٠ ـ **رسالة في رياضة الصبيان وتاديبهم** ، لشمس الدين الأنبابي ، مخطوط / ٤٣٢ ـ تعليم المكتبة العامة بالقاهرة .

٥١ ـ **رسالة المعلم** ، إعداد كامل يوسف غنوم ، العدد الرابع ، المجلد الرابع والثلاثون ، رجب ، ١٤١٤هـ .

٥٢ ـ **الرسالة المفصّلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين** ، لأبي الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي ، ملحقه بكتاب التربية في الإسلام ، د/ أحمد فؤاد الأهواني ، دار المعارف بمصر ، القاهرة .

- ز -

٥٣ ـ **زاد المسير في علم التفسير** ، للإمام ابن الجوزي ، ط/ المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٣٨٤هـ .

- س -

٥٤ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة** ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط٢ ، ١٤١٥هـ .

٥٥ ـ **السلوك الاجتماعي في الإسلام** ، لحسن محمد أيوب ، دار الندوة الجديدة .

٥٦ ـ **سنن أبي داود** ، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، إعداد وتعليق / عزت عبيد الدعاس ، دار الحديث ، حمص .

٥٧ ـ **السنن الكبرى** ، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٣هـ .

٥٨ ـ **سنن ابن ماجه** ، للحافظ أبي عبد اللّه محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق ، محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة العلمية ، بيروت .

٥٩ ـ **سنن النسائي** ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٣٤٨هـ .

٦٠ ـ **سياسة الصبيان وتدبيرهم** ، لأحمد بن إبراهيم بن أبي خالد ، ابن الجزَّار القيرواني ، تقديم وتحقيق الدكتور / محمد الحبيب السهيلة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٦٨م .

- ش -

٦١ ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، لعبد الحي بن العماد الحنبلي ، دار الميسرة ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ .

- ص -

٦٢ ـ **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)** ، لإسماعيل بن حمّاد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ .

٦٣ ـ **صحيح الجامع الصغير** ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، ١٣٨٨هـ .

٦٤ ـ **صحيح مسلم** ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق ، وتصحيح ، وترتيب ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة .

٦٥ ـ **صفات المربي** ، لعلي الشويكي ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٦٤م .

٦٦ ـ **صيد الخاطر** ، لابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي) عُني بتصحيحه وطبعه / عبد السلام خضير ، مطبعة خضير بالقاهرة ، دون تاريخ .

ـ ط ـ

٦٧ ـ **الطبّ الروحاني** ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ، مطبعة الترّقي ، دمشق ، ١٣٤٨هـ .

٦٨ ـ **طرق التدريس العامة** ، د/ محمد عبد القادر أحمد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٢هـ .

٦٩ ـ **طفلك في عامه الثامن** ، لأحمد السعيد يونس ، دار الكتاب الحديث ، الكويت .

ـ ع ـ

٧٠ ـ **العبر وديوان المبتدأ والخبر** ، لعبد الرحمن بن خلدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٣هـ .

٧١ ـ **العقد الفريد** ، لشهاب الدين أحمد بن عبد ربه الأندلسي ، المطبعة الخيرية ببولاق ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ .

٧٢ ـ **العلاقة بينَ الطالب والمعلم** ، د/ محمود إسماعيل عمَّار ، دار المسلم ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٥هـ .

٧٣ ـ **علاقة الوالدين بالطفل** ، د/ محمد علي حسن ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٠م .

٧٤ ـ **علم النفس الاجتماعي** ، لحامد عبد السلام زهران ، عالم الكتب القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٣م .

٧٥ ـ **علم النفس التربوي** ، د/ آمال صادق ، د/ فؤاد حطب ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٣ ، ١٩٨٤م .

٧٦ ـ **علم النفس التربوي** ، د/ عبد المجيد نشواتي ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمَّان ، الأردن ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ .

٧٧ ـ **علم النفس التربوي الرياضي** ، د/ سعد جلال ، د/ محمد علاوي .

٧٨ ـ **علم النفس التربوي في الإسلام** ، د/يوسف مصطفى القاضي ، د/ مقداد يالجن ، دار المرِّيخ ، الرياض ، ١٤٠١هـ .

٧٩ ـ **علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة)** ، لحامد عبد السلام زهران ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٢م .

٨٠ ـ **عمدة القاري** ، شرح صحيح البخاري ، للشيخ بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني ، ط/ دار الفكر بيروت ، دون تاريخ .

٨١ ـ **عيون الأبناء في صفات الأطباء** ، لأحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي ، المعروف ابن أبي أصيبعه ، شرح وتحقيق د/ نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥م .

- غ -

٨٢ ـ **غريب الحديث** ، للإمام أبي إسحاق الحربي ، تحقيق د/ سليمان بن إبراهيم بن محمد العابد ، نشر وتوزيع مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

- ف -

٨٣ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار البيان للتراث ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٧هـ .

٨٤ ـ **الفقه والمتفقّه** ، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، صححه وعلّق عليه الشيخ / إسماعيل الأنصاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٠هـ .

٨٥ ـ **الفكر التربوي عند ابن خلدون** ، تحقيق د/ عبد الأمير شمس الدين ، دار اقرأ للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ .

٨٦ ـ **الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي** ، لسالك أحمد معلوم ، ط١ ، ١٤١٣هـ .

٨٧ ـ **فن التدريس للتربية الدينية وارتباطها النفسية** ، لمحمد صالح سمك ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٣٧م .

٨٨ ـ **فنّ التعليم عند ابن جماعة** ، د/ حسن إبراهيم عبد العال ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٥هـ .

٨٩ ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير** ، لعبد الرؤوف المناوي ، دار المعرفة ، بيروت .

٩٠ ـ **في ظلال القرآن** ، لسيد قطب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٧ ، ١٣٩١هـ .

ـ ق ـ

٩١ ـ **قبسات من الرسول ﷺ** ، **لمحمد قطب** ، وزارة المعارف ، الشؤون المدرسية ، إدارة المقررات ، ط١٠ ، ١٤٠٨هـ .

٩٢ ـ **القصص القرآني** ، لعماد زهير حافظ ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٠هـ .

ـ ك ـ

٩٣ ـ **الكامل في اللغة والأدب** ، للمبّرد ، أبو العباس محمد بن يزيد ، مطبعة التقدم العلمية ، القاهرة ، ط١ .

٩٤ ـ **كتاب العيال** ، للحافظ الإمام أبي بكر عبد اللّٰه بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا البغدادي ، حقّقه د/ نجم عبد الرحمن خلف ، دار ابن القيم للنشر والتوزيع ، الدمام ، ط١ ، عام ١٤١٠هـ .

٩٥ ـ **كيف نربي أطفالنا** ، لمحمود مهدي الاستانبولي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٥هـ .

ـ ل ـ

٩٦ ـ **لباب الآداب** ، للأمير أسامة بن منقذ ، تحقيق الأستاذ أحمد شاكر ، دار الكتب السلفية ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ .

٩٧ ـ **لسان العرب** ، لأبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار الفكر ، ط٢ ، بيروت .

- م -

٩٨ ـ **مجلة المعرفة وزارة المعارف السعودية** ، العدد (٣١) شوال ١٤١٨هـ .

٩٩ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، ١٤٠٦هـ .

١٠٠ ـ **المجموع شرح المهذّب** ، لأبو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، بدون تاريخ .

١٠١ ـ **مختار الصحاح** ، للإمام محمد بن أبي بكر الرازي ، تحقيق السيدة / سميرة خلف الموالي ، طبعة المركز العربي للثقافة والعلوم ، بيروت ، دون سنة الطبع والمطبعة .

١٠٢ ـ **مختارات من عيون الأخبار** ، لابن قتيبة الدينوري ، أحمد عبد العليم البردوني ، راجعه إسماعيل مرزوق ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

١٠٣ ـ **مدارج السالكين بينَ منازل إياك نعبد وإياك نستعين** ، لابن قيم الجوزية ، تحقيق ، محمد حامد فقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٢هـ .

١٠٤ ـ **مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام** ، لعبد الرحمن الباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ .

١٠٥ ـ **مدخل الشرع الشريف على المذاهب** ، لابن الحاج العبدري ، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي ، المطبعة المصرية بالأزهر ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٤٨هـ .

١٠٦ ـ **المدرس ومهارات التوجيه** ، لمحمد عبد الله الدويش ، دار الوطن ، الرياض ، ط٢ ، ١٤١٦هـ .

١٠٧ ـ **المدارس والكتاتيب القرآنية** ، وقفات تربوية وإدارية ، مؤسسة المنذري الإسلامي ، ١٤١٧هـ .

١٠٨ ـ **المذهب التربوي عند الغزالي** ، فتحية حسن سليمان ، مكتبة النهضة بمصر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٤م .

١٠٩ ـ **المستدرك على الصحيحين** ، للإمام الحافظ أبي عبد اللّه الحاكم النيسابوري ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

١١٠ ـ **مسند الإمام أحمد** ، للإمام أحمد بن حنبل ، دار صادر ، بيروت .

١١١ ـ **مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة** ، لعدنان حسن صالح باحارث ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، جدة ، ط٢ ، ١٤١٢هـ .

١١٢ ـ **مشاكل الأطفال والآباء** ، لسوزان أيزاكس ، ترجمة سلسلة الألف كتاب ، مطابع سجلِّ العرب ، ١٩٦٦م .

١١٣ ـ **المشكلات السلوكية عند الأطفال** ، د/ نبيه غبرة ، ط٣ ، ١٣٩٨هـ .

١١٤ ـ **المصباح المنير** ، للشيخ العلاّمة أحمد بن محمد الفيومي ، نشر مكتبة لبنان ، ١٩٧٨م .

١١٥ ـ **المصفَّى من صفات الدعاة** ، لعبد الحميد البلالي ، دار الدعوة ، الكويت ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ .

١١٦ ـ **مصنف الإمام عبد الرزاق** ، للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي .

١١٧ ـ **معالم التربية** ، دراسات في التربية العامة ، د/ فاخر عقل ، دار العلم للملايين ، لبنان ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٨م .

١١٨ ـ **معالم القربة في أحكام الحسبة** ، لمحمد بن محمد بن أحمد القرشي ، والمعروف بابن الإخوَّة ، تحقيق الدكتور محمد محمود شعبان ، وصديق أحمد عيسى المطيعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٦م .

١١٩ ـ **مع المعلمين** ، لمحمد بن إبراهيم الحمد ، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٨هـ .

١٢٠ ـ **المعجم الأوسط** ، للحافظ أبي القاسم بن أحمد الطبراني ، تحقيق ، د/ محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

١٢١ ـ **المعجم الصغير للطبراني** ، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، صححَّه وراجعه ، عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر ، ط١ ـــ ٢ ، ١٤٠١هـ .

١٢٢ ـ **المعجم الكبير** ، للحافظ أبي القاسم بن أحمد الطبراني ، حققه وخرَّج أحاديثه ، حمدي عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .

١٢٣ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي** ، نشره د/أ ، ي ، ونسنك ، مكتبة بريل في مدينة ليدن ، سنة ١٩٣٦م .

١٢٤ ـــ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن** ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

١٢٥ ـ **المغرَّاوي وفكره التربوي** ، من خلال كتابه (جامع جوامع الاختصار والبيان فيما يعرض بينَ المعلمين والصبيان ، تحقيق د/ عبد الهادي التازي نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط١ ، ١٤٠٧هـ .

١٢٦ ـ **المغرب في ترتيب المعرب** ، لأبي الفتح ناصر الدين المطرِّزي ، تحقيق محمود فاخوري ، وعبد الحميد مختار ، مكتبة أسامة بن زيد ، حلب ط١ ، ١٣٩٩هـ .

١٢٧ ـ **من صفات الداعية ، اللين والرفق** ، د / فضل إلهي ، إدارة ترجمان الإسلام ، باكستان ، ط٦ ، ١٤١٧هـ .

١٢٨ ـ **منهج التربية الإسلامية** ، لمحمد قطب ، دار الشروق ، ط٣،١٣٨٦هـ .

١٢٩ ـ **منهج التربية النبوية للطفل** ، لمحمد نور عبد الحفيظ سويد ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط٦ ، ١٤١٧هـ .

١٣٠ ـ **منهج التربية في الإسلام** ، لمحمد متولي شعراوي ، كتاب إسلامي شهري ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٩٧٦م .

١٣١ ـ **منهج القرآن في التربية** ، لمحمد شديد مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٥هـ .

ـ ن ـ

١٣٢ ـ **نحو تربية إسلامية** ، لحسن الشرقاوي ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٣م .

١٣٣ ـ **نزهة الفضلاء** ، تهذيب سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين محمد أحمد الذهبي ، تهذيب ، لمحمد حسن عقيل موسى ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، جدة ، السعودية ، ط١ ، عام ١٤١١هـ .

١٣٤ ـ **نصيحة الملوك** ، لأبي الحسن الماوردي ، تحقيق محمد الخضر ، نشر وزارة الأوقاف الكويتية .

١٣٥ ـ **النمو من الطفولة إلى المراهقة** ، د/ محمد جميل محمد يوسف منصور ، د/ فاروق سيد عبد السلام ، الناشر مكتبة تهامة ، جدة ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ .

١٣٦ ـ **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** ، لعبد الرحمن بن نصر الشيزري ، نشر السيد الباز العريني ، فطبعه لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٥هـ .

١٣٧ ـ **النّهاية في غريب الحديث والأثر** ، للإمام ابن الأثير ، تحقيق الأستاذ / طاهر أحمد الزاوي ، د/محمود محمد الطناجي ، ط المكتبة الإسلامية ، دون سنة الطبع .

١٣٨ ـ **النوادر السلطانية** (سيرة صلاح الدين) ، لتوأم الدين أبو الفتح علي بن محمد المعروف بالبدات .

ـ هـ ـ

١٣٩ ـ **هكذا تحدث السلف ـ كلمات مضيئة للصحابة والتابعين** ، د/ مصطفى عبد الواحد ، طبع بتصريح وزارة الإعلام ، فرع مكة المكرمة ط١ ، ١٤١٢هـ .

ـ و ـ

١٤٠ ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، لشمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق ، د/ إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع رقم الصفحة

التقريظ ٥

مقدمة البحث ، وفيها : ٩

أ ـ سبب اختيار الموضوع ١٣

ب ـ خطة البحث ١٥

الباب الأول : « التأديب التربوي للطفل » : .... ١٧ ـ ٥٢

الفصل الأول : « التأديب » : ١٩

المبحث الأول : تعريف التأديب ٢١

المبحث الثاني : زمن التأديب ٢٥

المبحث الثالث : أقوال علماء الفكر التربوي الإسلامي في التأديب ٢٧

المبحث الرابع : الغرض من التأديب ٣٠

الفصل الثاني : « من آثار التأديب التربوي » : ٣٥

المبحث الأول : آثار التأديب من الناحية العقلية ٣٨

المبحث الثاني : آثار التأديب من الناحية السلوكية ٣٩

المبحث الثالث : آثار التأديب من الناحية الاجتماعية ٤٠

الفصل الثالث :« نماذج من التأديب التربوي عند السلف الصالح رضي الله عنهم » : ٤٣

المبحث الأول : عبد الملك بن مروان ٤٦

الموضوع رقم الصفحة

المبحث الثاني : هشام بن عبد الملك ٤٩

المبحث الثالث : عبد الملك بن حبيب ٥٠

المبحث الرابع : هارون الرشيد ٥١

الباب الثاني : « التأديب التربوي المعنوي للطفل » : .... ٥٣ ـ ٩٣

الفصل الأول : « الإرشاد إلى الخطأ بالنصح والتوجيه » : ٥٥

المبحث الأول : الإرشاد إلى الخطأ بالنصح والتوجيه غير المباشر ... ٦٠

المبحث الثاني : صور من الإرشاد إلى الخطأ بالنصح والتوجيه غير المباشر ٦٢

أ ـ التعريض : ١ ـ إياك أعني ٦٣

٢ ـ التعريض بصاحب الخطأ ٦٤

٣ ـ ما بال أقوام ٦٤

ب ـ القصة ٦٥

جـ ـ التربية بالحدث ٦٧

المبحث الثالث : الإرشاد إلى الخطأ بالنصح والتوجيه المباشر ٦٩

أ ـ النصح والتوجيه المباشر ... سرًا ٦٩

ب ـ النصح والتوجيه المباشر ... علانية ٧٠

الفصل الثاني : « الإرشاد إلى الخطأ بطرق تربوية أخرى » : ٧١

المبحث الأول : الإرشاد إلى الخطأ ـ بالتغاضي والتغافل ـ ٧٤

الموضوع رقم الصفحة

المبحث الثاني : الإرشاد إلى الخطأ ـ بالهجر ٧٨

المبحث الثالث : الإرشاد إلى الخطأ ـ بالحرمان من التشجيع ٨١

المبحث الرابع : الإرشاد إلى الخطأ ـ بالنظرة العابسة ٨٤

المبحث الخامس : الإرشاد إلى الخطأ ـ باللّوم والتوبيخ : ٨٦

١ ـ أشكال التوبيخ ٨٧

٢ ـ خطوات استخدام التوبيخ ٨٩

٣ ـ الاقتصاد في استخدام التوبيخ ٩٠

الباب الثالث : « إرشادات تربوية على طريق التأديب التربوي الحسي » ٩٥ ـ ١٣٢

الفصل الأول : « علّقوا السوط » ٩٧

الفصل الثاني : « لا تؤدب وأنت غضبان » : ١٠٣

المبحث الأول : من آثار الغضب ١١٠

١ ـ أثر الغضب في اللسان ١١٠

٢ ـ أثر الغضب على الأعضاء ١١١

٣ ـ أثر الغضب على الحالة النفسية ١١٢

المبحث الثاني : صور من الغضب ١١٤

المبحث الثالث : السنة النبوية وتهدئة الغضب ١١٨

الفصل الثالث : « فرك الأذن » ١٢١

الفصل الرابع : « ارفع يدك عن الولد ... إذا ذكر اللّه تعالى » ١٢٧

الموضوع رقم الصفحة

الباب الرابع : « التأديب التربوي الحسي للطفل » : .... ١٣٣ - ١٨١

الفصل الأول : « شروط التأديب التربوي الحسي وأسسه » : ١٣٥

المبحث الأول : سن التأديب التربوي الحسي ١٣٩

المبحث الثاني : صفة التأديب التربوي الحسي ١٤٣

المبحث الثالث : أداة التأديب التربوي الحسي ومواصفاتها ١٤٦

المبحث الرابع : مواضع التأديب التربوي الحسي ١٥٢

المبحث الخامس : حدِّ التأديب التربوي الحسي ١٦١

الفصل الثاني : « أثر الشدة والقسوة في التأديب التربوي الحسي » : ١٦٩

المبحث الأول : الآثار النفسية ١٧٤

المبحث الثاني : الآثار الاجتماعية ١٧٧

المبحث الثالث : الآثار السلبية للشدة في العملية التعليمية ١٨٠

الباب الخامس : « الثواب » : .... ١٨٣ - ٢٣١

الفصل الأول : « تعريف الثواب » ١٨٥

الفصل الثاني : « إشباع بعض حاجات الطفل » ١٩١

الفصل الثالث : « الاستجابة لميول الطفل ورغباته » ١٩٧

الفصل الرابع : « الرفق واللين » : ٢٠٣

المبحث الأول : المراد بالرفق ٢٠٥

المبحث الثاني : الرفق عند علماء الفكر التربوي الإسلامي ٢٠٨

الموضوع رقم الصفحة

المبحث الثالث : صور من الرفق ٢١٤

المبحث الرابع : المراد باللين ٢١٧

الفصل الخامس : « العدل بينَ الأطفال » ٢٢٢

الباب السادس : « وسائل الثواب » : .... ٢٣٣ - ٢٨٨

الفصل الأول : « وسائل الثواب اللفظية » : ٢٣٥

المبحث الأول : البشاشة وطلاقة الوجه ٢٣٧

المبحث الثاني : المدح والثناء التربوي : ٢٤١

١ - من صور المدح والثناء ٢٤٣

٢ - الأثر الحسن لاستخدام المدح والثناء التربوي ٢٤٧

المبحث الثالث : مبدأ تشجيع الأطفال : ٢٥٠

١ - التشجيع عند علماء الفكر التربوي الإسلامي ٢٥١

٢ - صور من التشجيع ٢٥٤

٣ - من وسائل التشجيع : ٢٥٦

أ - وسائل إيجابية لفظية ٢٥٦

ب - وسائل إيجابية غير لفظية ٢٥٧

جـ - وسائل إيجابية أخرى ٢٥٧

د - حسن النداء والكنى وفوائده ٢٥٨

هـ - الآثار النفسية في التكنية ٢٦٢

رقم الصفحة	الموضوع
و ـ تجنب استخدام الوسائل اللفظية السلبية	٢٦٢
٤ ـ التشجيع بالدعاء	٢٦٣
الفصل الثاني : « وسائل الثواب المادية » :	٢٦٧
المبحث الأول : المكافأة المادية	٢٦٩
المبحث الثاني : شواهد وصور من المكافآت المادية التربوية	٢٧٤
المبحث الثالث : أهمية المكافأة عند سلفنا الصالح	٢٧٦
الفصل الثالث : « أثر الثواب » :	٢٧٩
المبحث الأول : أثر الثواب الإيجابي في التعلم	٢٨١
المبحث الثاني : أثر الثواب السلبي في التعلم	٢٨٣
الخاتمة	٢٨٩
من أعلام الفكر التربوي الإسلامي	٢٩٧
فهرس المراجع	٣١٩
فهرس الموضوعات	٣٣٥

* * *

تمت

قبسات من

التأديب التربوي

عند المسلمين